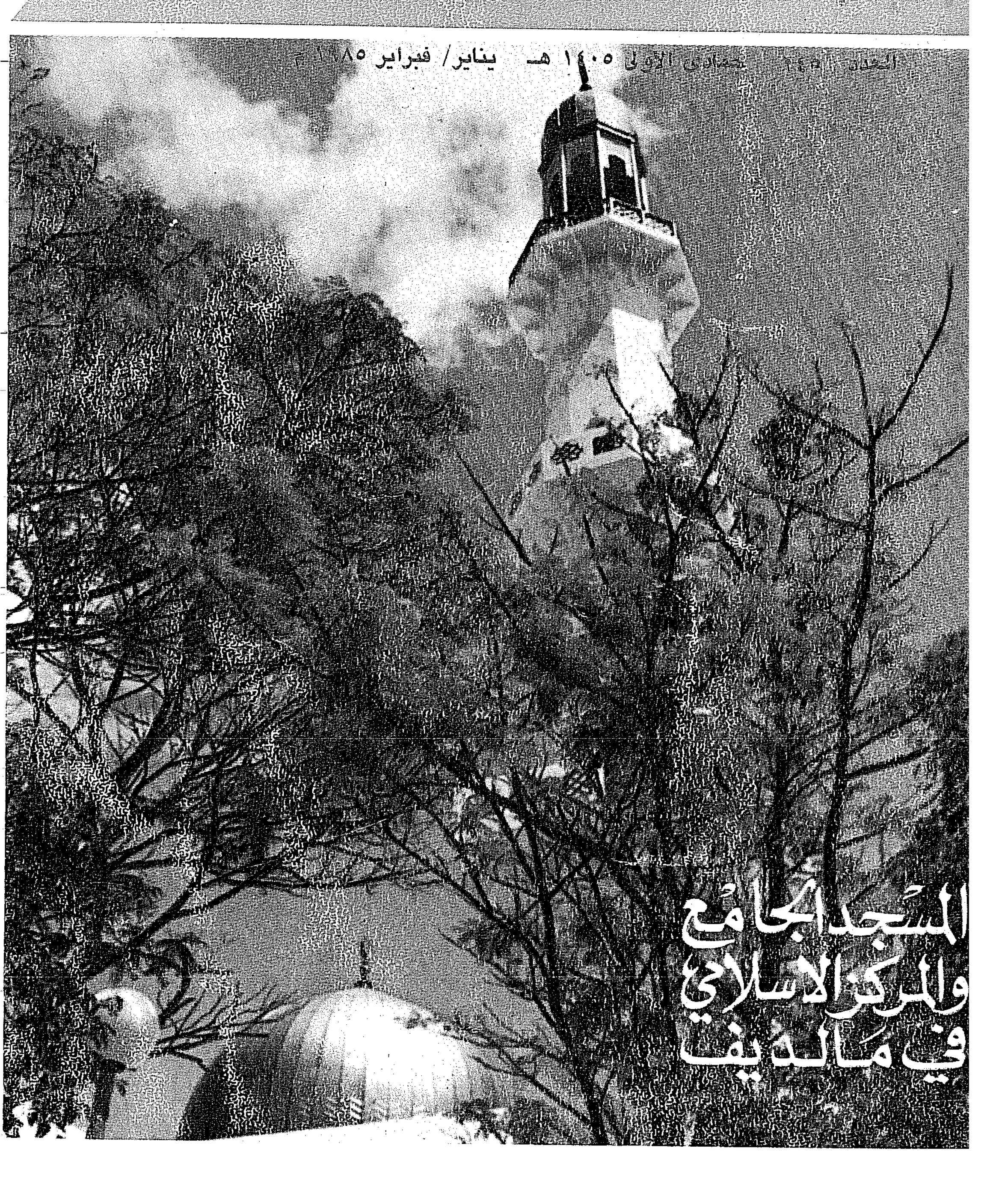
الوعي الإسلامي

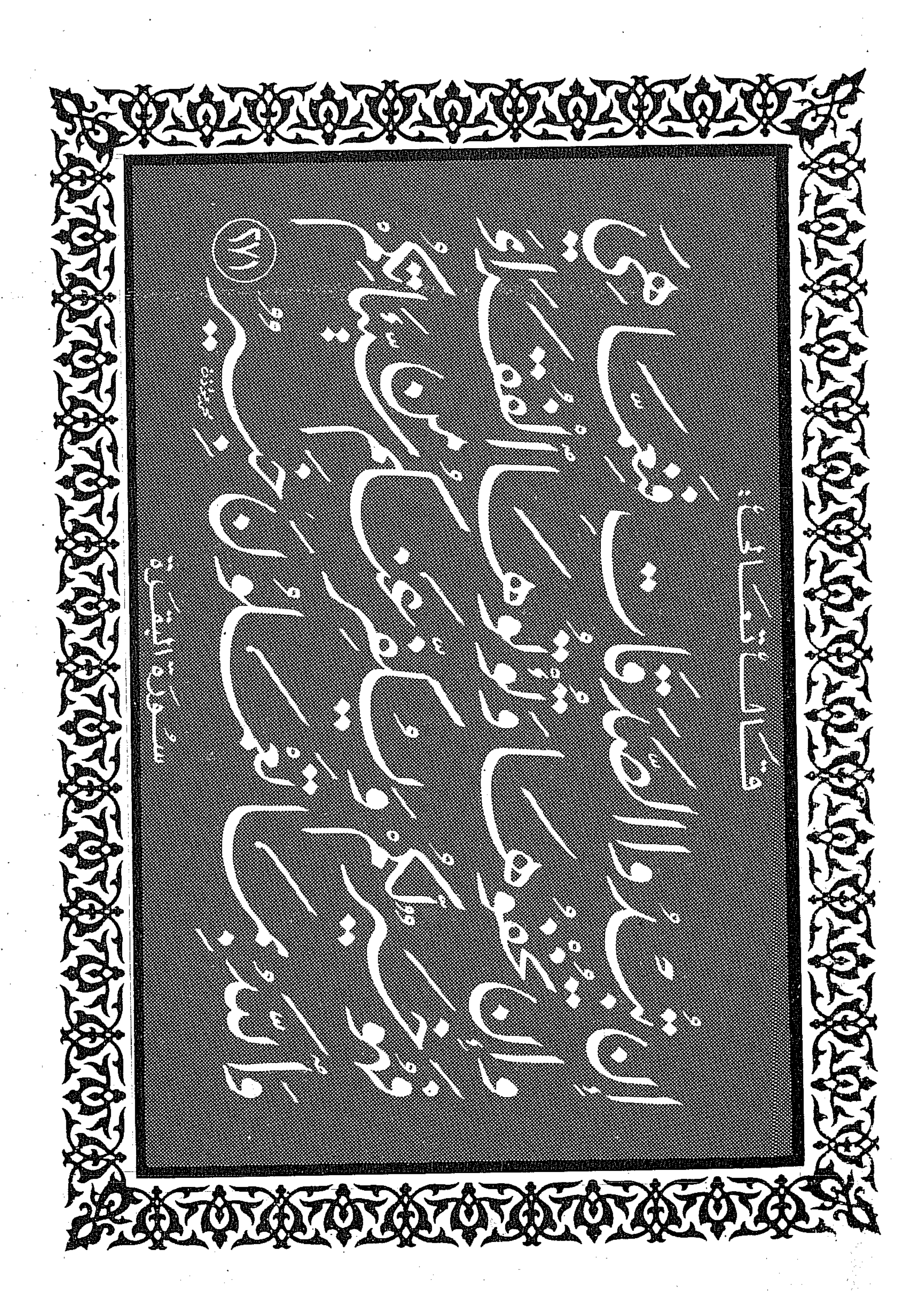
إسلامية ثقافية شهرية

العدد ٢٤٥ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ يناير/ فبراير ١٩٨٥ م

هديتك مع العدد مجلة براعم الإيمان



المسجد الجامع والمركز الإسلامي في مالديف





AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة الحادية والعشرون

العدد ٢٤٥ ـ جمادى الأولى ١٤٠٥ هـ ـ فبراير ١٩٨٥ م .

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسة

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت
هاتف رقم ٤٣٨٩٣٤ ـ ٢٤٦٦٣٠٠

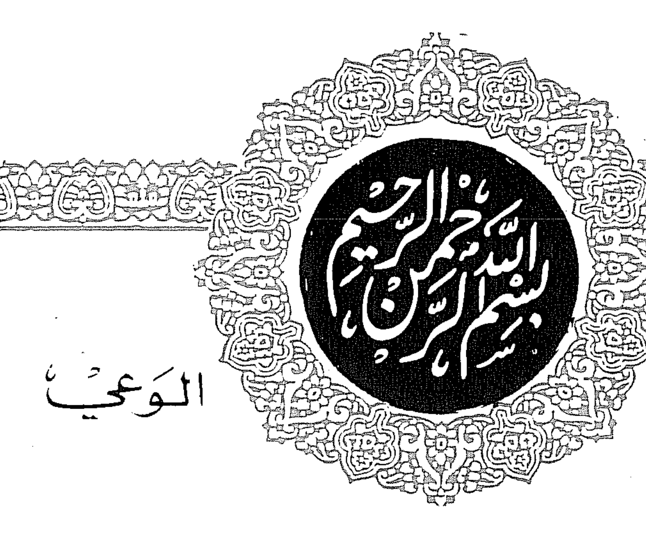
التوزيع والاشتراكات

الشركة العربية للتوزيع (ش. م. ل)
ص. ب « ٤٢٢٨ » بيروت لبنان
تلكس ARABCO 23032 I.E

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



كلمة الوعي

« ولعلكم تشكرون »

مما لا شك فيه ان نعم الله تعالى لا يحصيها عد وانها لا تتوقف عند حد يقول الله تعالى « **وآتاكم من كل ما سالتموه وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار** » الآية ٣٤ سورة ابراهيم . وكثيرا ما لفت القرآن الكريم انظار الناس الى فضل الله عليهم ، وقد سخر لهم ما في السموات وما في الارض ، واسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة ، والناس امام هذه النعم صنفان . صنف يدرك اثر النعمة وهو يرى مظاهر بر الله ورحمته ويحس بها في نفسه وفي بيئته وفي الكون من حوله . فيتوجه بشكر الله وحمده والثناء عليه ، وان منحه ربه علما صان به نفسه ، وقوى يقينه ، وبذله لخدمة دينه ووطنه وهداية من حوله ، وان رزقه اولادا ، نشأهم على الفضيلة ، وصانهم من خطر الفتنة والرذيلة ، ورباهم في جو اسلامي رشيد ، وان آتاه الله مالا ، اعطى واتقى وصدق بالحسنى ، يحمي به عرضه ووطنه ، ولا يجمعه الا بالوسائل المشروعة والكسب الشريف ، وأمام نعمة الجاه والسلطان يسع الناس باخلاقه وعدله فلا يأخذ ما ليس له ، ولا يجحد ما عليه ، ولا يتورط في خيانة او ظلم وانما يراقب الله في كل امره ، هذه

النماذج المؤمنة تزيدها النعم تقربا الى الله ، وتترجم عن شكرها له بصالح الاعمال وشرف السلوك وصفاء النفوس وتقوى القلوب ، دون ان يكون اسلوب الشكر قاصرا على كلمات الحمد والثناء وتحريك اللسان بالتضرع والدعاء ولكنهم بجانب ذلك تفيض قلوبهم ايمانا بالله ورحمة بخلقه ، وتغض اعينهم عما حرم الله ، وتنبسط ايديهم باغاثة ملهوف او مواساة محروم ، وهي تطرق ابواب العمل الشريف ، ولا تتوانى عن حمل السلاح لرد البغي والعدوان الى غير ذلك من صور الشكر التي ترضي الله وتحقق سعادة الفرد والجماعة .

هذا الصنف من الناس تسعد بهم الحياة ، ويفوزون بحب الله والناس ، وأولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم .

اما الصنف الثاني فقليلا ما يلتفت الى نعمة الله وهي تحيط به وتغمره في كل لحظة من لحظات عمره ، فلا يحس بنعمة الصحة الا حين يصيبه المرض ولا يعرف قيمة المال الا اذا سلب منه ، يغفل عن تربية اولاده ، ولا يعني بشئون بيته واهله ، مهما تعرضوا للتمزق والقلق والضياع .

واذا تعلم دعا بعلمه الى مذهب غوي اثم او استعمله في محاربة الفضيلة والقيم الاخلاقية الكريمة . وامام نعمة المال يحبسه عن وجوه الخير ، ولا يبذل منه حق الله والناس ، غير حاسب لله حسابا او ناظر الى غضبه او رضاه ، يدور به حول نفسه ، حول شهواته ونزواته ، حول جسده وتوفير مطالبه ، كالانعام همها اشباع الجانب الحيواني المحض ، هذا الصنف من الناس ، في حياته يعيش معزولا عن المجتمع ، ويتجنبه الناس اتقاء شره ، وان مات لا يحس بفقده احد ، وصدق القائل .

فذاك الذي ان عاش لم ينتفع به ... وان مات لا تبكي عليه اقاربه

لذا نجد القرآن الكريم في كثير من آياته يحذر من غرور الدنيا وفتنة المال وسيطرة الهوى والشيطان ، كما في قوله تعالى (**فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور**) ٣٣ سورة لقمان كما نجده في مواطن العبر والعظات يضرب كثيرا من الامثلة ، لقوم سابقين بطروا النعمة وجحدوها ، فازالها الله عنهم واذاقهم لباس الجوع والخوف ، بعد ان كانوا في أمان وعيش رغيد . يقول الله تعالى .

« **وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**) الاية ١١٢ سورة النحل .

وكانت سبأ وهي قبيلة تسكن اليمن ، تتقلب في سعادة غامرة ، من سعة

الرزق وزينة الحياة ، وكانت لها جماعتان من البساتين ، ذات الظل الظليل والثمر الوفير ، فلما كفرت بانعم الله واعرضت عن شكره ، ارسل عليهم سيل العرم ، وبدل هذه البساتين المثمرة بخمط وهو ثمر مر وأثل . وهو شجر لا ثمر له ، ولما جعلها الله حصيدا كأن لم تغن بالأمس صار اهلها عبرة للاولين والاخرين ، وصدق الله العظيم .

« **لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي اكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي الا الكفور**) من الآية ١٥ الى الآية ١٧ سورة سبأ هذا ولعل الطغاة من الاثرياء المترفين ، يعتبرون بقارون ، كان من قوم موسى عليه السلام آتاه الله الكنوز الوفيرة ، فجحد نعمة ربه واسرف في طغيانه وبغيه ، ولما جاءته الموعظة الهادية ، وقيل له (**لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما اتاك الله الدار الاخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا واحسن كما احسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض ان الله لا يحب المفسدين**) . القصص ٧٦ و ٧٧ ظل في غروره معاندا لله غارقا في امواج كبريائه ، فماذا كانت نهاية هذا الطاغية ؟ نستمع اليها من القرآن الكريم وهو يقول « **فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** » الآية ٨١ سورة القصص .

في هذه الاحداث وغيرها وعيد يوقظ الضمائر ويهز القلوب وفيها ذكرى لمن كان له قلب او ألقى السمع وهو شهيد .

هذه الاحداث بما فيها من عبر وعظات ، تعطي للناس اشارة حمراء تحذرهم من عاقبة الترف المقيت والبطر الفاجر ، فكم أودى البطر بدول كانت مرهوبة الجانب عزيزة السلطان ، وكم دمر الترف اقواما ذلوا بعد عز وافتقروا بعد غنى وذلك لما ظلموا انفسهم ، وبدلوا نعمة الله كفرا ، وعتوا عتوا كبيرا .

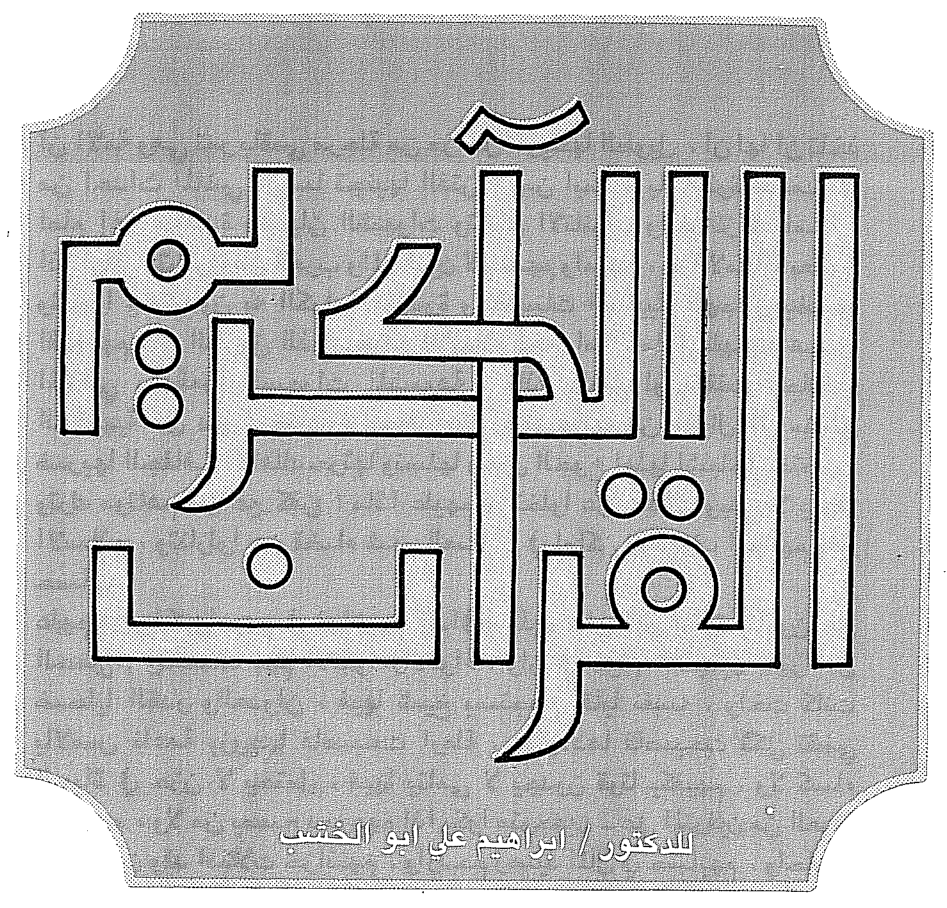
وصدق الله العظيم « **ومن يبدل نعمة الله من بعدما جاءته فإن الله شديد العقاب** » الآية ٢١١ سورة البقرة .

ولقد سجل التاريخ في العصر القريب ، ان انغماس العرب المسلمين في الترف واشباع مطالب الجسد ودنيا الشهوات كان من العوامل التي أدت الى الانتكاس والتأخر والسقوط ، فما ضاعت الاندلس . وتسمى بالفردوس المفقود . وما سقطت الدولة العباسية وما غربت شمس الدولة الأموية الا بتحكم المادية الطاغية ، وسيطرة الأنانية الشخصية ، لدى بعض القادة والمترفين من الأمة .

ان الامة وهي تمر بأقسى مرحلة من مراحل تاريخها الطويل ، آن لها أن تأخذ من احداث الماضي دروسا تجنبها الفتن ، ومن ايمانها بالله قوة تصمد بها امام إغراء المادة وطغيان الشهوات وتحكم الانانية ، والغرائز الجامحة .
اذا اراد المترفون من العرب والمسلمين لانفسهم وامتهم ، عزا لامهانة بعده ، ونصرا يستردون به الكرامة المهدرة والمقدسات السليبة عليهم ان يضعوا اقدامهم على الطريق الذي رسمه الاسلام لخير امة ، ماذا عليهم لو هجروا الملاهي وقاطعوا السهرات المشبوهة ، ماذا عليهم لو توقفت رحلاتهم الترفيهية الى دول اجنبية ، وحولوا ما رصدوه لها من أموال الى مناطق ضربها الجفاف ، فاهلك حرثها ونسلها وحول الجوع اهلها اشباحا تحتضر ، وترك موتاهم من غير كفن ! ماذا عليهم لو تخلوا عن عادات وبدع لا يقرها الاسلام ، وتنازلوا عن قضاء شهر العسل ، في اماكن تستنزف اموالهم بغير حساب ؟
عليهم ان يذكروا وهم في فراشهم الدافىء اللين ، ان لهم إخوة ينامون على الحصى ، وتعصف بهم الاجواء والانواء ، وان في خيام اللاجئين كثيرا من ضحايا الغدر والعدوان ، فيها شيخ يستجمع بقايا نفسه ، واخت كانت بالامس ناعمة بزوجها فاصبحت ارملة ، وباولادها فاصبحت ثكلى تقضي الحياة في حزن لا يحتمل ، فيها يتامى لا يجدون قوتا يكفيهم ، ولا كساء يسترهم ، ولا من يمسح دموعهم إذا بكوا متوجعين ـ على المترفين من العرب والمسلمين وقد امتلأت خزائنهم ، وازدحم رصيد المال في حسابهم ، واحاطت بهم من نعمة الله الوان والوان . ان تسري روح الرحمة في عروقهم ، وان يشكروا فضل الله عليهم ، باغاثة عملية وشكر ايجابي ، وباحسان يستل ضغائن الفقراء واحقاد المحرومين ، فكثيرا ما عاد الاحسان بالأمن والطمأنينة والرضا والمحبة على من اعطى وبذل من مال الله المستخلف فيه .
ولا شك في ان صنائع المعروف تقي مصارع السوء .
رحم الله سيدنا عمر بن عبدالعزيز بلغه ان ابنا له اشترى خاتما فصه بالف درهم ، فبعث اليه يقول اما بعد فقد بلغني انك اشتريت خاتما فصه بالف درهم ، فاذا بلغك كتابي هذا فبعه واطعم بثمنه الف جائع ، واشتر خاتما فصه من حديد ، واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه .
وصدق الله العظيم « فاعتبروا يا اولى الابصار »

رئيس التحرير

حسن منّاع



لكلمة القرآن في نفوس المسلمين ضخامة وفخامة ، وحلاوة وطلاوة ، وجرس طيب . وايقاع جميل .لاتكاد تلامس آذانهم وتمر بخواطرهم ، من غير ان تترك اثرا من الارتياح ، وصدى من الاطمئنان ، ودويا يشبه دوي الآمال التي تتزاحم في النفس وتتراكم في الرأس وتحتشد في الفؤاد ، وتمتلىء بها جوانب القلب ، حينما تسبح بصاحبها في هذا العالم العلوي وتطير به في هذا الملكوت من رضوان الله ورحمته . متطلعة الى فيضه ، راغبة في بره تواقة الى معروفه ، ولهذه المعاني كلها كان له من القداسة والاحترام ، والاجلال والحفاوة والتقدير والاكبار . ما جعله فيما بينهم مصونا عن العبث بعيدا عن الابتذال ، لا يتطاول عليه جاهل . ولا ينال منه احمق . ولا يسكت صوته مسلَّط ، ولا يطفىء مصباحه ذو جبروت وقد ظلوا يتدارسون آياته ، ويتأملون عباراته ، ويتفهمون كلمه ، ويأخذون من هديه ، ويقبسون من نوره ويتعلمون من ادبه ، ويحكمونه في السلوك والعادات ، والميول والاهواء ، والآداب والاخلاق ، والصحو والنوم ، والنوايا والعمل . فلم يجدوا منه الا الشفاء من العلة ، والتقويم على

الجادة، والرشاد والحق، والسلامة والظفر ، والنجاح والفوز ، والنور والهداية . والاستقامة على الدرب .. ولم تظفر البشرية بكتاب سماوي قاوم الطغيان ، وكافح الجبروت ، وحارب الخطوب ، وتحدي الاحداث . وانتصر على الباطل ، وسخر من الطاغين ، وعدوان المتكبرين ، كهذا الكتاب الذي وصفه ربه بأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد كانت كتب الانبياء والمرسلين - من قبله تموت بموت اصحابها وتنتهي بنهاية حياتهم ، واما هو فقد وهبه الله من اسرار الحياة . وعناصر البقاء ومعاني الخلود، ما صيره هكذا باقيا بقاء الدهر . شامخا شموخ القضاء والقدر . يجالد الخطوب ، ويكافح الكوارث ويتحدي الاعاصير ، ويسخر من الايام والليالي وهي لم تهز اعطافه . او تمزق شغافه ، او تزلزل اركانه ، او تخلخل بنيانه ، او تحول مساره ، او توقف تياره او تصد زحفه الى القلوب والضمائر . والافئدة والخواطر ، والذي يؤرخ لتلك الحرب التي خاضها منذ ان قال المعاندون له ، (لو نشاء لقلنا مثل هذا) لا يسعه وقد رأى مصارعهم وشاهد هزائمهم ، الا ان يقول فتبارك الله احسن الخالقين .. كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ، فانهم عارضوه بألفاظ متهافتة ، او جمل متماوتة ، ومعان هزيلة ، دلت على حماقة عقولهم ، وتفاهة افكارهم ، وضيق عطنهم ، وبذلك صفعهم التاريخ ، ولعنهم الزمن ، وبالت عليهم الثعالب ، وكذلك كانت حال من حدثته نفسه ان يقف منه موقف المتصدي لخطوه ، او المتعرض لسيره ، وعلوم المسلمين كانت تستمد فيضها منه ، وتأخذ مسائلها عنه . مهتدية بنوره ، لا تتجاوزه او تتعداه والعدوان الذي كان ينال هذه الامة كان ينالها من طريقه هو . بالتطاول عليه ، والنيل منه ، والحرب له . او الصد عنه ، والوقوف في وجهه . وطمس معالمه . لاعتقاد هؤلاء الذين يكيدون له ان صوته اذا سكت ، وزحفه اذا وقف ، ورايته اذا انطوت . كان ذلك ايذانا بالفصل الاخير من الرواية . والاستعمار هنا وهنالك كان يعتمد في حربه للمسلمين على حربه له . وقضائه على لغته . وفي الوقت الذي كان ينادي هذا القرآن انه بلسان عربي مبين ، كان الذين يدخلون في هذا الدين من غير العرب يسارعون الى تعلم لغته ليفهموه بلسانه وبيانه . ولم يقولوا ما يقول غيرهم الآن من الذين يظلون على حجتهم بحجة انهم اذا انسلخوا عنها فقد انسلخوا عن قوميتهم ، وصاروا بذلك من ذيول البشرية . او حثالة الانسانية . هنالك اخذوا يفكرون في ترجمته كانما يريدون منه ان يأتي اليهم طائعا . وهي الفتنة التي يحمل لواءها - الآن - المستشرقون او المبشرون رجاء التشنيع عليه . والتشهير به . والكيدله ، والدس فيه . واتخاذه هنالك في مدارسهم وكنائسهم مادة للنقد المغرض ، والتجريح المكشوف .. وهو على كل حال معجزة محمد صلى

الله عليه وسلم التي تحدى بها الكفر وزلزل بها الطغيان وقضى بها على الشرك ، وقوض بها دعائم الطيش . واذل الجبابرة والقياصرة ومكن للعدل ، وأرسى دعائم الانصاف ، واشاع البر ونشر راية الحق والعدل . والمؤاخاة والمودة ، ومحا بها التخلف وطارد العبودية ..

وكان في اول امره تهذيبا وارشادا ، وتقويما واصلاحا ، وايقاظا وتنبيها ، ودعوة الى وحدانية الله ، وتنزيها له عن الصاحبة والولد والشريك الذي ينازعه السلطان ، او يقاسمه الملك ، او يحتل مكانته في ملكوت السماوات والارض . وكان يسوق الدليل تلو الدليل على انه سبحانه هو بارىء الخلق ، ومدبر الرزق ، ومصرف الكون ومسخر هذه الافلاك . وذلك حينما كان بمكة يقاوم الوثنية ، ويصارع الجاهلية ويطارد الجهل . ويحطم الاصنام ويسفه الآلهة المكذوبة ، معلنا ان ما جاء به هو الطوفان الزاحف والنهار المقبل ، والشمس المشرقة التي سوف تبدد هذه الغيوم ، وتكتسح هذه الظلمات وتقضي على تلك الخرافة ، وتملأ القلوب بالهداية والنور . والافئدة بالعلم والحكمة والضمائر باليقين والايمان ، والنفوس بالاذعان والقبول . وانه لا استقرار الا للحق ولا بقاء الا للاصلح ولا دين عند الله الا الاسلام . فلما هجر مكة على الرغم منه لم يضعف ذلك من عزيمته . او يقلل من جهده ، او يقطع من امله او يحول من سيره ، وهنالك زاد انصاره وكثر اتباعه ، وتضاعف العدد من حوله وصارت له دولة تستطيع ان تملي ارادتها على الناس . وفي هذه الآونة كان القرآن تشريعا . يرسم القوانين ويفرض الواجبات ويوجه السياسة ، ويعلن السلطان ، ويردع البغي ! ويقلم اظافر العدوان . ويقوي اواصر الجماعة - ويأمر بالترابط ويوجه الانسان الى ان يتحلل من وصاية غيره عليه .. وكان وهو ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم في مكة او المدينة متعة لنفسه ، وغذاء لروحه . وشفاء لقلبه ، وارواء لظمئه، ونورا لبصيرته، لا يود ان ينقطع عنه . او يفارقه . او تطول المسافة بينه وبينه .. وقد استمرت هذه المسيرة ثلاثا وعشرين سنة وكانت في عمر الزمن تاريخا . وفي اعتبار الانسانية علاجا . وفي معنى الحياة رحمة ، وفي نظر الناس قضاء على الشر . وبناء لصروح المجد . وقد تركه صلى الله عليه وسلم بعد موته ميزانا للعدل . ودستورا للخير وعنوانا للهداية . وقد كان المسلمون - من اول يوم - لا يحتكمون الا اليه ، ولا يقضون الا به ، يحللون حلاله ، ويحرمون حرامه . وهو فقههم البين . وكتابهم الواضح، واستاذهم الكبير ، وجامعتهم العظمى ، والذي يفزع اليه لا يستغني عن ان يعرف منه الناسخ والمنسوخ والمجمل والمفصل . والعام والخاص . وما اشبه ذلك من كل انواع الدلالات التي تتصل بفهمه ، ويتوقف عليها اخذ الحكم منه ، وقد ظل المسلمون على مدى التاريخ ، يدرسون له ويتأملون فيه ، ويعتمدون

عليه،ويأخذون منه . فما نضب معينه، ولا جف زيته، ولا خبا ضياؤه، ولا شح عطاؤه، ولا غاض ماؤه .. وكان اعجازه بمثابة الديدبان الذي يحرسه . والقوة التي تحميه . والدرع التي تقيه ، فما نال منه عدوه . ولا تطاول عليه شانيه . وانما وقفت الانسانية كلها مكبرة له ، معجبة به . تهاب دولته وتخشى صولته، وتحسب له الف حساب، لان الحصانة التي جعلها الله له والقوة التي اودعها فيه . صانته من طيش الجاهلية وعدوان الظالمين . وعبث الغافلين وزيف الملحدين . وكان ذلك كله عنوانا على انه صوت الحق . ونداء السماء . وحجة الله . وحديث الملأ الاعلى ، وهو قرآن ـ هكذا بصوته وجرسه ، وكلماته وحروفه ، وبلاغته وروعته، وآياته وسوره . وتشريعه واحكامه . فان اراد احد ان ينقله عن ذلك . او يحوله الى غير هذا ، استعصى عليه . ونفر منه . وكأنما يقول للناس انا من السماء وفي السماء فلا انزل الاعلى قلوب المؤمنين . وافئدة المسلمين . وضمائر المتقين ، وعلى الذين يخوضون فيه . ويدرسون له ويفزعون اليه . ان يذكروا ذلك ليرتفعوا الى حيث هو،ما دام هو في ذلك المستوى من العلو، وهذا المكان من البعد، فان الاسلاف من آبائنا او اجدادنا عاشوا معه هكذا فما ارادوه على ارضهم التي يعيشون عليها . ولا وعيهم الداني، ولا تخيلاتهم القريبة ، وقد اقترن في اذهانهم بالإباء والشمم ، والشموخ والانفة وجلوسه من الناس في كرسي الاستاذية ، لكنه

مع ذلك كله لا يلغي السنة . ولا يجعلها نافلة يمكن طرحها والاستغناء عنها . وجعلها من فضول القول . او نافلة الحديث . وانما يعترف بها . ويعلي شأنها . وينوه بفضلها . وهو يقول (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) .. وقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الصدور والسطور . لكنه لم يكن مجموعا في مكان واحد ، وانما كان مفرقا في الحفظة وفيما كتبوه لانفسهم في اللخاف والعسب وعظام الموتى . لانهم كانوا يتنافسون في هذا الحفظ ، وتلك الكتابة . وربما كان عند واحد منهم ما ليس عند غيره . ولما قتل من حفظته سبعون في حروب الردة في خلافة ابي بكر رضي الله عنه اشار عليه عمر بجمعه حتى لا يضيع . بموت هؤلاء . وبقى هذا المجموع عند أبي بكر مدة خلافته ثم صار بعد ذلك الى عمر ثم الى ابنته حفصة فيما بعد ..

وفي خلافة عثمان ـ رضي الله عنه . وقد فتحت الفتوح ، وتباعدت المواطن ، واختلفت القراءات ، وتعصب الناس لقراءاتهم التي اخذوها عن القراء . واللهجات التي يقرأون بها . وخاف عثمان من هذه الخلافات . ان تحدث فتنة في صفوف المسلمين . جمعه بقراءة حفص ، ووزعه على الامصار وامر ان تكون قراءته بهذه الرواية . حتى لا يكون هنالك ملاحاة او خلاف .ويقول السيوطي والفرق بين الجمعين ـ جمع ابي بكر وجمع عثمان ـ ان الاول كان

خوف ان يذهب شيء منه بذهاب حفظته . لانه كان متفرقا فيهم . فجمعه في صحائف مرتبا لآياته وسوره على ما وقفهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . اما الثاني وهو جمع عثمان رضي الله عنه ، فانه كان لتلافي فتنة الفرقة . او حدوث العصبية للقارىءالذي اخذوا عنه . فنسخ تلك الصحف في مصحف واحد . واقتصر من سائر اللغات على لغة قريش . محتجا بانه نزل بلغتهم ، والمعروف ان القرآن له اربع عشرة قراءة ، عشر منها متواترة . اخذت عن النبي صلى الله عليه وسلم بالتواتر . واربع صحيحة لم تبلغ حد التواتر . وما عدا ذلك شاذ ..

وعلى الجملة فهذا هو القرآن الذي لا يأتيه الباطل . ولا يحوم حوله الريب . ولا يتطرق اليه الشك ولا يستطيع احد ان ينال منه والذي صمد للخطوب . واجتاز المحن . وقاوم الكفر ، واذل الجبابرة وتسامى على الفلسفة ، وتجاوز حدود الحكمة . وعلم الانسانية . وحمل مشاعل النور على الرغم من حقد الحاقدين وجهل الجاهلين . وعدوان المبطلين . واخذ الناس منه شريعة الله . وهداية السماء وسيظل على مدى الايام استاذ الاساتذة ، ومعلم الاجيال . وحامل راية الحق والعدل والرأي والفكر والهداية والاصلاح .. واذا كان موقف اسلافنا منه هو موقف الرعاية والصون . الى درجة انهم يخافون عليه ان يلحق به عبث او يناله تحريف ، او تلتصق به تهمة انه اساطير الاولين . او انه ليس صادرا عن رب العالمين وقد بالغوا في ذلك حتى منعوا رسمه الاملائي على خلاف ما جاء به المصحف العثماني . فهل يصح لنا بعد ذلك ان نترجمه ، وان نعقد المؤتمرات في العواصم الكبرى من البلاد لنرى اي هذه التراجم ادق نقلا . واوفى معنى . واقرب الى الفهم الصحيح . والى من تكون هذه الترجمة المسلمين في الهند والصين والباكستان وافغانستان وغيرها من البلاد التي لا تنطق العربية وهؤلاء واجب عليهم ـ شرعا ـ ان يتعلموا لغته ليفهموه بلسانه وبيانه عملا بالقاعدة الاصولية « مالا يتم الواجب الا به فهو واجب » ام لغيرهم ممن لا يؤمنون به ، ولا يستجيبون له . وهؤلاء لا يزدادون بالترجمة الا عنادا وكفرا ؟..

ان الحروب الصليبية التي ظلت قرنين كاملين بحجة المطالبة ببيت المقدس لم يكن هدفها الا القضاء على القرآن بصورة او بأخرى . وبألف وسيلة ووسيلة ، وهكذا كان الاستعمار القريب والبعيد الذي كان ينوي القضاء على لغته ، واحلال لغته هو محلها . كما فعل في الجزائر وليبيا ومصر وغيرها من البلاد التي تمكن منها . وافرخ وباض فيها .. وعلى المسلمين ان يتنبهوا الى ان المؤامرة لم تزل قائمة ونية الشر لم تزل مبيتة ، وعار عليهم ان يكون كتابهم في واد غير ذي زرع ، لانهم يأبون ان تكن لغتهم هي لغته التي جعلها الله اخص خصائصه .



لايمكن لأحد أن ينكر الجهود العظيمة التي بذلها المفسرون المسلمون في مختلف العصور ، ولا ان يشكك في إخلاصها وصدقها مهما كان فيها من خطأ أو قصور يرجع في معظمه ، الى ماأخذوه عن الاسرائيليات كما يرجع الى قلة مصادر المعلومات وصعوبة الحصول على المتوفر منها ،أو بسبب طبيعة العلاقة بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية التي كانت تناصب المسلمين العداء ولا تكف عن شن الهجمات عليهم او بسبب عدم الالمام باللغة اليونانية وهي التي كانت تكتب بها الوثائق والكتب التاريخية لتلك الدولة ولأن التراجمة الذين اضطلعوا بمهمة نقل التراث اليوناني الى العربية وهم من المسيحيين النساطرة واليهود وجهوا اهتمامهم الى كتب الفلسفة والطب دون غيرها مما أدى الى ضآلة المعلومات التاريخية التي وصلت الى المؤرخين والمفسرين المسلمين الذين دفعهم النهم

العلمي والفضول المعرفي إلى الاغتراف من البئر الآسنة للفكر والتاريخ اليهوديين ؛ مما ترتب عليه اصابة صفحات كتب التفسير والتاريخ ببثور وتقيحات تتمثل في الخرافات والأكاذيب والأباطيل الاسرائيلية .
والأمر الجدير بالملاحظة ان كتب التفسير التي هي من وضع النحويين لا تختلف عن التفاسير التي وضعها الاخباريون الا من حيث كمية الأساطير والخرافات والأكاذيب الاسرائيلية والنصرانية التي اشتملت عليها ، فبينما نجد القصة الاسرائيلية بأدق تفاصيلها في تفسير ابن جرير ، بل ونجدها في أكثر من رواية ، فانها ترد في الكشاف للزمخشري موجزة ، ولكنها تؤدي الى نفس النتيجة التي تؤدي اليها القصة او القصص الذي ذكره ابن جرير الطبري وهي نتيجة سيئة في جميع الأحوال وتدعو الى الأسف كما قال عالم فاضل من علماء الأزهر « ومما يؤسف له حقا ما يصادفه المسلم في كتب التفسير من أقوال كثيرة تخالف حقائق العلم ، وسنن الله الكونية ، ومؤلفوها هم من علماء الاسلام ، بل ومن كبارهم ، فهي صورة للاسلام ، ولتفكير المسلمين » .ا.هـ

وقد يظن البعض أن ماذكره المفسرون من الاسرائيليات هو من التاريخ ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فهو ليس من التاريخ في شيء وانما هو من الخرافات والأباطيل والأكاذيب التي برع اليهود في نسج خيوطها واتقنوا أساليب دسها على التاريخ وإيهام الناس بأنها جزء منه . لذلك فان تصنيف المفسرين الى نحويين واخباريين هو من الدقة بمكان لأنه يدل على أن ذكر الاسرائيليات لا يجعل من قام به مؤرخا وانما هو إخبارى ، يستمع الى الاخبار ثم يذيعها إما شفاهة كالقصاص أو كتابة كالمفسرين مثل ابن جرير والثعالبى . أما ابن كثير ، فانه وان حرص على أن يعقب على ماذكره من الاسرائيليات بملاحظات مقتضبة يلفت فيها النظر الى مايوجد من تعارض بينها وبين القرآن الكريم أو ينبه الى عدم لزومها ، إلا أن هذا لا يجعل منه مؤرخا أو عالم تاريخ لأن ذلك يقتضى أن يقوم فضلا عن ذكر الحوادث الماضية ، بإرجاعها الى أسبابها وربطها بنتائجها من جهة وربط بعضها ببعض من جهة اخرى واستخدام التحليل العلمي ، وهو مالم يقم به لا ابن كثير ولا غيره من المفسرين . ولو انهم فعلوا هذا لامتنعوا عن ذكر كل ماملأوا به كتبهم من اسرائيليات . ولعلهم رأوا ان ذلك لم يكن مطلوبا حيث إن الشروط التي كان يجب توفرها فيمن يقوم بالتفسير لم تكن تشمل غير ما كان معروفا من علوم في ذلك الوقت وهي خمسة عشر علما ذكرت على سبيل الحصر وهي : اللغة ، والنحو ، وعلم التصريف ، وعلم الاشتقاق ، وعلم المعاني ، وعلم البيان ، وعلم البديع ، وعلم القراءات ، وعلم اصول الدين ، وعلم اصول الفقه ، وعلم اسباب النزول ، وعلم الناسخ والمنسوخ ، وعلم الفقه ، وعلم الاحاديث والسنن ، وعلم الموهبة . وهكذا لا نجد من بينها علم التاريخ ، وعلم الديانات المقارنة ، وعلم الانسان (الأنثروبولوجيا) وعلم الاجتماع وعلم النفس وعلوم الاقتصاد والسياسة

والقانون والعقاب والاحصاء وكل العلوم التي استحدثت فيما بعد ، على الرغم من أن بعض هذه العلوم كان معروفا في ذلك الوقت كالتاريخ والجغرافيا والفلك والطب ، وهي علوم لاشك في ضرورتها لعملية التفسير نظرا لأن القرآن الكريم يشتمل فضلاً عن الأمور اللغوية والفقهية ، على أمور أخرى تدخل في مجال العلوم المختلفة ، بحيث إن المفسر لايستطيع ان يتصدى لها بالتفسير وهو مطمئن إلا إذا كان جامعا لهذه العلوم .

غير انه يلاحظ عدم وجود المفسر الذي يجمع بين العلوم الكثيرة التي اشترطها العلماء فيمن يقوم بالتفسير ، وانما كان المفسرون إما نحويين ، او متكلمين ، أو فقهاء أو إخباريين فغلب على تفاسيرهم هذا العلم او ذاك واهمل ماعداه .

واذا كانت قد ظهرت في القرن الرابع الهجري ، بعض كتب التفسير التي تدارك مؤلفوها هذا العيب ، مثل تفسير الألوسي ، الذي جمع فيه بين العلوم المختلفة ، واهتم بذكر الآراء وأدلتها في كل مسألة من المسائل ، وعرض الأقوال في رواياتها المختلفة ورجح بعضها على بعض ، مستعينا في ذلك بالجهود السابقة التي قام بها المفسرون من مختلف التخصصات العلمية ، وهو مايسره له ماكان عليه من سعة اطلاع على أقوال من سبقوه وأعمالهم ومؤلفاتهم ، بالاضافة الى الزيادة المستمرة في المؤلفات العلمية في مختلف الميادين والتي أعقبت حركة الترجمة والتأليف الا ان مافعله الألوسي وغيره من المفسرين لايمكن ان ينظر اليه باعتباره غاية المطاف ، وإنما هو مرحلة ، في مشوار طويل يكاد أن يكون بدون نهاية ، اللهم الا اذا سلمنا بأن نمو العقل الانساني ، بما يصاحبه من تقدم علمي يمكن ان تكون له نهاية معروفة للانسان . ولما كنا نسلم ونؤمن بأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ، فإن ذلك يقتضي منا التسليم والايمان أيضا بأن هذه الصلاحية لا تعني الجمود عندما وضعه المفسرون في عصرما من تفاسير سواء استندوا فيها الى الرأي والاجتهاد أم برهنوا على صحتها بالمأثور والمنقول وتوصلوا إليها بمناهج ، لا نقول إنها غير صالحة ، وإنما نقول انها لم تعد كافية وحدها لاستخلاص ما في القرآن الكريم من معان ومفاهيم وأدلة وبراهين تؤيد القول بصلاحيته لكل زمان ومكان ؟

ومما لاشك فيه ان القرآن الكريم الذي قال الله تعالى عنه « **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين** » النحل / ٨٩ هو كتاب شامل كامل يستطيع الانسان أن يستمد منه مايفيده في دنياه وينفعه في اخراه بحسب تطوره العقلي ، ففيه الثابت وهو الأحكام ، وفيه المتغير وهو ماعدا الأحكام من أخبار وقصص ، وهذه تخضع في فهمها وتفسيرها لما بلغه العقل من تطور وما أحرزته العلوم المختلفة من تقدم ولقد قال الله تعالى في محكم كتابه « **سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق** » فصلت / ٥٣ ومعناه أن آيات الله لا تنتهي ، وإنما هي مستمرة متصلة لكي تواجه النمو

العقلي للبشر وما تحرزه علومهم من تطور وتقدم وهو مايفرض علينا أن نستخدم مناهج جديدة في التفسير لم يعرفها أسلافنا من المفسرين ومن بين هذه المناهج التي تتميز بأهمية خاصة منهج البحث والتحقيق التاريخيين والأساليب المتبعة في العلوم المستحدثة كعلم الانسان « الأنثروبولوجيا » وعلم الآثار وعلم الاقتصاد وعلم الديانات المقارنة وغيرها ولعل المثال التالي يبين لنا أهمية استخدام هذه العلوم والمناهج . ففي سورة أهل الكهف جاء على لسان الفتية قولهم : « **إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا ابدا** » الكهف / ٢٠ فكلمة الرجم التي وردت في الآية فسرها المفسرون في كل كتب التفسير على أنها الجزاء الذي يقتل به الانسان رميا بالحجارة وإن كان بعض المفسرين قد تأول الكلمة فقال ان معناها يرمونكم بالسب والشتم .

وعلى الرغم من أن الصحيح هو القتل رميا بالحجارة ، الا ان هذا ليس هو المقصود من ذكر كلمة الرجم والا لكان يكفي ان يذكر الله تعالى كلمة القتل فيقول : « انهم ان يظهروا عليكم يقتلوكم » فسواء أن يقتلوا بالسيف أو رجما بالحجارة أو بوكزهم أو بأي طريقة أخرى ولكن الله تعالى بذكره كلمة الرجم دون غيرها من الكلمات قصد أن يوجه نظرنا الى أمر لم ينتبه إليه المفسرون . ومما يؤيد هذا الاستنتاج أنه في قصة ابني آدم . قال تعالى : « **فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله** » المائدة / ٣٠ فلم يبين لنا الطريقة التي قتله بها وهل فعل ذلك برجمه أو بضربه بآلة حادة أو خنقا أو بإلقائه من شاهق أو بغير ذلك من طرق لا لشيء الا لأن طريقة القتل ليست بذات أهمية أو دلالة خاصة ، بعكس الحال في قصة موسى مع المصري الذي قتله بأن وكزه وكزة أودت بحياته . فقد ذكر الله الطريقة التي حدث بها القتل لما لها من دلالة على أن موسى عليه السلام لم يكن يقصد القتل وانما حدث ذلك نتيجة خطأ لما كان عليه موسى من قوة بدنية ملحوظة « **فوكزه موسى فقضى عليه** » القصص/ ١٥ وكذلك في قصة اصحاب الكهف ، فان ذكر طريقة القتل وهي الرجم لها دلالة خاصة وهي أن قوم الفتية كانوا يرجمون من يرتد عن دينهم ، فكأن الله سبحانه وتعالى يشير بهذه الطريقة الى قوم بعينهم ، فلو أننا استخدمنا منهج البحث التاريخي وأضفنا إليه ماتوصلت إليه الدراسات الأنثروبولوجية بخصوص الطرق المختلفة التي كانت الجماعات القديمة تعاقب بها من يخرج على دينها من الأفراد المنتمين إليها لاستطعنا أن نحدد من هم قوم الفتية .

لقد ثبت علميا أن اليهود دون غيرهم من الشعوب هم الذين كانوا يعاقبون من يخرج على دينهم بالرجم بالحجارة شأنه في ذلك شأن من يزني . أما الشعوب الاخرى التي عاصروها كالمصريين القدماء والفرس والاغريق والرومان ثم العرب ، فإنها لم تستخدم الرجم كعقوبة وبخاصة بالنسبة لمن يرتد عن دينه ، ولم يعرفه العرب إلا بعد الاسلام الذي جعله عقوبة للزاني المحصن فقط ، أما المرتد

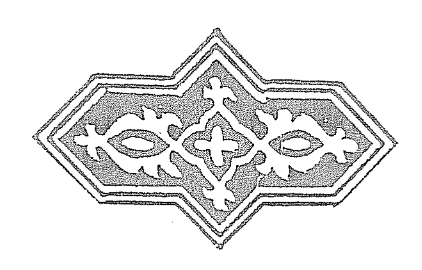
فانه يقتل بالسيف وليس بالرجم . وقد ترددت في كتب السيرة قصة اليهوديين اللذين زنيا وكيف ان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى باعدامهما رجما ، لما احتكم اليه اليهود بشأنهما وكيف أنهم تعمدوا اخفاء آية الرجم من التوراة فكشف عنها أحد أحبارهم .

أما فيما يتعلق برجمهم من يعتبرونه كافرا بدين آبائه ، فـان المؤرخ (ديورانت) يروي في كتابه أن أحد الشمامسة الذين عينوا للاشراف على جماعة المهتدين (النصارى) واسمه اصطفانوس او (استيفن) استدعى للمثول امام السنهدرين (المجلس اليهودي الأعلى) واتهم بأنه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله فدافع الرجل عن نفسه دفاعا قويا لم ينكر فيه إيمانه بالمسيح مما أثار غضب السنهدرين فأمر بأن يجر إلى خارج المدينة ويرجم بالحجارة .

أما الرومان الذين يقول كل المفسرين تقريبا ، إن فتية الكهف كانوا منهم أومن أشرافهم ، فانهم لم يكونوا يعاقبون من يتركون دينهم او يعتنقون المسيحية بالرجم بل كانوا يعذبونهم او يضربونهم حتى الموت أو يلقون بهم الى الحيوانات المفترسة لتلتهمهم وهم أحياء وذلك في احتفالات عامة ، أو يجبرونهم على قتل بعضهم بعضا في مصارعات علنية أمام الجمهور أو بغير هذه الطريقة أو تلك ولكن ليس بالرجم الذي لم يرد له ذكر في كتب التاريخ باعتباره طريقة للقتل .

ومما يذكر في هذا الصدد أن الأمبراطور دومينيان الروماني حكم على ابن عم له بالاعدام بتهمة كفر بدين يتصل باليهودية ، ويقصد بدون شك المسيحية ولم يكن تنفيذ العقوبة بالرجم بل بالقتل بالسيف .

وعلى الرغم من أن تفسير المنتخب الذي أصدره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية قد رجح أن يكون أصحاب الكهف من اليهود إلا أنه لم يستدل على ذلك بنوع العقوبة التي قالوا إن قومهم قد يوقعونها عليهم إذا وجدوهم وإنما استدل بما لحق باليهود من اضطهاد على أيدي الرومان . وهو استدلال ضعيف ، حيث إن الفتية وإن كانوا من اليهود أصلا ، إلا أنهم كانوا قد اعتنقوا المسيحية فاعتبروا مرتدين عن اليهودية . وهو ماسوف يظهره التحقيق التاريخي المتفق مع الآيات والله تعالى أعلم .





للأستاذ/ محمود بيومي

○ الرسول يعين قادة الجيش في أول صراع بين المسلمين والروم .

خاض المسلمون العديد من المعارك الحربية دفاعا عن العقيدة الاسلامية ، التي استهدف اعداء الاسلام العمل للقضاء عليها وعلى المسلمين الذين آمنوا بها

واعتنقوها .. ومن أولى المعارك التي خاضها المسلمون خارج الجزيرة العربية .. معركة مؤتة .. التي دارت رحاها منذ ١٣٩٧ عاما .. وبالتحديد في جمادي الأولى من

العام الثامن الهجري .

وبلدة « مؤتة » التي دارت على أرضها أحداث هذه المعركة الخالدة في وجدان التاريخ الاسلامي .. تقع اليوم في نطاق المملكة الأردنية الهاشمية الى الجنوب من مدينة « الكرك » بحوالي ١٢ كيلومترا .. ويعود تاريخها الى أقدم العصور - العصر الحديدي والروماني - كما اشتهرت « مؤتة » في العصر البيزنطي .. بصناعة السيوف ..

وقد زرت بلدة « مؤتة » وشاهدت آثار هذه المعركة الاسلامية الأولى .. والتي ظلت صامدة رغم عوادى الزمن .. تحكى للأجيال قصص البطولات الاسلامية التي ما نزال نرددها حتى اليوم .. كما نالت هذه الآثار حظا وافرا من اهتمام المسلمين ..

أسباب المعركة

قد يكون من الغريب في نظر البعض .. أن نلجأ الى تحليل الدوافع والأسباب التي أدت الى نشوب هذه المعركة التي دارت رحاها في الصدر الأول من التاريخ الاسلامي وفي عهد الرسول عليه الصلاة والسلام .. ولكنها ضرورة للرد على المؤرخين الغربيين الذين يعتبرون هذه المعركة عدوانا إسلاميا على المناطق المحيطة بالجزيرة العربية .. ويعتبرونها هزيمة للقوات الاسلامية .. ومجالا في ذكرى هذه المعركة .. كي تتعرف الأجيال المسلمة الشابة على حقائق التاريخ الاسلامي .

أما أسباب هذه المعركة .. فهي أن الرسول عليه الصلاة والسلام .. بعد أن عقد صلح الحديبية مع قريش في عام ٦ هجرية .. بعث برسائل الى الملوك والأباطرة - في ذلك الوقت - يدعوهم الى الاسلام .. فأرسل الحارث بن عمير الأزدي ومعه رسالة الى أمير بصرى الشام .. فقتله شرحبيل بن عمرو الغساني حاكم مؤتة وهو في الطريق .

ثم أرسل النبي صلى الله عليه وسلم .. سرية الى « ذات أطلاح » بقيادة عمرو بن كعب الغفارى .. تضم ١٥ رجلا .. وفي المكان الذي يقع بين الكرك والطفيلة .. دعا أعضاء السرية الناس الى الاسلام .. فرفضوا وقاموا بقتل اعضاء السرية جميعا .. ولم ينج منهم سوى أحد الجرحى الذي تحامل على نفسه حتى وصل الى المدينة .

كما أن القبائل القحطانية - والتي كانت تقيم في شمال الحجاز قد تكررت اعتداءاتها على قوافل المسلمين .

يضاف الى ذلك أن البيزنطيين قد اهتموا بالدعوة الاسلامية بعد أن هاجم المسلمون « دومة الجندل » أكثر من مرة .. وتحالف الروم مع بعض القبائل العربية وتجمعوا على أطراف الأردن المتاخمة للحجاز .

كل هذه الاعتداءات والانتهاكات كانت من الأسباب التي أدت الى قيام معركة مؤتة .. وهدفها تأديب المعتدين وتعريفهم بالقوة الاسلامية واختبار قوة اعداء الاسلام .

الإعداد للمعركة

تم اعداد الجيش الاسلامي من ثلاثة آلاف مقاتل وقد حدد الرسول عليه الصلاة والسلام اسماء القادة فقال : « أمير الجيش زيد بن حارثة ، فان قتل فجعفر بن أبى طالب ، فإن قتل فعبد الله بن رواحة ، فإن قتل عبدالله بن رواحة ، فليرتض المسلمون من أحبوا .. »

واتجه الجيش الاسلامي الى الجوف « دومة الجندل » ومنها اتجهوا شمالا الى « قعان » وأقاموا بها يومين .. بينما اتجهت جيوش الروم الى « مؤاب » من أرض « البلقاء » وقد بلغ عدد جنود الروم مائة ألف جندى وانضم اليهم مائة ألف مقاتل من رجال القبائل العربية المعادية للاسلام والمسلمين .

الروح المعنوية لجنود الاسلام

أمام هذا العدد الهائل من جنود أعداء الاسلام .. أخذ المسلمون ينظرون في أمورهم .. حيث لا تتوازن القوات المتحاربة .. فالجيش الاسلامي لا يزيد عن ثلاثة آلاف مقاتل .. في حين أن قوات العدو قد بلغت مائتي ألف من المحاربين .. وقال بعضهم : نكتب الى رسول الله فنخبره بعدد عدونا .. فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له » .

فقام عبدالله بن رواحة برفع الروح المعنوية لجنود الاسلام قائلا : « يا قوم .. والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة .. وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة .. ما نقابلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به .. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين .. إما ظهور و إما شهادة » .

ودارت معركة مؤتة !!

مضى الجيش الاسلامي من « معان » حتى بلغ بلدة « مشارف » ومنها الى « مؤتة » حيث كانت قوات الروم والعرب .. وانتشرت القوات الاسلامية .. فجعلوا على ميمنة القوات قطبة بن قتادة العذري ، وعلى ميسرتهم عباية بن مالك الأنصارى قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك ودارت المعركة .. فقاتل زيد بن حارثة حتى استشهد .. فأخذ الراية جعفر ابن أبى طالب وقاتل الروم .. ولما اشتد القتال نزل عن فرسه وهجم على العدو .. فقطعت يده اليمنى التي تحمل الراية .. فأخذها بشماله فقطعت .. فاحتضن الراية بعضديه حتى استشهد .. فأخذها عبدالله بن رواحة وواصل الجهاد والقتال حتى كتبت له الشهادة .

القيادة الجديدة
ومتغيرات الخطة الحربية

بعد استشهاد القادة الذين اختارهم الرسول عليه الصلاة

والسلام .. آلت القيادة الى خالد بن الوليد .. فأخذ يصول ويجول في المعركة .. حتى تحطمت في يده تسعة أسياف .

وقد أحدث القائد الجديد خالد بن الوليد .. بعض المتغيرات في الجيش الاسلامي .. فجعل مقدمته مؤخرته .. ومؤخرته مقدمته .. وميمنته ميسرته .. وأثار الغبار من خلفه .. وبدأ خالد بن الوليد في الانسحاب وفق خطة محكمة .. بحيث تركت انطباعا لدى العدو .. في أن هذا الانسحاب مجرد خطة حربية تستهدف استدراجهم الى الصحراء تمهيدا للقضاء عليهم .. فرفضوا اللحاق بهم .. وهكذا عادت القوات الاسلامية الى المدينة سالمة .

خسائر المعركة

لاشك أن أية معركة حربية .. لابد أن ينتج عنها بعض الخسائر في الجانبين المتحاربين .. ومعركة مثل معركة مؤتة .. لاتتوازن فيها القوى البشرية المتصارعة .. ويستشهد قوادها الثلاثة وتضطر هذه القوات الى الانسحاب .. مما قد يعطى بعض المدلولات على أن الخسائر في الأرواح في الجانب المنسحب من ساحة الحرب .. قد بلغ آلاف القتلى .. ولكن الأمر الواقع قد جاء على غير كل التوقعات .. اذا علمنا أن الخسائر في الجيش الاسلامي في هذه المعركة .. قد بلغ تسعة من الشهداء غير القواد الثلاثة .. وهي في الحسابات الحربية وبمنطق عسكرى بحت لا تعد من الخسائر على الاطلاق .

شهداء معركة مؤتة

لقد سجل التاريخ الاسلامي .. أسماء شهداء معركة مؤتة ..

كما تم إنشاء متحف اسلامي يضم الآثار التي عثر عليها من مخلفات هذه المعركة .. والشهداء هم :

- زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي .
- جعفر بن ابى طالب .
- عبدالله بن رواحة الأنصارى الخزرجى .
- مسعود بن الأسود بن حارثة .
- وهب بن سعد بن ابى سرح .
- عباد بن قيس .
- الحارث بن النعمان بن أساف بن غنم .
- سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .
- أبو كليب بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول .
- جابر بن عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول .
- عامر بن سعد بن الحارث بن عباد .
- عمرو بن سعد بن الحارث بن عباد .

خسائر جيش المشركين

وعلى الجانب الآخر .. وإن كنا لا

نعلم على وجه اليقين اعداد القتلى .. فان حديث خالد بن الوليد عن معركة مؤتة يقول : « لقد اندقت في يدى يوم مؤتة تسعة أسياف وما صبرت في يدى الا صفحة يمانية » وما تحمله هذه العبارة من معنى .. لقد تكسرت السيوف في صدور ورقاب المشركين .. كما أن القادة قد استشهدوا بعد أن أصابوا عدوهم بخسائر فادحة في الأرواح .. وكذلك باقى الشهداء والمقاتلين .

الجبهة الداخلية

عندما عادت قوات الجيش الاسلامي بقيادة خالد بن الوليد .. إلى المدينة .. خرج الناس يرمون على الجيش التراب ويقولون : يا فرار فررتم في سبيل الله ! ولكن الرسول الكريم الذي أدرك جميع ظروف المعركة قال : « ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار إن شاء الله تعالى » .

وقد أعلم الله تبارك وتعالى .. رسوله الكريم بكل ما كان يجرى في مؤتة - قبل أن تعود القوات الى المدينة - فقد روى عن اسماء بنت عميس الخثعمية - زوجة جعفر بن ابي طالب - أنها قالت : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويدى في عجين فقال : يا أسماء .. أين ولدك ؟ فأتيته بعبدالله ومحمد وعون .. فأجلسهم جميعا في حجره وضمهم إليه ومسح على رؤوسهم ودمعت عيناه .. فقلت : بأبى وأمى أنت يارسول الله .. لم تفعل بولدى كما تفعل بالأيتام .. لعله بلغك عن جعفر شيىء ! فغلبته العبرة وقال : رحم الله جعفرا ، فصحت واويلاه واسيداه .. فقال : لا تدعى بويل ولا حرب ، وكل ما قلت فأنت صادقة .

على جعفر فلتبك البواكى

وتستمر أسماء زوجة جعفر في سرد روايتها مع الرسول عليه الصلاة والسلام فتقول : فصحت .. واجعفراه فسمعت صوتى فاطمة بنت رسول الله .. فجاءت وهي تصيح .. وا ابن عماه ، فخرج رسول الله يجر رداءه ، ما يملك عبرته ، وهو يقول : على جعفر فلتبك البواكى .. ثم قال : يا فاطمة اصنعى لعيال جعفر طعاما فانهم في شغل ، فصنعت لهم طعاما ثلاثة ايام ، فصارت سنة في بنى هاشم .

إعلام الجبهة الداخلية بحقائق المعركة

لقد وضع الرسول صلى الله عليه وسلم .. أسس الاعلام الصادق الذي يستهدف اعلام الجبهة الداخلية بحقائق سير المعارك الحربية حين جمع الناس بالمسجد وقال لهم « باب خير .. أخبركم عن جيشكم هذا الغازي وأنهم انطلقوا ، فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيدا ، ثم أخذ اللواء جعفر فشد على القوم حتى قتل شهيدا .. ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة فأثبت قدميه حتى قتل

شهيدا .. ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد .. ولم يكن من الأمراء .. هو أمر نفسه .. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم انه سيف من سيوفك فأنت تنصره .. ثم قال صلى الله عليه وسلم عن جعفر رضي الله عنه « أثابه الله بجناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء » .

حدث ذلك أيضا .. قبل أن تعود قوات المسلمين الى المدينة .. وقد كانت معركة مؤتة اول حلقة من سلسلة الصراع بين المسلمين والروم .. والتي كان لها أثر كبير في التعرف على قوة الاعداء وطرق إعدادهم الجيوش وخططهم في الهجوم والدفاع .. ولاشك أن المسلمين قد استفادوا من هذه المعركة .. وأدركوا أن الاسلام لا يستقر له قرار الا بالقضاء على هذا العدو .. وهذا ما تحقق فعلا مع الأيام .

الآثار الاسلامية في مؤتة

نالت مؤتة والمزار .. التي دارت على أرضهما أحداث أول معركة اسلامية يخوضها المسلمون خارج الجزيرة العربية .. الكثير من الاهتمام .

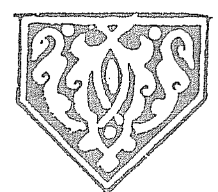
فقد قام قسم الآثار الاسلامية بوزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الاسلامية بالأردن .. باجراء حفريات لمدة ثلاث سنوات بدأت عام ١٩٧٦ وانتهت عام ١٩٧٨ ميلادية أسفرت عن العثور على عدد من قطع العملة والأدوات الفخارية والنقوش الأثرية وقد حفظت في المتحف الاسلامي .

أما مسجد عبدالله بن رواحة .. فيقع في بلدة مؤتة ويبلغ طوله ١٥ مترا وعرضه ١٠ أمتار .. ومحراب المسجد واضح وقطره ٨٥ سم .

وأقدم الآثار التي اطلعنا عليها .. لوحات رخامية عليها كتابات بخط كوفي جميل .. يتبين منها أن الفاطميين والأيوبيين والمماليك قد اهتموا بهذه الآثار وجددوها في عام ٧٢٧ هجرية وعام ٧٥٢ هجرية .. كما اهتم سلاطين الدولة العثمانية بتجديدها عام ١٣٣١ هجرية .

وفي الفترة من عام ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤ ميلادية قامت السلطات الأردنية ببناء مسجد كبير ذى ثلاث قباب في هذه المواقع الأثرية ..

وفي عام ١٩٧١ ميلادية .. قامت وزارة الأوقاف والمقدسات الاسلامية بالاردن باجراء خطة لتطوير الموقع وابرازه وامداده بالخدمات اللازمة .. كما قامت بانشاء متحف إسلامي في منطقة المزار يضم الآثار الاسلامية من مختلف العصور .





الإسلام وبناء المجتمع الإنساني والحضاري

● للأستاذ/محمد نعيم عكاشة

مستحدثات العصر كثيرة ومتنوعة ، ولكل منها خواصه وأغراضه .. وقد نهى الاسلام عن أمور وحث على أمور فإن كان المستحدث ينطوي تحت ما أجازه الاسلام أصبح مقبولا وحسنا ما دام فيه نفع للناس ، وصلاح لأحوال العباد .. وإن كان هذا المستحدث يدخل في أمر منهى عنه ، أو يثير الريبة والشك ، فإن ذلك لا يجوز ويدخل في قوله عليه الصلاة والسلام : « إن شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » رواه النسائي

إن باب الحلال متسع يتسع للعديد من مستحدثات العصر إن أريد الاستمساك بالدين .. وكل من يتأمل الاسلام بالتأمل المجرد والنظر المستأني سيجد لديه وافر العطاء ، لأنه تنزيل من رب العالمين الذي خلق الانسان وشرع له ، وهو الحكيم الخبير ..

فمثلا شركات المساهمة حلال .. والشركات الصناعية حلال .. والمؤسسات الزراعية حلال ..والتعاونيات حلال .. وهكذا إن تجنبنا المنهيات فإن باب الحلال

واسع ، ولكن الخطأ كل الخطأ التأويل فيما لا يحتمل التأويل ، ومحاولة اخضاع الشريعة لكل ما يجد من مستحدثات بلا روية ، وبغير بحث واستقصاء ..

وباعتبار الاسلام خاتم رسالات الله للبشر جميعا فقد زاد على تعاليم الاديان السابقة بما يحتاج إليه الناس في واقع حياتهم اليومية ، وبما يهيء لهم كل أسباب التقدم والرقي .

الاجتهاد مطلوب ولكن بشروطه :

كما أن الاجتهاد مقرر في الشريعة الاسلامية ولكن بشروطه ، وهو عامل مهم في انفتاح الشريعة واتساعها على جميع الأجيال .. وليس أبلغ في الدلالة على مشروعية الاجتهاد في الاسلام من قصة معاذ بن جبل حينما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن :

قال له الرسول : كيف تصنع إن عرض لك القضاء ؟

قال : أقضي بما في كتاب الله

قال الرسول ؛ فإن لم يكن في كتاب الله .

قال : فبسنة رسول الله .

قال الرسول : فإن لم يكن في سنة رسول الله .

قال : اجتهد برأيي ولاآلو .

قال الرسول وهو يضرب على صدر معاذ : الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي رسول الله،رواه الترمذي .

وكان الاجتهاد موجودا في حياة رسول الله ووردت بشأنه روايات كثيرة .. وكان موجودا أيضا في عهد الصحابة عندما لجأوا إلى الأخذ بالاجتهاد الذي تحول في بعض صوره إلى القياس ثم الأخذ باجماع المسلمين ثم بعد ذلك الاستحسان والمصالح المرسلة .. الخ .

ولقد أثر عن عمر رضي الله عنه أنه لما ولي « شريحا » أمر القضاء في الكوفة قال له : « اقض بما استبان لك من قضاء رسول الله ، فإن لم تعلم كل أقضية رسول الله فاقض بما استبان لك من أئمة المهتدين ، فإن لم تعلم ما قضت به الأئمة المجتهدون ، فاجتهد رأيك واستشر أهل العلم والصلاح » .

والاسلام وهو خاتم الرسالات السماوية جاء ليطور المجتمع الانساني كله ويخرجه من الظلمات الى النور .. فقد نشأ في مجتمع جاهلي تسوده العصبيات القبلية ، ويشيع في اركانه الجمود والتخلف الفكري فاستطاع بدعوته الجديدة أن يغير مفاهيم وعادات أقوام هذا المجتمع من الخطأ إلى الصواب ، ومن الباطل إلى الهدى .

ثم حث على ابتكار سنن وأنماط للسلوك الحسن . والابتكار أساس التطور ، ففي الحديث : (من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ، ولا ينقص من أجورهم شيء) .. رواه مسلم وفي الحديث : (إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها) رواه الحكم وصححه .. ، والتجديد سمة من سمات الاسلام ولا

يوجد في شريعته ما يتنافى مع الحضارة أو يخالف الحياة العصرية كما يشيع خصومه ، بل هو في أساسه دعوة إنسانية حضارية ترتكز على الفضيلة ومكارم الأخلاق .. وقد رأينا كيف ساد المسلمون الدنيا عندما اتبعوا منهج القرآن الكريم .. هزموا أكبر دولتين على وجه الأرض : الروم والفرس .

وامتدت فتوحاتهم إلى معظم جزيرة العرب والشام والعجم ومصر وشمال افريقيا جميعه وأسبانيا ، وأشرق الهلال على برج صوفيا في استانبول وترددت على أسوار فيينا صيحات « لا إله إلا الله محمد رسول الله »

وتواصلت انتصارات الاسلام في شتى الأمصار والأقطار ..

ووثب المسلمون في زمن قياسي إلى حضارة فاقت كل الحضارات السابقة .. حضارة انعكست على العالم بأسره وأثرت في رقيه وتقدمه وازدهاره .. هذا ما شهد به التاريخ وتناوله المنصفون من فلاسفة ومفكري أوروبا في كتب ومؤلفات عديدة ..

يقول جاك ريلز في كتابه « الحضارة العربية » .. في خمسة قرون سيطر الاسلام على العالم بقوته وعلومه وحضارته المتفوقة ولكونه الوارث لكنوز العلوم والفلسفة الاغريقية ، نقل الاسلام هذه الكنوز بعد أن أغناها بالفكر الاسلامي إلى أوروبا الغربية ، ووسع آفاق الفكر الأوروبي في القرون الوسطى ، وترك ملامحه العميقة على الحياة والفكر الاوروبيين ..

وفي كتاب « دفاع عن الاسلام » للدكتورة الايطالية لورافيشيا .. تقول : « كيف نستطيع أن نقول إن الاسلام عاق نمو الثقافة في القرون السالفة ونحن نعلم ان بلاطات الاسلام ومدارسه كانت آنذاك منارات ثقافية لأوروبا الغربية الغارقة في ظلمات القرون الوسطى ، وأن أفكار الفلاسفة العرب بلغت وقتها منزلة رفيعة جعلت من العلماء الغربيين يقتفون آثارهم .. وختمت كتابها قائلة : إلى هذا المصدر الصافي دون غيره سوف يرجع المسلمون فإذا نهلوا مباشرة من معينه المقدس فحينئذ سيعيدون قوتهم السابقة .. »

ويقول هيل في كتابه « حضارة العرب » إن جميع الدعوات الدينية قد تركت أثرا في تاريخ البشر ، وكل رجال الدعوة والأنبياء قد أثروا تأثيرا عميقا في حضارة عصرهم وأقوامهم ولكنا لا نعرف في تاريخ البشر أن دينا قد انتشر بهذه السرعة وغير العالم بأثره المباشر ، كما فعل الاسلام ، ولا نعرف في التاريخ دعوة كان صاحبها سيدا مالكا لزمانه ولقومه كما كان محمد» .. صلى الله عليه وسلم .

إن ما روي عن حضارة الاسلام ومآثره يطول ذكره .. وخلاصة القول أن المسلمين هم :

- أبناء خير أمة أخرجت للناس ..
- اجتمعوا على كتاب واحد ، وحول هدي رسول كريم ، فأنتجوا تلك القوة التي بهرت العالم .. والأمن الذي حفظ النفس والدم والمال

والعرض .

■ولما ابتعدوا عن نهج القرآن الكريم ، مال حالهم إلى التخلف والتأخر ، وليس الدين .. كما يدعي الملاحدة والماديون - هو السبب في ضعف المسلمين فالعقيدة الصحيحة تدفع إلى العمل الصالح المثمر ، وتشكل النشاط القائم على العلم وإعمال الفكر ، وتوفق بين مطالب الروح والجسد .. والاسلام في جوهره تشريع وأخلاق وآداب .. وقد ثبت حينما طبق تطبيقا كاملا أنه أصلح نظام للحياة في كل زمان ومكان ، وذلك بعكس الأنظمة المادية التي تبين بالتجربة فسادها . وعلى سبيل المثال : عجزها في توفير الأمان والاستقرار اضف اليه في النظام الشيوعي : انعدام الحريات وإهدار حقوق الانسان ..

الاسلام والأخلاق :

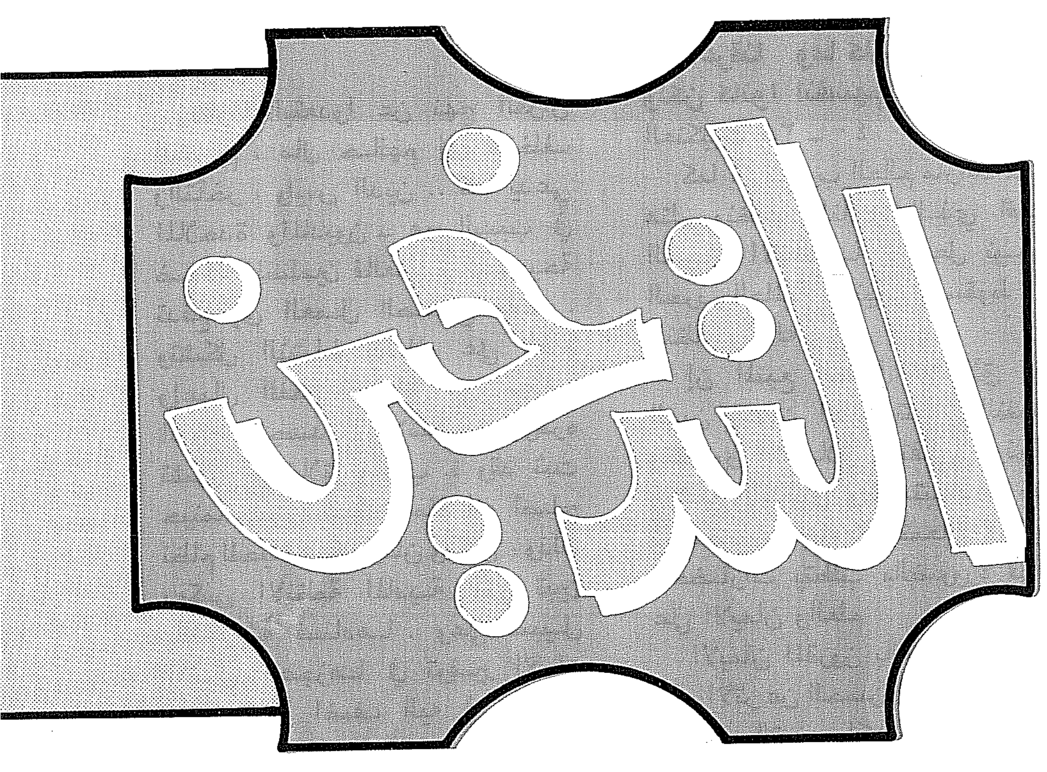
وقد حكى لنا القرآن الكريم ما حدث للأمم السابقة التي اقامت حضارتها على الماديات دون رعاية للايمان والأخلاق .. « **وعادا وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين ● وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين ● فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** » .. العنكبوت ٣٨ - ٤٠

كما أن شعوب العالم مازالت تذكر هتلر ونظامه النازي الذي أفسد الحياة الانسانية واشعل نيران الحرب العالمية الثانية .. وسقوط هذا النظام وزواله .

إن المنبع الصافي للأخلاق هو الدين وبدون الدين تتمزق النفوس وتتدهور الاخلاق وتتفشى الرذيلة ويشيع الطغيان والاستبداد .. ومن ثم نجد ان بناء المجتمعات وتطوير الحضارات يتطلب بالضرورة قيامه على الايمان والعلم ..

الايمان المقرون بالعمل المخلص ، ففي الأثر عن الحسن البصري : ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل .. بالعلم النافع والمتقن الذي يكشف ويخترع بهدف إشاعة الأمن والرخاء وسعادة البشر .. « **ولكل درجات مما عملوا** » الاحقاف ١٩ .. « إن الله يحب إذا عمل احدكم عملا أن يتقنه » رواه البيهقي .. فالدين يربي الضمائر الحية ويهيىء الفرد ليكون عضوا نافعا في المجتمع يؤدي واجبه بإخلاص وامانة ابتغاء لمرضاة الله ورضوانه ..

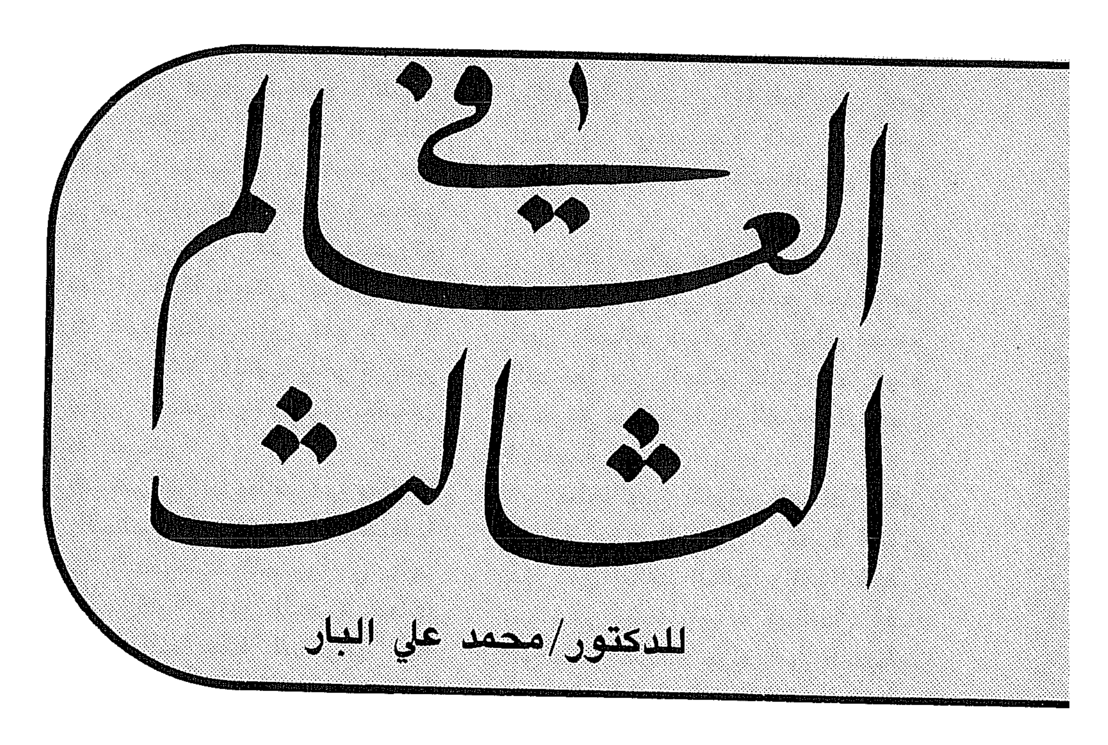
على هذا الأساس قام المجتمع الاسلامي في ماضيه وأدى إلى نبوغ العرب في مختلف العلوم والمعرفة ، وإلى تطورهم السريع في شتى المجالات .. وهو أيضا ما نحتاجه اليوم في بناء حياة التقدم والرخاء .



لقد ازداد انتاج التبغ في العالم . ويقدر عدد السجائر المنتجة سنويا بأربعة آلاف بليون سيجارة أو ما يوازي سيجارتين لكل شخص في العالم يوميا .. ويبلغ ثمنها مائة بليون دولار امريكي سنويا ..

ويسيطر على الانتاج العالمي للسجائر ست شركات عالمية مع بعض الشركات التي تملكها أو تتحكم فيها الدولة مثل اليابان والاتحاد السوفييتي والصين الشعبية .. ورغم أن الدول النامية تنتج ٦٣٪ من جملة الانتاج العالمي للتبغ إلا أن الشركات الاحتكارية الست العظمى تتحكم في هذا الانتاج بقدرتها على شرائه وصناعته وتسويقه .. بينما لا تمتلك الدول المنتجة من العالم الثالث أي تأثير يذكر على إنتاجها من التبغ ، وتملك الشركات الكبرى وسائلها التي لا تحد في التحكم في إنتاج التبغ في العالم الثالث بواسطة نفوذها على الحكومات وبمجموعة من الشركات التي يساهم فيها بنسبة بسيطة بعض من لهم النفوذ في أقطار العالم الثالث .. ويكفي أن نذكر أن شركة واحدة هي فيليب موريس تنتج وتبيع أكثر من ١٧٥ نوعا من السجائر في ١٦٠ دولة وتتحكم في ٢٥ شركة مصنعة للسجائر ومجموعة من الشركات المتخصصة بتسويقها ..

وقد نمت هذه الشركات نموا هائلا في السنوات الأخيرة في العالم الثالث



وللأسف تقوم حكومات الدول الغربية الكبرى بتشجيع هذه الشركات الاحتكارية والتي نجحت في تحقيق مكاسب خيالية من جراء بيع السجائر للعالم الثالث . وقد قامت الملكة اليزابث الثانية ملكة المملكة المتحدة بإعطاء جائزة التصدير الأولى لشركات التبغ مما حدا بمجلة اللانست الطبية المحترمة أن تكتب مقالا في عددها الصادر في ٧ يناير ١٩٨٤ بعنوان « **تدخين العالم الثالث تجارة الرقيق الجديدة** » .

واعتبرت المجلة قيام الملكة بتقليد شركات التدخين (شركة روثمان بالذات) وسام التصدير عام ١٩٨٣ كارثة أخلاقية ، حيث تقوم ملكة بريطانيا بتشجيع شركات التبغ على تسميم العالم الثالث ونشر الموت فيه .. وهو يشبه حرب الأفيون التي شنتها بريطانيا العظمى على الصين في عهد الملكة فيكتوريا .. والتي اضطرت الصين بعد هزيمتها إلى السماح لبريطانيا بنشر الأفيون والاتجار فيه في الصين . وقد استمرت حرب الأفيون من عام ١٨٣٩ إلى عام ١٨٤٢ .. ولقد وقف جلانستون في مجلس العموم البريطاني في عشية الحرب قائلا : أنا لا أعرف أية حرب أكثر ظلما من أصول هذه الحرب .. ولا أكثر قابلية لرمي بلدنا بالخزي والعار ..

وكان جلادستون هو الوحيد الذي وقف ضد هذه الحرب المخزية بينما كان مجلس العموم ومجلس اللوردات

يصوتون بالاجماع بالموافقة على هذه الحرب من أجل تسميم الشعب الصيني بالأفيون .. وقامت بريطانيا بالتحالف مع فرنسا لحرب الصين مرة أخرى من أجل نشر الأفيون في جميع الاراضي الصينية بعد أن حددته المعاهدة السابقة ببعض الموانىء فقط ودامت هذه الحرب من عام ١٨٥٦ حتى عام ١٨٦٠ وانتهت باحراق قصر امبراطور الصين ومعاهدة تينسين المهينة للصين .

وفي مصر كان لبريطانيا دور فعال في نشر الحشيش والأفيون وعندما حاولت الحكومات المصرية في عهد الانتداب إقامة حرس للحدود جعلت بريطانيا قائد هذا الحرس أحد جنودها وكان ذلك القائد يسمح دوما بتهريب الحشيش والأفيون إلى مصر .

وقامت بريطانيا بنشر زرع الأفيون والحشيش في الهند وما يعرف اليوم بباكستان ، وفي فلسطين أيام الانتداب البريطاني . كما قامت فرنسا بنشر زراعة الحشيش في سوريا ولبنان ودول المغرب العربي ..

وليس مستغربا إذن أن تشجع ملكة بريطانيا الحالية شركات السجائر البريطانية على تصدير سمومها للعالم الثالث ، إذ أن هذه الشركات حققت مبيعات بآلاف الملايين من الجنيهات ، وبلغ صافي الربح لعام ١٩٨٢/٧٤٣ مليون جنيه استرليني .

ويقول تقرير الكلية الملكية للاطباء « الصحة أو التدخين » لعام ١٩٨٣ : إن الولايات المتحدة أدخلت التبغ في برنامجها المسمى « الطعام من أجل السلام » وبموجبه قامت بتكثيف مبيعاتها من التبغ والسجائر إلى العالم الثالث .

وهكذا حتى عندما تقدم الولايات المتحدة ما يسمى ببرنامج الغذاء من أجل السلام تهتم أولا بنشر سموم التدخين على العالم الثالث كما تهتم بتسويق منتجاتها من القمح وغيره من الأطعمة .

وقطعا ليس الغرض انسانيا حتى عندما توزع الولايات المتحدة القمح على دول العالم الثالث وانما الغرض سياسي وتجاري .. وتضمن فيه الولايات المتحدة مزيدا من السيطرة على مقدرات العالم الثالث .

وتملك الشركة الامريكية البريطانية BRITISH AMERICAN TOBAUO CO. أكثر من ١١٩ مصنعا لصناعة السجائر في ٥٢ دولة .. ويكفي أن تعلم أنها تحتكر ٨١ بالمئة من أسواق البرازيل و ٣٩,٨ من أسواق اندونسيا في مجال التبغ .

وتقول منظمة الأغذية والزراعة المتحدة (F.a.o) إن التبغ يزرع حاليا في ١٢٠ قطرا .. وأهم الدول المنتجة للتبغ هي : الاتحاد السوفييتي ، الصين ، الولايات المتحدة الامريكية ، الهند ، البرازيل ، اليونان ، تركيا ، اليابان ، بلغاريا ، كندا ، كوريا (الجنوبية) وزيمبابوي .

والجدول التالي يوضح انتاج ١٩٧٦

الدولة	الكمية المنتجة بالطن	الدولة	الكمية المنتجة بالطن
الصين	١,٠٠٠,٠٠٠	الولايات المتحدة الامريكية	٩٦٠,٠٠٠
الهند	٣٧٠.٠٠٠	الاتحاد السوفييتي	٣١٨,٠٠٠
تركيا	٣٠٠,٠٠٠	البرازيل	٢٥٣,٠٠٠
بلغاريا	١٦٥,٠٠٠	اليابان	١٦٥,٠٠٠
اليونان	١٢٧,٠٠٠	ايطاليا	١٠٠,٠٠٠
بولندا	١٠٠,٠٠٠	اليونان	١٢٧,٠٠٠

وفي الشرق الاوسط زاد انتاج السجائر محليا كما زادت الكمية المستوردة من السجائر . وقد تضاعف انتاج السجائر محليا أربع مرات في الفترة ما بين عام ١٩٥٠ وعام ١٩٧٠ولا تزال الزيادة مستمرة .. وتقدر الكمية المستهلكة من السجائر سنويا في الشرق الاوسط بما يقدر بـ ٨٠ بليون سيجارة وهذا يعني استهلاك ٦٠٠ سيجارة لكل شخص فوق سن الخامسة عشرة . وفي المملكة العربية السعودية كانت كمية التبغ المستوردة عام ١٩٧٢ (وهي أول احصائية تذكرها الغرفة التجارية) ٤,٥٧٥,٠٠٠ كيلو جرام .. وفي عام ١٩٨١ بلغت هذه الكمية المستوردة من التبغ ٣٦,٧٢٢,٥٠٠ كيلو جراما أي أنها تضاعفت تسع مرات تقريبا في أقل من عشر سنوات .. وهي زيادة رهيبة ومرعبة لا مثيل لها في العالم ..

وقد بلغ الثمن الرسمي لهذه الكمية قرابة ألف مليون ريال .. أي بواقع ٤,٥ كيلو جرامات من التبغ لكل فرد من السكان في العالم .

وفي عام ١٩٧٦ احتلت سوريا المرتبة الخامسة في قائمة الدول النامية من حيث استهلاك التبغ للفرد .

كوبا : ٢,٤ كيلو جراما من التبغ للفرد

الارجنتين ٢,٣٤ كيلو جراما من التبغ للفرد

روديسيا ٢,١٩ كيلو جراما من التبغ للفرد

بورما ٢,١١ كيلو جراما من التبغ للفرد

سوريا ٢,٠١ كيلو جراما من التبغ

ويحتل التبغ المرتبة السابعة في العالم من حيث الاراضي المزروعة ويأتي القمح والارز والذرة والصويا والقطن والقهوة .

وهناك قرابة مائة بلد نامي تزرع التبغ .. وتقوم الشركات الكبرى العالمية لصناعة التبغ (ثلاث منها في المملكة المتحدة وثلاث في الولايات

المتحدة وواحدة في فرنسا) بالسيطرة على انتاج دول العالم الثالث سيطرة تامة بواسطة مجموعة كبيرة من الشركات التابعة لها .

وللاسف فإن بعض البلاد النامية تعتمد على التبغ المصدر للعملة الصعبة .. وفي زيمبابوي يعتبر التبغ المصدر الرئيسي للعملات الصعبة.. كما أن زراعة التبغ وصناعته هناك تحتل قائمة الصدارة في عدد العمال والمزارعين الذين يعملون في هذه المهنة . وبما أن زراعة التبغ سهلة نسبيا وبما أن محصوله وثمنه جيد نسبيا فإن زراعته تعتبر بالنسبة للكثير من البلاد النامية مصدر رزق لمجموعة من العمال والرأسماليين وتقرر منظمة فاو التابعة للأمم المتحدة أن التبغ يشكل عائدا اقتصاديا سريعا .

وبما أن استبدال التبغ بمحصولات أخرى مثل الفواكه أو الحبوب يستغرق وقتا وجهدا ومالا فإن كثيرا من دول العالم الثالث لا تحاول جادة في تغيير منهجها في زراعة التبغ .

ولذا فان على المنظمات الدولية والدول المتقدمة أن تقدم المساعدات السخية في هذا المضمار .

وللاسف كما تقول اللانست فان الدول المتقدمة تقدم الأموال لزيادة زراعة التبغ الذي تسيطر عليه شركاتها وقد قدمت بريطانيا ٣,٥ مليون جنيه استرليني لاربع دول من الكومنولث لزيادة مزروعاتها من التبغ وتحسين نوعيته ، وذلك فيما بين عامي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٩ . وعلى العكس من ذلك كان موقف النرويج والسويد إيجابيا حيث قامت هاتان الدولتان بمساعدة المنظمات الدولية مثل الفاو ومنظمة الصحة العالمية في برامجها الرامية الى مكافحة التدخين في العالم الثالث .

الدعاية للتسويق :

وقد قامت شركات التبغ العالمية بصرف مئات الملايين من الدولارات من أجل تسويق مبيعاتها ، واذا كانت الدول الغربية قد فرضت قيودا مشددة على الاعلان عن التدخين في الاذاعة والتليفزيون والصحافة .. إلا أن شركات التبغ لا تزال تقوم بدعاياتها بواسطة اعلاناتها الفخمة وتكفلها بمصاريف المباريات الرياضية والحفلات الموسيقية ورعاية الفنون والمسرح .

أما في كثير من بلاد العالم الثالث فلا تكاد توجد أي قيود على وسائل الاعلان لشركات التبغ .. وتستخدم في كثير من بلاد العالم الثالث جميع وسائل الاعلام من اذاعة وتلفزيون وصحافة . بل أن الاعلانات على الطرقات مليئة بالدعاية للتدخين .

وتقوم الشركات باختيار أسماء مغرية لبعض أنواع سجائرها ،ففي افريقيا هناك نوع منتشر من السجائر يدعى « الحياة » وفي مصر هناك « نفرتيتي » و « كليوباتره » وفي ماليزيا وبنجلاديش ويوغندا « الحياة الطويلة » و « الجنة الجديدة » و « البطل » و « الرياضي » كما يقول

كتاب الكلية الملكية للاطباء « الصحة أو التدخين » .

وتربط شركات التبغ التدخين بالتقدم والذكاء والحياة الدافقة .. وفي كينيا يزداد اتساع سوق التبغ بمعدل ٨٪ سنويا .. وأكثر مجال للتسويق هو لدى الطبقة المثقفة (نسبيا) والذين تتراوح أعمارهم ما بين ٢٥ إلى ٣٥ عاما .

وتتولى شركات التبغ الصرف على المباريات الرياضية الهامة كي يتسنى لها الاعلان عن منتجاتها .. فسباق السفاري للسيارات في شرق افريقيا والذي يشاهده أكثر من أربعمائة مليون في أفريقيا ، تتولى شركة مارلبورو الانفاق عليه . . حتى الصين الشيوعية تتولى شركات التبغ الغربية الانفاق على المباريات الرياضية الكبرى فيها .

ولا تسعى الشركات الكبرى للابقاء على مبيعاتها في العالم الثالث ، بل انها قد نجحت بالفعل في زيادة هذه المبيعات واغراء الاطفال والقصر على اتخاذ عادة التدخين ..

وحتى هذه اللحظة لا توجد دولة واحدة في العالم الثالث تحظر بيع السجائر للاطفال والقصر .

وفي المملكة المتحدة (بريطانيا وشمال ايرلنده) تنفق شركات التدخين اكثر من ١٠٠ مليون جنيه استرليني على الدعاية سنويا . وقد بلغت مصاريف الاعلان عن التدخين في العالم أكثر من ٢٠٠٠ مليون دولار سنويا . وأدى هذا الى زيادة عدد المدخنين في العالم الثالث زيادة كبيرة ففي افريقيا زادت نسبة المدخنين ٣٣٪ ما بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٧٥ .. وفي نفس الفترة زادت نسبة المدخنين في الولايات المتحدة ٣٪ فقط ..

ومنذ عام ١٩٨٠ زاد عدد المدخنين في آسيا بنسبة ٣٣٪ وفي امريكا اللاتينية بنسبة ٢٤٪ وفي افريقيا بنسبة ٣٣٪ بينما كانت شركات التبغ تواجه هبوطا في مبيعاتها في معظم البلاد الغربية يتراوح ما بين ٢ الى ٥ بالمئة .

وفي البلاد الغربية توقف أكثر من خمسة ملايين أمريكي (في الولايات المتحدة) عن التدخين وفي بريطانيا وصل العدد إلى مليون ..وقد أقلع واحد من كل أربعة مدخنين عن التدخين في الدول الغربية .. وأصبح اثنان من كل ثلاثة بالغين لا يدخنون في معظم الدول الغربية .. أي أن ٦٦٪ من السكان البالغين لا يدخنون ، وقد انخفض التدخين بشكل واضح وكبير جدا لدى الاطباء وتبعهم في ذلك المثقفون والطبقات العليا من المجتمع .. وقد بدأ الاطباء في الاقلاع عن التدخين في بريطانيا منذ وقت مبكر أي منذ عام ١٩٥٤ واستمر ذلك في الزيادة إلى يومنا هذا .

وتقول الاحصائيات الحديثة إن انخفاض التدخين بين الرجال هو أشد من انخفاضه بين النساء .

ويوضح الرسم البياني الذي أصدرته الكلية الملكية للأطباء في المملكة المتحدة في كتابها « **الصحة أو التدخين** » مسار تدخين التبغ لدى الرجال والنساء البالغات منذ ظهور

السجائر .. ويوضح الرسم أن قمة الاستهلاك وصلت في نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ حيث بلغ ١٢ سيجارة لكل رجل بالغ وبقي متأرجحا حول هذا الرقم حتى عام ١٩٧٥ عندما بدأ انخفاضا حادا جعله يبلغ ٨ سجائر عام ١٩٨٣

أما بالنسبة للنساء فإن المرأة بدأت التدخين عام ١٩٢٥ أي بعد تدخين الرجال بأكثر من ثلاثين عاما .. واستمرت نسبة التدخين تزداد حتى عام ١٩٧٩ عندما وصلت الى ٧ سجائر لكل امرأة بالغة في بريطانيا .. ومنذ ذلك الحين بدأ الانخفاض التدريجي .

ان الحملة على التدخين قد أخذت بعدا جديدا بعد أن أصدرت الهيئات الطبية في العالم الغربي العديد من القرارات التي تدين التدخين وتتهمه بقتل أكثر من مليون شخص سنويا في العالم وتسبب الامراض والآلام لملايين البشر سنويا .

ورغم نفوذ شركات التدخين حتى في العالم الغربي واستطاعتها اقصاء عدد من وزراء الصحة المتشددين في محاربة التدخين من مناصبهم إلا أن الحملة على التدخين في الدول الغربية قد أدت إلى انحسار مبيعات شركات التدخين العالمية وفقدانها ٢٠ الى ٤٥ بالمئة من اسواقها في الدول الغربية وتقول الديلي اكسبريس في ٢٥/٢/١٩٨٤ أن شركة امبريال توباكو فقدت ٤٥٪ من أسواقها في الدول الغربية ، واضطرت لتسريح ١٥٪ من عمالها وموظفيها .. وقد خسرت الشركة البريطانية الامريكية للتبغ ٢٠٪ من أسواقها ، وقدرت خسارتها في السوق البريطانية وحدها بـ ٥٣ مليون جنيه استرليني عام ١٩٨٣ ، وأدى ذلك إلى طرد ١٨٤٠ من عمالها وموظفيها ..

ازاء هذا كله قامت شركات التبغ بحملاتها الشرسة لزيادة مبيعاتها في دول العالم الثالث وحققت نجاحا كبيرا مما حدا بالدكتور كورت باومجارتنز أمين عام المؤتمر الدولي الخامس حول التدخين والصحة إلى أن يصرح بالآتي :

« يعتبر العالم الثالث الحدود الأخيرة لصناعة التبغ الذي انتقل من الرجال إلى النساء ثم إلى المراهقين . والآن لم يعد هناك أي مكان آخر أمام هذه الصناعة إلا بلدان العالم الثالث » .

وارتفعت مبيعات شركات التدخين في العالم الثالث بنسبة تتراوح ما بين ٤٪ كما هو في البرازيل وماليزيا وإلى ٥,٦٪ في الهند وفنزويلا وإلى ٦,١٪ في باكستان ..

أما في المملكة العربية السعودية فقد زادت كمية التبغ من عام ١٩٧٢ الى عام ١٩٨١ بنسبة ٩٠٠٪ (بلغت كمية التبغ المستوردة عام ١٩٧٢م(٤,٥٧٥,٠٠٠) كيلو جراما إرتفعت إلى)٣٦,٧٢٢,٥٠٠) كيلو جراما عام ١٩٨١)

وكنتيجة حتمية لشركات التبغ في توسيع مبيعاتها في العالم الثالث نرى هذه النتائج المرعبة (نقلا عن تقرير الكلية الملكية للاطباء « الصحة أو

التدخين ») ففي مصر مثلا بلغ عدد المدخنين ٣٩,٩٪ من الرجال البالغين وفي السنغال وصلت النسبة في المدن إلى ٨٠٪ من الرجال البالغين .. وفي بنجلاديش وصلت النسبة بين الرجال البالغين ٦٧٪ في الارياف أما في المدن فالنسبة أعلى بكثير . وفي البرازيل وصلت النسبة بين الرجال ٦٢,٨٪ .. أما في لاجوس فالمصيبة الكبرى أن التدخين بين طلبة كليات الطب قد وصل الى ٧٢٪ من مجموع الطلبة و ٢٢٪ من الطالبات .

وبالمقارنة نجد أن التدخين في بريطانيا قد بلغ ذروته بعد الحرب العالمية الثانية بالنسبة للذكور ، وبقي على نفس المستوى حتى عام ١٩٦٠ عندما بدأ في الانخفاض التدريجي ثم الانخفاض السريع منذ عام ١٩٧٥ فنجد أن نسبة المدخنين من الذكور البالغين عام ١٩٦٠ هي ٧٥٪ وفي عام ١٩٨٠ انخفضت النسبة الى ٥٠٪ تقريبا .. وتشير التقارير التي تنشرها الصحف أن النسبة الآن قد وصلت إلى حوالي ٣٥٪ .

أما بالنسبة إلى الاناث البالغات فإن التدخين لم ينخفض منذ الستينات مثلما انخفض بين الذكور بل زاد قليلا حتى عام ١٩٧٦ ثم بدأ في الانخفاض ولا يزال يوالي انحداره فقد كانت ٤٥٪ من الاناث البالغات يدخن عام ١٩٧٥ وفي عام ١٩٨١ انخفضت النسبة الى ٣٥٪ .

وقد وصلت المبيعات عام ١٩٦٠ في بريطانيا ٢٧٠ مليون رطل من التبغ المصنع بينما انخفضت هذه الكمية إلى ٢٢٦ مليون رطل من التبغ المصنع عام ١٩٨١ .. وفي السنوات الأخيرة زادت نسبة الانخفاض .

ويذكر تقرير الكلية الملكية للاطباء أن هذا الانخفاض الملحوظ سببه زيادة الوعي لدى الجمهور بمخاطر التدخين الصحية .

ورغم أن كثيرا من الأطفال واليافعين يستدرجون إلى عادة التدخين السيئة إلا أن الملاحظ أن هذه النسبة قد قلت كثيرا في البلاد الغربية بينما لا تزال النسبة تزداد في بلاد العالم الثالث الذي يشكل المسلمون أغلبيته .

وأدى هذا بالتالي إلى انخفاض المبيعات من السجائر في الغرب .. ففي عام ١٩٧٤ بلغ عدد السجائر التي استهلكت في بريطانيا ١٣٧ بليون سيجارة وانخفضت هذه الكمية إلى مائة بليون عام ١٩٨٣ (نقلا عن الديلي اكسبريس في ٢٥/٢/١٩٨٤) .

وللأسف فإن سوق التبغ قد زادت في العالم الثالث ففي الهند وفينزويلا زادت السوق بنسبة ٥,٦٪ وفي باكستان زادت بنسبة ٦,١٪ وذلك في الفترة ما بين عام ١٩٧٥ وعام ١٩٨٠ .

أما في دول الخليج فإن زيادة استهلاك التبغ قد وصلت إلى أرقام خيالية ففي عام ١٩٧٢ استوردت المملكة العربية السعودية ٤,٥٧٥,٠٠٠ كيلو جراما من التبغ وفي عام ١٩٨١ استوردت المملكة ٣٦,٧٣٢,٥٠٠ كيلو جراما ولا يزال

سعر السجائر في دول الخليج يمثل أرخص سعر في العالم حيث لا تفرض الحكومات هناك سوى ضرائب تافهة جدا .. ويبلغ ثمن علبة السجائر في الخليج ربع ثمنها في بريطانيا أو أوروبا أو أقل .

كمية القطران والنيكوتين في السجائر الموجودة في البلاد النامية :

تقول المصادر الطبية ان كمية القطران والنيكوتين في السجائر الموجودة في الدول الغربية قد خفضت بموجب قوانين أصدرتها تلك الدول ولم يعد يسمح لأي شركة بأن تنتج سجائر تحتوي على أكثر من واحد ميلجرام من النيكوتين و ١٥ ميلجراما من القطران .. ومعظم الشركات في الغرب تنتج سجائر بها كمية أقل من هذه الكمية المحددة .

وتقوم هذه الشركات نفسها وبنفس الاسم بتصدير سجائر تحتوي على اثنين لثلاثة ميلجرامات من النيكوتين و ٢٠ الى ٣٠ مليجراما من القطران ..

ويذكر تقرير الكلية الملكية « الصحة أو التدخين » عام ١٩٨٣ جدولا باسماء بعض أنواع السجائر التي تحتوي على كميات مختلفة من القطران في بريطانيا مقارنة بالفليبين فمثلا سجائر « كنت » تحتوي على ١٣ ميلجراما من القطران في بريطانيا بينما تحتوي سجائر كنت في الفيلبين على ٣٣ مللجراما .. وتحتوي سجائر مارلبورو على ١٥ ميلجراما من القطران في المملكة المتحدة (بريطانيا) بينما تحتوي مثيلاتها من نوع مارلبورو على ٢٥ ميلجراما من القطران في الفيليبين وقس على ذلك مختلف أنواع السجائر الشهيرة .

إن اضرار التدخين تتركز في ثلاث مواد رئيسية هي :

١) **القطران** وهو المسؤول عن أمراض الرئة وأنواع السرطانات المختلفة .

٢) **النيكوتين** : وهو المسؤول أساسا عن إدمان السجائر وعن أمراض القلب والشرايين .

٣ **غاز أول اكسيد الكربون** وهو المسؤول مع النيكوتين عن أمراض القلب والشرايين .

وقد استطاعت شركات السجائر التحكم في كمية القطران وكمية النيكوتين الموجودة في السجائر وأمكن تخفيض هذه الكمية إلى نصف أو ثلث ما كانت عليه في السابق إلا أن كمية أول أكسيد الكربون من الصعب التحكم فيها وتتراوح ما بين ١ الى ٥ بالمئة من السيجارة .

موقف شركات التدخين من منظمة الصحة العالمية :

وللأسف نرى شركات السجائر تضطر للرضوخ للقوانين في البلاد الغربية بينما لا تتورع عن بيع كميات مضاعفة من السموم لدول العالم الثالث لعدم وجود رقابة قوية من تلك الدول .

وهو موقف لا أخلاقي اتصفت به على الدوام الشركات الغربية . ومما يبرز هذا الموقف اللاأخلاقي لهذه الشركات ما ذكره تقرير الكلية الملكية للأطباء « **الصحة أو التدخين** » عام ١٩٨٣ (صفحة ٩٢) من أن شركات السجائر اجتمعت للحيلولة دون تنفيذ توصيات المؤتمر العالمي الرابع عن التدخين والصحة والمنعقد عام ١٩٧٩ باشراف منظمة الصحة العالمية . وقد جاء في اجتماع شركات السجائر العالمية الأهداف التالية :

١) يجب أن نوقف المحاولات الهادفة إلى محاربة التدخين في العالم الثالث .

٢) يجب أن نغري حكومات دول العالم الثالث بوسائلنا الخاصة على اتخاذ مواقف تسمح لنا بالتوسع في تجارة التبغ ومواجهة كل ما يقف عائقا ضد أهدافنا .

٣) ينبغي أن نحاول التأثير على رجال منظمات الأمم المتحدة مثل منظمة الزراعة والتغذية العالمية F.a.o. لتقف في صف التبغ لا ضده .

٤) يجب زحزحة موقف منظمة الصحة العالمية WHO من موقفها الحالي والمعادي للتبغ إلى موقف مرن وحيادي .

وهذه الاهداف التي حددتها شركات التبغ العالمية كما ينقلها تقرير الكلية الملكية للاطباء « الصحة أو التدخين » لعام ١٩٨٣ توضح إلى أي مدى انحدرت إليه شركات التبغ الغربية في سعيها لنشر سموم التبغ في العالم الثالث جريا وراء تحقيق مزيد من الأرباح واستخدامها لتحقيق ذلك كل الوسائل الغير أخلاقية .

ولا يستغرب ذلك فأساس النظام الرأسمالي الغربي الذي يسيطر عليه اليهود هو تحقيق الربح بأي وسيلة كانت .. وإذا كانت بريطانيا العظمى قد خاضت حربا شرسة ضد شعب الصين (عام ١٩٣٩ الى ١٩٤٢) من أجل نشر الأفيون وبموافقة مجلس العموم واللوردات بالاجماع ما عدا صوت واحد معارض هو صوت جلادستون .. فإن قيام ملكة بريطانيا الحالية اليزابث الثانية باعطاء جائزة التصدير إلى شركة روثمان للسجائر عام ١٩٨٣ يمثل نفس الاتجاه السائد في الغرب وهو تحقيق أكبر قدر من الارباح ولو أدى ذلك إلى وفاة الملايين وتعاستهم وشقائهم .

أمراض التبغ في العالم الثالث :

رغم أن العالم الثالث بدأ تقليد الغرب في التدخين في فترة متأخرة نسبيا ، إلا أن أضرار التبغ بدأت في الظهور في الفترة الأخيرة بصورة مرعبة حقا . ويقول تقرير منظمة الصحة العالمية كما تنقله عنه الكلية الملكية للاطباء في كتابها « الصحة أو التدخين » إن التقارير الحديثة في الهند توضح أن المدخنين يواجهون خطر الاصابة بسرطان الرئة بنسبة عالية بالمقارنة مع غير المدخنين أما في هونج كونج فإن نسبة الاصابة بسرطان الرئة زادت زيادة مريعة لدى

الرجال والنساء .. بحيث أصبحت الاصابة بسرطان الرئة في النساء في هونج كونج هي الأولى في العالم .. وتضاعف حدوث سرطان الرئة في الصين بين الرجال والنساء فيما بين عام ١٩٦٣ وعام ١٩٧٥ نتيجة التدخين . وفي قبائل البانتو في جنوب أفريقيا ارتفعت نسبة سرطان الرئة بين الذكور بحيث وصلت إلى أن جعلتها تأتي مباشرة بعد الولايات المتحدة الامريكية وتتفوق في ذلك على بريطانيا نفسها .

أما سرطان المرىء فهو أكثر انتشارا في العالم الثالث عنه في الغرب .. ويعزى ذلك إلى أسباب عدة أهمها مضغ التبغ . وقد ثبتت هذه العلاقة بين التبغ وسرطان المرىء في كل من الهند وسريلانكا (سيلان سابقا) وجنوب افريقيا .. ويعتبر سرطان المرىء في السود في مدينة دربان في جنوب افريقيا وفي زيمبابوي يمثل أعلى نسبة في العالم بعد التركستان الغربية في الاتحاد السوفيتي .

وتقول الابحاث من مصر إن سرطان المثانة وهو أكثر السرطانات انتشارا في مصر ويرجع سببه إلى البلهارسيا والتدخين .. وقد وجد أن التدخين يزيد كثيرا من احتمال التحول السرطاني في المثانة المصابة بالبلهارسيا .

وقد زادت الأمراض الناتجة عن التدخين في الجهاز التنفسي (من غير السرطان) زيادة كبيرة وتوضح ذلك تقارير طبية قادمة من الهند وسنغافوره ونيبال .

أما أمراض القلب فقد زادت في بلاد العالم الثالث زيادة كبيرة بسبب التدخين ويؤكد ذلك التقارير الطبية من الهند والصين .

وكذلك ازدادت مضاعفات التدخين مع الحمل ويؤكد ذلك التقارير الطبية من العالم الثالث عن ولادة أطفال ناقصي الوزن ومصابين بالتشوهات الخلقية .

وتقول التقارير إن البيري أو البيدي الذي يستخدم في الهند بصورة خاصة (هو عبارة عن تبغ محلي ملفوف باوراق الاشجار) يحتوي على كمية أكبر من القطران والنيكوتين وغاز أول أكسيد الكربون .. وخاصة أنه يتطلب لابقاء السيجارة مشتعلة أن يشفطها المدخن كل دقيقة أو دقيقتين (كتاب الصحة أو التدخين)

أما عادة استخدام الشوتا CHU-TA وهي عادة غربية حيث يدخل الجزء المشتعل من التبغ إلى داخل الفم فيؤدي إلى مزيد من سرطانات الفم والبلعوم والمرىء (كتاب الصحة أو التدخين)

وأما مضغ التبغ مع اضافة العطرون (حجر يحتوي على بيكربونات الصوديوم) أو اضافة الرماد أو اضافة الجير فكل ذلك يؤدي إلى زيادة امتصاص النيكوتين من الغشاء المخاطي للفم بحيث يصل إلى نسبة امتصاص عالية جدا تتراوح ما بين ٩٠ الى ١٠٠٪ (الدكتور كمال الدين حسين الطاهر في كتابه السجائر

والتمباك والصحة) ويؤدي استخدام التبغ بطريقة المضغ (الشمة أو المضغة أو السعوط) الى زيادة الاصابة بسرطان الفم واللسان والشفة والبلعوم والمرىء . (كتاب الصحة او التدخين وكتاب جراحة الرأس والعنق تأليف الدكاترة فؤاد زهران وعدنان جمجوم ومحمد عيد)

ولا يواجه العالم الثالث خطر التدخين فحسب وانما يضاف هذا الخطر لمخاطر الأمراض الوبائية وسوء التغذية .

ولا شك أن ذلك سيزيد من الاعباء الملقاة على عاتق دول العالم الثالث ويواجهها بخطر ماحق لم تستطع الدول الغنية والمتقدمة تكنولوجيا في الغرب التغلب عليه رغم امكاناتها الهائلة

إن خطر التدخين في العالم الثالث هو أعظم الاخطار الصحية التي عليه أن يواجهها .. منذ هذه اللحظة .. لأن كل يوم يمضي يزداد فيه عدد الذين سيلاقون حتفهم نتيجة التدخين كما سيزداد فيه عدد الذين سيصابون بأمراض وبيلة زيادة مرعبة .

ويقول الدكتور فيمي بيرس في المؤتمر العالمي الخامس لمكافحة التدخين والمنعقد في كندا في وينيبج : « إن استهلاك خمس سجائر فقط في بنجلاديش يحرم أسرة متوسطة الدخل هناك من ١٥٪ من ثمن الغذاء أو ما يعادل ٣٠٠ كالوري واذا علمنا أن معظم الاسر هناك لا يزيد نصيب الفرد فيها عن ٢٠٠٠ كالوري فقط لعلمنا أن تدخين خمس سجائر فقط يؤدي إلى سوء التغذية فكيف بتدخين عشرين سيجارة يوميا .

أما الدكتورة ماري آشلي فقد ذكرت ان خطر احتمال الاصابة بسرطان الرئة لدى النساء يتضاعف ٣٩ ضعفا إذا كانت المرأة تدخن بشراهة (أكثر من ٢٥ سيجارة يوميا) وتستعمل حبوب منع الحمل في آن واحد .

واذا كان تدخين السجائر يقتل في كل عام أكثر من مائة الف شخص في بريطانيا وأكثر من ١٤٠,٠٠٠ الف شخص في ألمانيا الغربية وقرابة ٣٥٠,٠٠٠ الف شخص في الولايات المتحدة فاننا لا نستغرب بعد ذلك أن تقرر منظمة الصحة العالمية أن الوفيات الناتجة عن التدخين تزيد عن المليون في العالم .

وإذا كان السناتور روبرت كندي قد صرح عام ١٩٦٧ كما تنقله عنه اللانسست (٧ يناير ١٩٨٣) بأن شركات السجائر تنشر الموت في العالم من أجل مكاسبها المادية البحتة .. فإن الموقف الآن أشد خطورة عما كان عليه عام ١٩٦٧ بالنسبة للعالم الثالث حيث تضاعفت مبيعات السجائر منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا .

إن أصحاب شركات السجائر كما تقول عنهم اللانسست (٧ يناير ١٩٨٣) يقومون باعادة تجارة الرق في صورة جديدة .. وذلك باستعبادهم شعوب العالم الثالث بمادة النيكوتين وجني مئات الملايين من الدولارات سنويا كأرباح صافية من وراء هذه التجارة (الدنيئة) .

وقفة تأمّل

من أجل ثقافة نافعة

● ابتلينا في عصرنا هذا ، بالاحتلال الاجنبي ، الذي حاول وما يزال يحاول ان يقطع صلتنا بماضينا العريق ، فما ينشر في الغرب او الشرق ، وما يذاع هنا وهناك ، يصل الينا وبلا تدقيق او تمحيص ، بل هناك برامج خاصة موجهة لعالمنا العربي والاسلامي بغرض افساده ، وقطع كل صلة له بماضيه التليد.

فابن العربي لم يعد يحسن النطق بالعربية ، وابن الاسلام لم يعد يفرق بين الحلال والحرام . فعشنا الانفصام النكد بين الدنيا والدين . وديننا جاء لينظم الحياة اولا ، ويرسي قواعد البناء الانساني الشامخ . على المنهج الذي ارتضاه الله للانسانية ، ثم ليرسم لنا صورة حقيقية للحياة الآخرة ، ليبتعد الانسان عن الضلال ، ويتوجه للذي هو خير ، فتتحقق له السعادة دنيا واخرى.

● وساعد على ما نحن فيه من تشتت ، وتفرق ، وبعد عن المنهج الصحيح ، والصراط السوي ، غياب الخطة العامة التي تربط بين الاجهزة الاعلامية ، والثقافية ، والتربوية ، فكل منها يعمل منفردا ، فبينما يصلح هذا في جانب ، يهدم ذاك في نفس الجهة ، وقديما قيل :-

متى يبلغ البنيان يوما كما له * اذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

● ومما ساعد على الضياع الذي نحن فيه ، تردد بعض الاسماء بصورة يومية في مختلف وسائل الاعلام والثقافة واظهار اصحابها على انهم العلماء والقدوة ، ولكنهم في الحقيقة صنعة صنعها الصانعون لاداء أدوار معينة ، ويحسبهم الجاهلون القدوة التي يجب اتباعها ، بينما هم في الحقيقة قدوة زائفة ، هم يملكون القابا ورتبا ولهم بريق ولمعان ، ولكن اذا ذهبت تفتش داخلهم فلا شيء غير الخواء .

● وعندما يغيب العقل الواعي .. وسط هذا التزاحم من الثقافات الوافدة الفاسدة ، وغياب الخطة العامة ، وشيوع القدوة الفاسدة ، عندما يغيب هذا العقل الواعي تجد العجب العجاب ، تجد البذخ والترف في مجالات اللهو والمجون ، والشح والبخل والتقتير في مجالات الخير والنفع ، الانسان يموت في افريقيا من الجوع والمرض ، والالاف بل الملايين تهدر على موائد الشيطان ، وتنفق ببذخ على المؤتمرات والندوات بما يرهق الميزانية ، والناس

يعانون في حياتهم اليومية الشيء الكثير .

● اضف الى ذلك اننا في عالمنا العربي والاسلامي نواجه الرأي الاخر بالعنف ، واذا جاز ذلك مع المخربين والمجرمين درءا للفساد ، ومحافظة على سلامة البنيان . بل ذلك واجب،لا يجوز مع من له وجهة نظر صحيحة ، ولا يبتغي من خلافه معك في الرأي الا الصالح العام .. افيجوز ان نحارب فكرة بالعنف والشدة والسجن ، بدلا من ان نحاور صاحبها بالحكمة والعقل والحجة ، بهدف احقاق الحق ، بعيدا عن الهوى والغرض الشخصي ، بل ينبغي ان تكون احكامنا موضوعية منصفة لا تميل مع الاهواء ولا تسعى لارضاء هذا او ذاك . بل من صميم الدين ، ولا تخرج عن منهج الحق والعدل .

● وعندما نفتقد القاعدة العامة التي تشمل الجميع بلا استثناء فان حياتنا تسير في تخبط مستمر ، فكيف تسلم لنا قاعدة ، اذا كثرت الاستثناءات ، هذا سارق ذو مكانة فلايحاكم ، وهذامختلس ذو شرف في قومه ـ فلا بأس ، وثالث نصاب ومحتال ، ولكنه مشمول بظل ذي سلطان فلا ضير عليه .

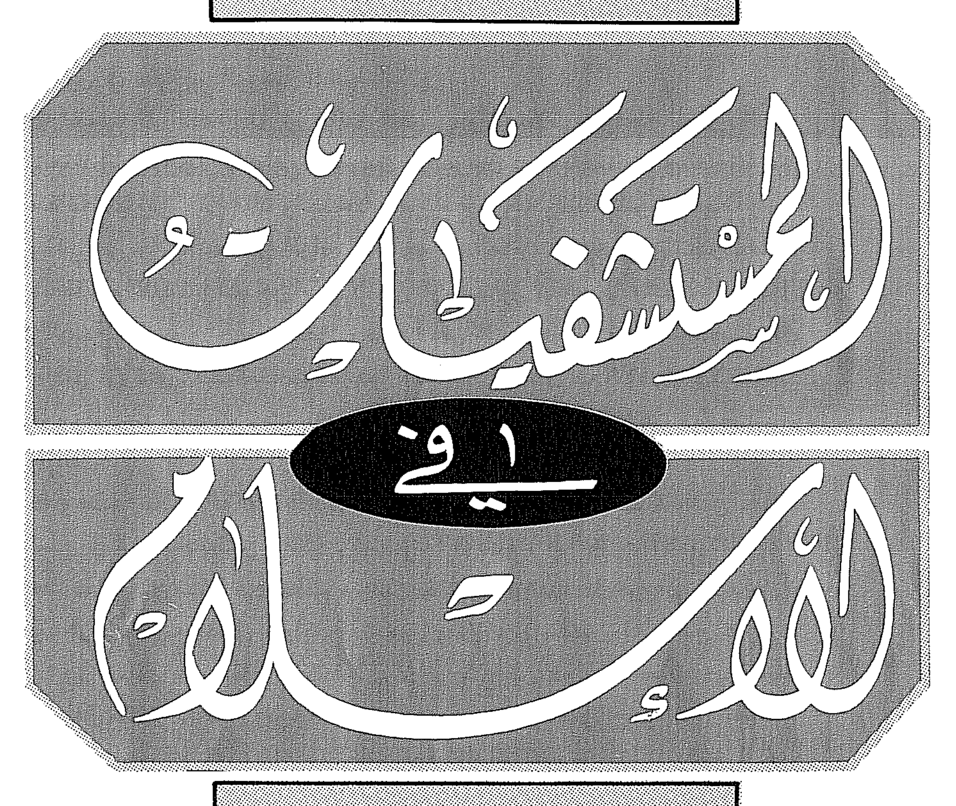
وفي مجال آخر يتاح لابن فلان ما لا يتاح لمن هو اكفأ منه ، ويغتصب الجاهل مكان العالم ، ويوجه الأمور العامة من لا يحسن توجيه أمور نفسه ، تركيبة عجيبة ، كأن الله سبحانه لم ينزل الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وكأن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يقل « لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها ».

● واذا كان هذا هو حالنا ،فكيف الخلاص ؟

● ونقول ـ في وقفة تأملنا هذه ـ ان الخلاص يكمن في ان نشيد على امجاد الماضي بنيان الحاضر ، وان نرسى على ثوابت الاسلام نهضتنا في كل الميادين ، فديننا يحث على العلم ، والفهم ، والتقدم ، والبناء . وان تكون هناك خطة عامة توجه المجتمع كله الى ما فيه العز والرفعة ، تأمر بالمعروف ، وتنهي عن المنكر ، والقدوة الحسنة من الحاكم ، والعالم ، وكل مسئول ضرورية للنشء الاسلامي الجديد .

والحوار بالحكمة والعقل وبمقارعة الحجة بالحجة ، والابتعاد عن العنف والتجريح ، يوصلنا الى ما نريد من تحقيق الصالح العام في ضوء تعاليمنا الاسلامية الخالدة ، وبتوفير مناخ الحرية في التعبير عن الرأي ، والرأي المضاد واتباع النهج العلمي في البحث ، وشمولية الاحكام وتنفيذها وتطبيقها على الجميع بلا استثناء ، بهذا نحقق ثقافة اسلامية مفيدة ، تحرص على نشر الفضائل والقيم والمبادىء السامية .

فهمي الامام



للشيخ/ احمد محيى الدين العجوز

اهتم المسلمون كثيرا بإعداد أماكن خاصة للاستشفاء يختارون لها خير الاماكن النقية ، واطيبها مناخا وهواء .

أول مستشفى في الاسلام :

رأى النبى صلى الله عليه وسلم شدة الحاجة لاسعاف الجرحى في الغزوات ، واتخاذ مكان خاص لعلاجهم المبادر ، فأمر المسلمين ان يتخذوا خيمة خاصة معزولة عن مكان الغزوة لمداواتهم .

فكانت هذه الخيمة تقام عند اندلاع الحرب بين المسلمين وأعدائهم ، وهي أول مستشفى في الاسلام .

وكانت السيدة نسيبة بنت كعب الانصارية طبيبة مشهورة إذ ذاك تباشر التطبيب والمعالجة فيها للجرحى ، بعناية فائقة . واستمر الاهتمام بذلك يترقى تدريجيا الى عهد عبد الملك بن مروان ، فاتخذ مستشفى فخما أسماه (البيمارستان) ووقف عليه الكثير من ماله ، وعني به كثيرا ، واتخذ له أمهر

الأطباء في عصره ، وهيأ فيه كثيرا من الأسرة للمرضى .
وجعل قسما خاصا للمتخلفين بعقولهم

انتشار المستشفيات الاسلامية :

ثم انتشرت المستشفيات الاسلامية في كثير من البلاد في بغداد ، ودمشق ، وقرطبة ، والقاهرة ، وغيرها من الأمصار ، واختاروا لها اكفأ الأطباء وامهرهم . وخصصوا فيها قسما للرجال ، وقسما للنساء . وافردوا فيها معازل لعزل ذوي الأمراض المعدية ، كامراض الرئة (السل) والجذام ، ونحوهما .

واعدوا فيها مكتبات للمطالعة والتسلية ، وقاعة كبرى للمحاضرات الدينية ، والطبية ، والاجتماعية . وغطوا السرر الكثيرة فيها بالدمقس الأبيض الناصع بترتيب لائق ، والماء يجري في كل غرفة .

واعدوا فيها حمامات ساخنة ، ومناشف ، وألبسة نظيفة ، تقدم الى المرضى في اوقات محددة .

وهذا لم يكن له نظير في العصور المتعاقبة ، حتى عصرنا هذا وعطفا على هذا يقدمون للمرضى الطعام الفاخر حسب ما تدعو اليه حاجتهم ، من لحم الطيور ، والمواشي ، أو الاطعمة الخفيفة المناسبة لنوع المرض .

وابواب المستشفى مفتوحة للناس كافة ، من غير تمييز بينهم في العقيدة ، او تباين بينهم في المراتب .

والعناية فيه تامة للعموم ، والمعالجة دقيقة ومتوفرة دائمة ، من غير تباطؤ .

مساهمة كبار الأطباء :

يواكب انتشار المستشفيات اهتمام كبار الأطباء في المساهمة في بنائها ، والعناية بإكمالها ، والحرص على إعدادها على أحسن وجه ، وأتم حال .

مستشفى عضد الدولة :

كان عضد الدولة قد عزم على انشاء مستشفى فخم في بغداد ، فوكل الأمر الى الطبيب الرازي ، ففحص الامكنة بطريقته الخاصة بتعليق قطع اللحم لاختبارها ، واختار الارض الصالحة ولما تم إنشاؤه ، اختار له أكفأ الأطباء وأمهرهم كثابت ابن سنان ، والرازي نفسه .

ووقف للمستشفى من الاملاك ما يكفيه من الأموال ، وعني به عناية فائقة ، وأمَّن له العقاقير ، والغذاء الوافر ، ووسائل الراحة ، بكافة أنواعها . وكانت المستشفيات بالمجان ، بلا مقابل .

العناية بزيادة النفقات :

كان قد رأى رئيس الأطباء ثابت بن سنان أن ما خصص للمستشفى من دخل الاملاك الموقوفة لم يعد يكفيه وأن المرضى يشكون شدة البرد ، وقلة الطعام والدواء فارسل الى الوزير علي بن عيسى بتقرير أوضح له فيه كل ذلك ، فاهتم الوزير ، وكتب على ظهر الرسالة الى مدير الأملاك ابن صقر ما يأتي : -

لك انت رعاك الله - ان تقرأ بنفسك ما جاء في هذا الكتاب ، وهو أمر ذو شأن للغاية ، فعليك أن تبعث للمستشفى بكامل نصيبه من الاملاك مهما تكن الظروف فالأمر جلل ، يتعلق ببيت المرضى ، حيث ينتظرون هناك العون والمساعدة .

أخبرني عن حقيقة هذا النقص في اموال المستشفى ، وتخفيض التموينات خلال الشهر المنصرم خاصة في فصل الشتاء هذا ، حيث البرد لا يزال قارسا قتّالا ، ابذل ما في وسعك في دفع حصة المستشفى من الأموال ، حتى يشعر المرضى بالدفء ، ويصلهم الغذاء الجيد ، ويكون لهم العناية الطبية السليمة . اخبرني - كان الله في عونك : بكل ما ستقوم به لتحقيق هذا الأمر .

يظهر من هذا الكلام البالغ الاهتمام الزائد في تأمين حاجة المرضى في مستشفاهم ، وتمام العناية بكفايتهم الواجبة .

مستشفى نور الدين الزنكي :

بنى السلطان نور الدين الزنكي في دمشق مستشفى فخما وأمّن له جميع وسائل الراحة ، وكافة أنواع العلاج . واختار له أمهر الأطباء ، وأشهرهم في عصره ، وبذل له أموالا كثيرة تكفيه لتوسيعه ، واقام به مكتبة ضخمة جمعت من الكتب العلمية ، والمخطوطات القيمة الكثير .

فكان يؤمه كثير من المرضى على اختلافهم ، فيرون فيه العناية التامة ، والطمأنينة الوافية ، والسلوى العلمية المفيدة .

واسس فيه مدرسة للطب ، كان لها اكبر الاهتمام في الدراسات الطبية الواسعة ، تتناول انواع العلل والأمراض وطرق علاجها ، والبحث الدقيق عن الامراض المستعصية وأسبابها ، والتدقيق في وسائل علاجها ، فنجحت نجاحا كبيرا وتخرج منها أطباء كثيرون ، قد اشتهروا بين قومهم ، وذلك على يد ابي الحكم (ابن الداخوار) رئيس اطباء المستشفى ، وابن ابي اصيبعة ، وابن النفيس وغيرهم .

ومن عناية رئيس الاطباء بالمستشفى انه كان يزور المرضى صباحا كل يوم ، ويستعلم عن احوالهم ، ويستفهم عن رغباتهم ، ويصحبه في تجواله رهط كبير من الاطباء ومساعديه ، ومن المرضين ، وكان يسجل لكل مريض تطور حالته ، وما يصفه له من ادوية ، وما يقدمه له من اطعمة ثم يذهب بعد جولته الى حي القصبة ، فيعاين موظفي الدولة ذوي الشأن ، ثم يعود الى المستشفى ، فيجلس في القاعة

الكبرى بين كتبه واوراقه ليحضر محاضرات في الدراسات الطبية .
وكان يأتي اليه كثير من الأطباء ، والطلاب ، فيجلسون بين يديه ، ويتحدثون في الأمراض المستعصية ، والحالات النادرة التي صادفتهم في المستشفى ، ويحفظون عنه الشيء الكثير .

مستشفى المنصور قلاوون بالقاهرة :

أسس المنصور قلاوون ملك مصر أكبر مستشفى في القاهرة ، واختار له أشهر الأطباء وأعلمهم وأمهرهم امثال ابن النفيس ، وابن ابي اصيبعة ، وابن رضوان ، وغيرهم وكان ابن رضوان رئيس اطباء المستشفى ، يأمرهم بالسهر على راحة المرضى ، والعناية بهم ، لضمان سلامتهم وراحتهم فكان هذا المستشفى مضرب المثل في حسن التنظيم ، والترتيب والنظافة الوافية ، ووفرة اسباب الطمأنينة ، ودقة المعالجة ، وموالاة الكشف على المرضى ، ومتابعة المراقبة لأحوالهم .
ومن اوضح مظاهر العناية والاهتمام بهذا المستشفى توفير المال الكثير لاجله ، وتأمين كافة متطلباته ، والتوصيات الدائمة لأطبائه ، ببذل الجهد ، وصرف العناية في تدقيق المعالجة ، والسهر على راحة المرضى ، وطمأنينتهم النفسية
وابواب المستشفى مشرعة مفتوحة لعموم الناس بلا تمييز ، ونظامه قائم باهتمام ، وحسن ادارة .

تكاثر المستشفيات الاسلامية :

اخذت المستشفيات الاسلامية تنتشر ، وتتكاثر في المدن وفي كل ناحية ، حتى كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى اسلامي ، وتظهر في هذه المستشفيات جميعا العناية التامة بالمرضى ، والوسائل المنعشة لهم ولراحتهم .
وأدل شيء على هذه العناية وصايا ابن رضوان رئيس الأطباء لكل طبيب عند قيامه بالكشف على المرضى . فيقول : افحص الجسم كله ، ولا تكتف بموضع الألم والشكوى ، اسأل مريضك عن عاداته ، وامراضه التي اصيب بها سابقا ما هي آلامك ؟ وكيف تعيش ؟ وتأمل مريضك وانظر الى وجهه ؟ ولون سحنته ، وشعره ، وعمق تفسه ، في حالة المرض ان كان هادئا ، او مضطربا ، بطيئا ، او متدفقا ناحلا ، او بدينا ، ولا تنس يا بني ان تفحص حالة المريض النفسية اسأله عن بعض الامور ، وتيقن إن كان يجيب عن وعي ام لا ؟ مره بالقيام ببعض الاعمال لتمتحن طاقته الاجمالية ، وطاعته ، لتعرف ان كنت تستطيع الاعتماد على كلمته في تناول الدواء بنظام ، وابحث عن ميوله كاشفا عن اسباب إثارته ، ومواضع أذيته ، حقق في مدى قوة اذنيه ، بأن تسر اليه عن بعد بعض الكلمات ، وامتحن حالة عينيه ، بأن تطلب منه أن ينظر الى بعد والى قرب ، واكشف عن اللسان ، ثم اختبر قوة المريض ذاتها ، بان تحمله اثقالا ينقلها ، وراقب حركاته في مشيه جيئة

وذهابا ، ودقق في حسن نبضه بعناية فائقة ، ودع المريض يستلقي على ظهره ، لتتأكد من حالة عضلاته ومدى نموها ، ثم افحص الكبد ، والكلى ، بأن تتلمس مواضعهما بأصابعك ، وافحص ماءه وبرازه .
الى آخر ما هناك من توصيات دقيقة ، تدل على كمال العناية ، وتمام الاهتمام .

المستشفيات المتنقلة :

المسلمون هم اول من أنشأوا المستشفيات المحمولة المتنقلة من مكان الى مكان ، بطريقة فنية دقيقة سهلة ، وجهزوها بجميع ما يلزم المرضى والمداواة ، من ادوات وعلاجات واطعمة واشربة ، وملابس ، واطباء ، وصيادلة ، وكل ما يعين على إنعاش المرضى والعجزة ، والمزمنين ، لترفيههم والعناية بهم
فالمستشفى ينتقل من بلد الى بلد ، ومن قرية الى قرية ولاسيما البلاد الخالية من مستشفيات ثابتة ، او البلد الذي يظهر فيه وباء خطير فتاك ، او مرض معد .
وهذه احدث وسائل الاسعاف ، والعلاج السريع .
وقد سبق المسلمون غيرهم في الطب الوقائي ، وتدريس الطب في المستشفيات ، واعداد المكاتب العلمية فيها ، وإلقاء المحاضرات الطبية والاجتماعية فيها ، وعقد الندوات الطبية في الأمراض المستعصية ، وطرق علاجها والتغلب عليها .

الآلات الجراحية :

المسلمون هم اول من صنعوا الآلات للجراحة ، وألفوا الكتب في طرق استعمالها ، والامراض التي يجب استعمال الجراحة فيها مثل : ابي القاسم خلف بن عباس الزهراوي الاندلسي ، فقد أفاض في شرح العلاج بالجراحة ، ووصف ما يزيد على مائتي شكل للآلات الجراحية في كتابه الخاص . (التصريف لمن عجز عن التأليف) .

مكتبة الفاتيكان :

تضم مكتبة الفاتيكان بايطاليا معظم مؤلفات المسلمين باللغة العربية في علم الطب ، وعلم ما وراء الطبيعة ، وعلم الطبيعة والجغرافيا ، والكيمياء ، والتاريخ ، والفلك ، والزراعة ، وغير ذلك من علوم .
مما يدل على طول باعهم ، وسعة اطلاعهم ، على كل علم وفي كل صنعة .

مدى انحطاط الغرب في الماضي :

قالت الدكتورة (ويفريد هوتكة) المستشرقة الالمانية في كتابها (شمس العرب

تسطع على الغرب) ما يلي :

إن أوتيل ديو في باريس كان فيه بناحية منه قش كثير موضوع على الأرض ، يتزاحم عليه المرضى ، وأقدام بعضهم الى رؤوس الآخرين ، والاطفال بجانب الشيوخ ، والرجال بجانب النساء بشكل يدعو الى العجب ، وكان ذوو الأمراض البسيطة بجانب ذوي الأمراض المعدية ، والتي تعاني من ألم الحمل بجوار الطفل الذي يعالج سكرات الموت ، والمصاب بالتيفوس الذي يهذي من الحمى بجانب مريض السل الرئوي الذي مزق صدره السعال والذي يبصق دما .

والطعام شيء يقدم لهم في قلة ، وفي اوقات متباعدة والكمية قليلة . لا تزاد إلا إذا أشفق على هؤلاء المرضى رجل وجيه من اعيان المدينة ، وأرسل لهم شيئا من الطعام ، وكان المبنى الذي يضم المرضى يزدحم بأخطر الحشرات . أضف الى ذلك فساد الهواء في الداخل لدرجة لا تطاق ، ولا تحتمل .

وكان الداخلون الى القاعة يسدون انوفهم بالسفنجة المبللة بالخل . وكانت جثث الموتى من المرضى تترك مدة اربع وعشرين ساعة قبل ان تنقل ، فيشاطر المرضى الجثث في هذا الوقت ، وتفوح الروائح النتنة في الأجواء ، وينقض البعوض ويهجم ممعنا نهشا وأكلا من اللحم العفن . هذا ما قالته الدكتورة في كتابها .

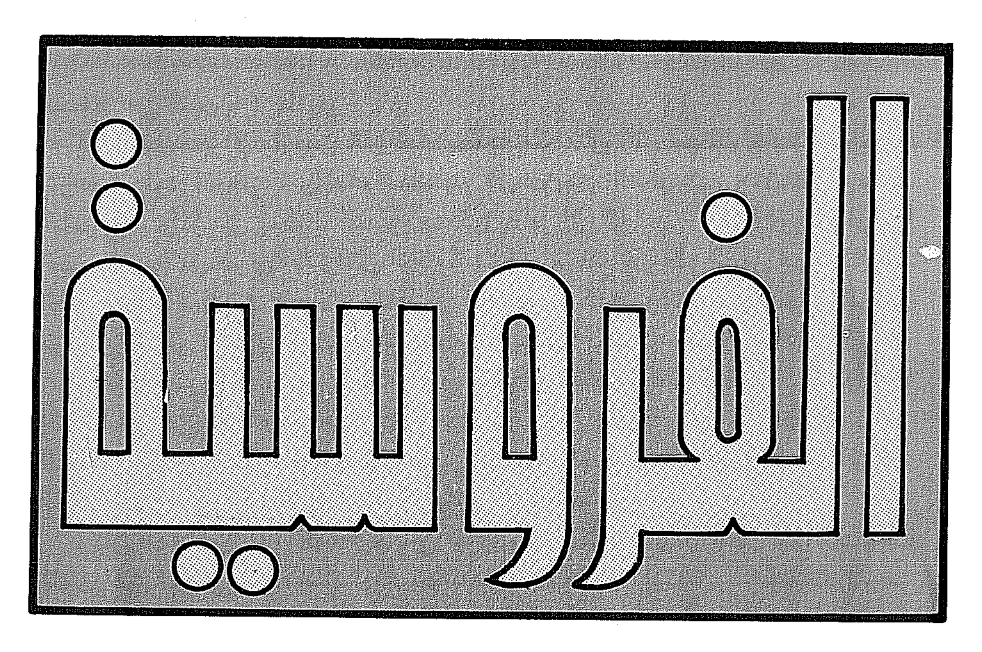
من هنا تعلم مدى انحطاط اوروبا قبل الفتح الاسلامي ، وان ما جاء به الاسلام من الهداية والنور ، والنهضة والرقي والعلم والمعرفة ، والتنظيم والتدبير ، والتعاليم الصالحة ، القويمة هو مما أحيا به اوروبا ، وايقظ غفوتها ، وعلم جاهلها ، وانعش العالم بعلومه وآدابه ، ورقى الخليقة بنظمه وتعاليمه .

وما أوضحناه هنا من نهضة الطب وحسن الادارة والتنظيم ، وبارع الحكمة والسياسة ، وفضل المعاملة الرشيدة ، والخدمة الصادقة لجميع خلق الله على السواء إنما هو نموذج أخاذ لصالح العمل ، والانسانية الصادقة والكمال الاجتماعي الذي جاء به الاسلام ، وأعلنه نبي الاسلام محمد صلى الله عليه وسلم ، فهو الباعث إليه والحاض عليه ، والمؤسس له .

قال البحاثة الكبير (سنكس) في المجلة الروحية ، بعد إسهاب طويل عن عظمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ونهضة الاسلام به ما يلي : ـ

« لما وقف الشرق في فتوحاته دخل الى عهد جديد من الحياة الفكرية فارتقت الآداب ، والصنائع ، والعلوم ارتقاء عجيبا ، فبينما كانت اوروبا تتخبط في غياهب القرون الوسطى ، كان المسلمون قد وصلوا الى درجة من المدنية عالية بالنسبة لما كان موجودا منها ، وأكب العرب المتعلمون على ترجمة كتابات الفلاسفة والعلماء الاقدمين ، واسسوا في بغداد وقرطبة جامعات علمية ومدارس ، فحفظوا بذلك جميع المعارف الانسانية ، وزادوا في مادتها ، تلك المعارف التي لم تصل الى اوروبا ولم تدرس فيها بطريقة عامة الا في عهد النهضة المعروفة) الى آخر ما قاله .

فعسى أن يتنبه المسلمون الى سابق عهدهم الوضاء ومنزلتهم العلمية الرفيعة ، ومجدهم الآفل ، فيجددوا الأخذ بأسباب الرقي ، والعزة المنشودة .



للدكتور / سعيد اسماعيل علي

يخطىء بعض الناس في الظن أن التربية الاسلامية ما دامت تدور حول (الدين) بطبيعتها ، وتستند إلى مصدر إلهي موثوق به هو القرآن الكريم ، ويعتمد دارسوها في فهم هذا المصدر الأساسي على السنة النبوية الشريفة ، فهي إذن تربية (روحية)، ومن شأن تربية بهذه السمة أن تنأى بالناشئة عن كل ما يتصل بـ (الجسد) وتربيته . إن وجه الخطأ هنا ، هو غياب مبدأ (الشمولية)، ذلك أن هذا المبدأ يقتضي النظر إلى الانسان على أنه (وحدة) تضم بين طياتها

جزأين متباينين ولكن متكاملين وهما الجسم والروح .

ومن هنا فلا يستطيع الدارس الواعي للتربية الاسلامية أن يغفل صور الاهتمام وآيات التقدير المتعددة سواء على مستوى الفكر أم على مستوى التجارب والتطبيقات ، التي تؤكد على تربية القوة المادية في شخصية المسلم ، إذ هي عدة لا يستهان بها لديه في الذود عن الاسلام ضد هجمات الأعداء ، بل هي أداة لا غنى عنها في تمكينه من أداء بعض الفرائض الأساسية ولعل الآراء والأفكار التي ضمنها (ابن قيم الجوزية) في كتاب خصصه للبحث في (الفروسية) خير دليل على ذلك ، خاصة اذا لاحظنا ان ابن القيم قد توفى عام ٧٥١ هـ ، إذ لا يتصور أن عالما مثله يكلف نفسه بكتابة كتاب خاص في مثل هذا الموضوع الا لان هناك (من الناس من) يهمهم أمر الفروسية ، وأن هؤلاء ينظرون إلى الكتاب لا على انه مجرد (متعة فكرية) أو (معرفة نظرية)، بل على أنه (مرشد) يوجه إلى (سلوك) وإلى (عمل) وإلى (فعل). إن هناك كتبا ربما يكتفي منها القارىء بأن تزوده بالمعرفة وبالمعلومات التي تزيده (ثقافة)، مثل بعض كتب الجغرافيا والفلسفة والتاريخ والأدب ، ولكن هناك كتبا أخرى ، لا يمكن أن يمد القارىء يده إليها بالقراءة والاستخدام ، إلا إذا كان يريد – في أغلب الأحوال – أن يستفيد منها (عمليا)، وكتابنا هذا هو من هذا الصنف الثاني بكل تأكيد .

مكانة (القوة) في الاسلام :

ليس هناك من شك في أن الاسلام فيه من الأسباب والعوامل الداخلية ما يجعله ينفذ إلى القلوب ، ويدلف إلى العقول إلا من عاند وكابر ، وليس هناك من شك أيضا في أن الاسلام به من القوة الذاتية ما يمكنه من الانتشار والذيوع في مختلف البقاع والامصار ، ولكن هذا وذاك لا يمكن أن يغني المسلمين عن ضرورة امتلاك (القوة المادية) بأسبابها المختلفة التي قد تختلف من عصر إلى عصر ، ذلك أن الأطراف الأخرى لا يمكن أن تتركه ليعرف طريقه إلى الناس ، فهم دائمو الحرب والكيد له ، وهم دائمو اتخاذ أسباب القوة لمحاولة حسره ومحاصرته .

ولعل هذا يجعلنا نقرأ بوعي وفهم وحسن إدراك قوله تعالى في (سورة الانفال ، آية ٦٠):

« **وأعدوا لهم ماستطعتم من قوة ومن رباط الخيل** » ، وكذلك قوله في سورة (الفتح ، آية / ٢٩):

« **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** » ، وقوله في سورة (المائدة ،آية / ٥٤):

« **أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** »، وكل ذلك في معرض الحديث عن المؤمنين ، كذلك قوله في سورة النساء، آية / ١٠٤ « **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** »، وقوله في سورة (آل عمران ، آية / ١٣٩)« **ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين** » أى لا تضعفوا .

أما الأحاديث النبوية الشريفة فهي كثيرة في الحث على اتخاذ جانب القوة

والبعد عن مظاهر الاستكانةوالضعف ، ففي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:« المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي**كل** خير : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز ». وكان النبي يتعوذ من الجبن ، والجبن من الخصال المذمومة المكروهة لدى كل الناس في مختلف العصور والأزمان ، ويذهب ابن القيم الى أن أهل الجبن هم أهل سوء الظن بالله ، وأهل الشجاعة والجود هم أهل حسن الظن بالله ، كما قال بعض الحكماء في وصيته: "عليكم بأهل السخاء والشجاعة،فإنهم أهل حسن الظن بالله، والشجاعة حصن للرجل من المكاره والجبن إعانة منه لعدوه على نفسه ، وهو جند وسلاح يعطيه عدوه ليحاربه".

وفي التراث العربي العام مدح وتقريظ كذلك للقوة والشجاعة ، فقد قالت العرب : الشجاعة وقاية ، والجبن مقتلة ، وقد كذب الله سبحانه أطماع الجبناء حين ظنوا أن جبنهم ينجيهم من القتل والموت ، ومن هنا كان قوله عز وجل في سورة (الاحزاب ، آية /١٦): « **قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل** »، ولقد احسن القائل :

أقول لها وقد طارت شعاعا ... من الأبطال ويحك لن تراعي
فإنك لو سألت بقاء يوم ... عن الأجل الذي لك لن تطاعي
وما ثوب الحياة بثوب عز ... فيطوى عن أخي الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي ... فداعيه لاهل الارض داعي

وفي وصية أبي بكر الصديق لخالد بن الوليد : احرص على الموت توهب لك الحياة . وقال خالد بن الوليد : حضرت كذا وكذا زحفا في الجاهلية والاسلام وما في جسدى موضع إلا وفيه طعنة برمح أو ضربة بسيف ، وها أنا اموت على فراشي ، فلا نامت أعين الجبناء ، ولا ريب عند كل عاقل في أن استقبال الموت إذا جاءك خير من استدباره ، قال حسان :

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ... ولكن على أقدامنا تقطر الدما

وقال آخر :

محرمة أكفال خيلي على القنا ... ودامية لباتها ونحورها
حرام على أرماحنا طعن مدبر ... وتندق منها في الصدور صدورها

وكانوا يفتخرون بالموت على غير الفراش ، ولما بلغ عبدالله بن الزبير قتل أخيه مصعب قال: إن يقتل فقد قتل أخوه ، وأبوه ، وعمه ، إنا لا نموت حتف أنفنا لكن حتفنا بالرماح وتحت ظلال السيوف .

وانا لتستحلي المنايا نفوسنا ... وتترك اخرى مرة ما تذوقها

وكما قال الشاعر :

نجود بالنفس إن ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

وبالطبع فإن هذا غير مطرد في كل الناس ، ومن هنا يقسم ابن القيم البشر في

هذا الشأن اربع فئات :

١ ـ فمنهم الجواد الشجاع الذي يجود بماله ونفسه ،

٢ ـ ومنهم البخيل الجبان الذي يضن بماله ونفسه ،

٣ ـ ومنهم الجواد الجبان ، الذي يجود بماله ويضن بنفسه ،

٤ ـ ومنهم الشجاع البخيل ، الذي يجود بنفسه ويضن بماله ،

وعلى ذلك فلا تلازم بين الشجاعة والكرم كما يظن بعض الناس « وإن كانت الأخلاق الفاضلة تتلازم وتتصاحب غالبا ، وكذلك الأخلاق الدنيئة »

كذلك يفرق ابن القيم بين (الشجاعة) وبين (القوة) حيث يرى أنهما متغايران ، وإن كانا بالطبع غير متناقضين ، ومنطقه في هذا أن الشجاعة هي : « ثبات القلب عند النوازل وإن كان ضعيف البطش »، وكان الصديق رضى الله عنه اشجع المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عمر وغيره اقوى منه ، ولكنه برز على الصحابة كلهم بثبات قلبه في كل موطن من المواطن التي تزلزل قلوب اغلب الناس ، وهو في ذلك ثابت القلب رابط الجأش يلوذ به شجعان الصحابة وأبطالهم فيثبتهم ويشجعهم ولو لم يكن إلا ثبات قلبه يوم الغار وليلته ، وثبات قلبه يوم بدر وهو يقول للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك ، وثبات قلبه يوم أحد وقد صرخ الواهمون بأن محمدا قد قتل ولم يبق أحد مع أحد وهو في ذلك ثابت القلب ساكن الجأش ، وثبات قلبه يوم الحديبية ، وقد قلق فارس الاسلام : عمر بن الخطاب حتى ان الصديق ليثبته ويسكنه ويطيبه ، وثبات قلبه يوم حنين حين فر الناس وهو لم يفر .. إلى غير ذلك من مواقف يصعب حصرها في هذا المجال ، وكلها تبين بما لا يدع مجالا للشك ما كان يتسم به أبو بكر الصديق من شجاعة .

كذلك لابن القيم تقسيم لمراتب الشجاعة والشجعان ، فهو يقسمها إلى ما يأتي : المرتبة الاولى : الهمام ، وسمى بذلك لهمته وعزمه ، وجاء على بناء فعال كشجاع ،

المرتبة الثانية : المقدام ، وسمى بذلك من الاقدام وهو ضد الاحجام ، وجاء من أوزان المبالغة كمعطاء ، ومنحار لكثير العطاء والنحر . وهذا البناء يستوي فيه المذكر والمؤنث كامرأة معطار كثيرة العطر ، ومذكار تلد الذكور .

المرتبة الثالثة : الباسل ، وهو اسم فاعل من بسل يبسل كشرف يشرف ، والبسالة الشجاعة والشدة :وهي الصلابة وضدها الفشل والرجل الفشل هو الضعيف الجبان .

المرتبة الرابعة : البطل ، وجمعه أبطال وهو الذي يبطل شجاعة غيره فيجعلها بمنزلة العدم .

المرتبة الخامسة : الصنديد ، بكسر الصاد ، والعامة تلحن فيقولون بفتحها وليس في كلامهم فعليل بفتح الفاء وانما هو بالكسر في الأسماء كقنديل ، وفي الصفات كشمليل والصنديد الذي لا يقوم له شيء .

مواقف نبوية عملية في الفروسية :

وللشجاعة والقوة مظاهر ومجالات متعددة وتعد الفروسية إحدى المجالات الهامة فيها ، وللفروسية نفسها صور مختلفة :

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سابق بالأقدام ، وثبت عنه أنه سابق بين الابل ، وثبت عنه انه سابق بين الخيل ، وثبت عنه أنه حضر نضال السهام ، وصار مع احدى الطائفتين فأمسكت الاخرى ، وصار مع الطائفتين كلتيهما ، وثبت عنه انه رمى بالقوس وثبت عن الصديق أنه ـ قبل التحريم ـ راهن كفار مكة على غلبة الروم للفرس وراهنوه على انه لن يكون ذلك ووضعوا الحظ من الجانبين ، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه طعن بالرمح ، وركب الخيل مسرجة ، ومعراة ، وتقلد السيف .

فأما مسابقته بالأقدام : ففي مسند الامام احمد ، وسنن ابي داود من حديث عائشة قالت : « سابقني النبي صلى الله عليه وسلم فسبقته حتى إذا أرهقني اللحم سابقني فقال : « هذه بتلك » ، وفي رواية اخرى انهم كانوا في سفر فقال النبي لاصحابة :« تقدموا »، فتقدموا ثم قال لعائشة : سابقيني فسابقها فسبقته ثم سافرت معه مرة اخرى فقال لاصحابه تقدموا ، ثم قال : سابقيني فسبقته ، ثم سابقني وسبقني ، فقال: « هذه بتلك » وتسابق الصحابة على الأقدام بين يديه صلى الله عليه وسلم بغير رهان .

وفي صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع قال : بينما نحن نسير وكان رجل من الأنصار لا يسبق أبدا فجعل يقول : ألا من مسابق إلى المدينة ، هل من مسابق ؟ فقلت : اما تكرم كريما وتهاب شريفا ، قال : لا ، الا ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قلت يا رسول الله بأبي انت وامي ، ذرني اسابق الرجل ، فقال : ان شئت ، فسبقته الى المدينة .

وأما مصارعته صلى الله عليه وسلم ، ففي سنن أبي داود عن محمد بن علي بن ركانة أن ركانة صارع النبي صلى الله عليه وسلم مرتين او ثلاثة فصرعه النبي . وقيل ان هذه الواقعة حدثت بمكة قبل إسلامه ، فلما صرعه الرسول ، كانت سببا هاما في اسلامه.

واما مسابقته صلى الله عليه وسلم بين الخيل ، ففي الصحيح من حديث ابن عمر قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابق بين الخيل التي اضمرت (ضمر الفرس للسباق ونحوه : ربطه وعلفه وسقاه كثيرا مدة ، وركضه في الميدان حتى يخف ويدق ، ومدة التضمير عند العرب اربعون يوما) ومن الحفياء ، وأمدها الى ثنية الوداع ، وسابق بين الخيل والتي لم تضمر من الثنية ، الى مسجد بني زريق . وفي الصحيحين عن موسى بن عقبة ان بين الحفياء الى ثنية الوداع ستة اميال او سبعة . وقال البخارى : قال سفيان : من الحفياء الى ثنية الوداع خمسة اميال او ستة ، ومن ثنية الوداع الى مسجد بني زريق ميل .

وفي مسند أحمد من حديث عبدالله بن عمر أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم سبق بين الخيل وأرهن ، وفي لفظه : سبق بين الخيل وأعطى السابق . وفي المسند أيضا من حديث أنس انه قيل له : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراهن ؟ قال : نعم والله قد راهن رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرس له يقال له سبحة ، فسبق الناس فبش لذلك واعجبه .

وأما مسابقته بين الابل ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال : كان للنبي صلى الله عليه وسلم ناقة تسمى العضباء لا تسبق فجاء اعرابي على قعود له (القعود : البكر الى أن يصير في السادسة، والبكر : الفتي من الابل)فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه فقال :« حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه ».

وأما تناضل أصحابه بالرمى بحضرته ، ففي صحيح البخارى عن سلمة بن الاكوع قال : مر النبي صلى الله عليه وسلم على نفر ممن اسلم ينتضلون فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان راميا ، ارموا وانا مع بني فلان » قال : فأمسك احد الفريقين بأيديهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مالكم لا ترمون » فقالوا : كيف نرمي وأنت معهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم « ارموا وانا معكم كلكم ».

أنواع الفروسية وآداب تعلمها :

الفروسية أربعة أنواع ، أحدها : ركوب الخيل والكر والفر بها ، والثاني : الرمي بالقوس ، الثالث : المطاعنة بالرماح ، الرابع: المداورة بالسيوف ، فمن استكملها استكمل الفروسية ، ولم تجتمع هذه الأنواع الاربعة إلا لغزاة الاسلام وفوارس الدين وهم الصحابة رضى الله عنهم ، هذا فضلا مما لا بد من اضافته إلى فروسيتهم الخيلية من فروسية الايمان ، واليقين، والتنافس في الشهادة ، وبذل نفوسهم في محبة الله ومرضاته ، ومن هنا فانهم ما حاربوا أمة الا وهزموها ، فلما ضعفت هذه الجوانب فيمن بعدهم لتفرقها فيهم وعدم اجتماعها ، دخل عليهم من الوهن والضعف ، بحسب ما عدموه من هذه الاسباب .

وذهب البعض إلى أن أركان الرمي أربعة : السرعة ، وشدة الاصابة(أو النكاية)، والاصابة ، والاحتراز ، فالرامي على الحقيقة ، من كملت فيه هذه الأربعة ، وكل واحدة منها محتاجة ألى أخواتها كما يحتاج الرمى إلى أربعة : القوس والوتر والسهم والرامي ، فلو كان سهم الرجل مصيبا ولم يكن منكيا لم يؤثر ، ولو كان سهمه منكيا ولم يكن مصيبا لم ينفع ، ولو كان مصيبا منكيا ولم يحسن التحرز من عدوه ، فانه يوشك ان يقتله عدوه قبل رميه إياه لعدم معرفته بالتحرز منه . ولو اجتمعت فيه الثلاثة : الاصابة ، والنكاية ، والتحرز ، ولم يكن سريع الرمى ، نقص ذلك من بسالته وشجاعته وقل انتفاعه برميه وربما فاته مطلبه

وهرب خصمه منه لبطء رميه له ، فمن لم يستكمل هذه الخصال فليس برام عندهم .

والذي يحتاج المتعلم إليه ، أجملها ابن قتيبة في اثني عشر شيئا ، ثلاثة شداد ، وثلاثة لينة ، وثلاثة ساكنة ، وثلاثة مستوية :

فأما الثلاثة الشداد ، فالقبض بالشمال ، والعقد باليمين ، والمد بالذراع والساعد .

وأما الثلاثة اللينة : فالسبابة من اليد اليمنى ، والسبابة من اليد اليسرى ، ولين السهم في حال « الجبذ »، (جبذ الشىء أي جذبه).

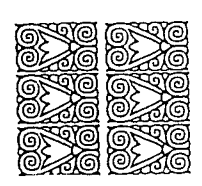
وأما الثلاثة الساكنة : فالرأس ، والعنق ، والقلب .

واما الثلاثة المستوية : فالمرفق ، والنصل ، والفوق (موضع الوتر).

وملاك ذلك كله أمران : معرفة مقدار القوس من الخفة والثقل ، فينبغي ألا يأخذ قوسا فوق مقداره ، فإنه يظهر عيبه ويؤذي نفسه ، ويفسد رميه ويطمع فيه عدوه فيجلب إلى نفسه من الأذى ما لا يناله منه .

وأوجب ابن القيم على من يقبل على التعلم ان يعرف انه مقبل على أمر جليل الشأن شريفه ، ومن ثم يذهب على وضوء ذاكرا الله ، وعليه السكينة والوقار ، فإذا دخل الى الموضع ، دخل بأدب وسلم ووضع سلاحه وحسن أن يصلي ركعتين ، ثم يدعو ويسأل الله التوفيق والسداد . ولعل هذا ما يؤكد لنا شمولية النظرة الاسلامية في التربية ، فعلى الرغم من أن موضوع التربية هنا (مادي) و(جسدي)، إلا أن مربينا هنا يؤكدون على ضرورة استكمال هذا الجانب بجوانب أخرى مما نسميه عادة بالتربية الروحية ، كالصلاة والدعاء .

وبعد هذه الخطوة يمضي ابن القيم في بيان بعض أوجه تعلم الفروسية بتفاصيلها المختلفة وما يرتبط بها من أحكام شرعية مما لا سبيل إلى شرحه هنا وبيانه وعلى طالب الاستزادة أن يرجع الى كتاب (الفروسية) لابن القيم الذي أشرنا اليه في مستهل هذا المقال ، ويكفينا هنا اقرار المبدأ ، وبيان الفلسفة ، أو بمعنى أصح ، جانب هام من جوانب فلسفة التربية الاسلامية وخاصة عند واحد من علمائها المرموقين وهو (ابن قيم الجوزية).





تمهيد

من حق أهل الحكمة والمعرفة أن يبتسموا سخرية وأسى إذا ما ذكرت بعض أدواء التمدن الغربي كالدخينة ومعاقرة الخمر والمواد الاباحية بأشكالها المتنوعة في الكتب والافلام والمجلات ، على أنها هي الطاعون الأكبر الذي رمي به العالم الاسلامي في فترة وعيه الحديثة مما أضعف فاعلية ذلك الوعي وأوجد له متناقضات ما يزال يتخبط في متاهاتها ويحاول بمشقات هائلة أن يتخلص منها ..

والحقيقة الأعمق من ذلك بكثير هي أن السم النقيع الذي جرعناه دون إحساس ملموس منا هو سم العلمانية الرهيب ، فهو الذي أحدث في مؤسساتنا الثقافية كارثة على مستوى الطاعون هي التي يجب أن نستيقظ على أخطارها ، ونرى ما يمكننا أن نفعله في صددها .

وسوف يرى قارىء هذا المقال أن

العلمانية الأوروبية كانت ، قبل الأزمنة الراهنة في حياة الشرق والغرب ـ أعني المعسكرين إياهما على السواء ـ عنصرا إيجابيا لازما للخروج من خطر ماحق إلى خطر معقول ، ولكنها بالنسبة للاسلام حركة ارتداد ورجعية وتشويه ، فهي التي يمكن أن تضع المسلمين على قدم المساواة مع المعسكرين في مسؤولية الأزمة الانسانية الراهنة ، مع أن المفروض أن يكون عالم الاسلام بريئا من ذلك الميكروب الفتاك ، وجاهزا لتخليص العالم من عواقبه المأساوية

ما هي العلمانية :

العلمانية أو العلمنة هي مصطلح سيء الترجمة عن العبارة الاجنبية Secularism ذلك بأن هذه الترجمة الخاطئة قطعا ـ بل ينبغي أن أقول المضللة ـ تقلل جدا من سلبية المصطلح الأجنبي وتعيره بالعربية كلمة تتشرف بنسبتها الى العلم ، وهو الأمر الذي رفع الاسلام شأنه ، وأعلى بنيانه ، وبلور منهجه المتنور المبتكر ، وجعل أهله ورثة الانبياء ، وباعد في المنزلة ما بين سمو أهله وضعة الجهلاء . والحقيقة أن لهذا الخطأ قصة كبيرة في تاريخ أوروبا منذ العصور الوسطى وإلى يومنا هذا . لقد كانت الكنيسة في البداية هي موئل المدرسة وحافظة المعرفة في وضع يشبه الاحتكار بكل ما في الكلمة من معنى ، ذلك بأن لغة التدريس هي اللاتينية ، وهي لغة ماتت إلا في الكنائس وملتقيات فئات من المثقفين كالمحامين فكانت الكنيسة هي التي تضع مناهج المعرفة والفكر ، ولم يكن أي من العهدين القديم والجديد قد ترجم إلى أي من اللغات الاوروبية ..

وكان في نصوص الاناجيل كما هو معروف تناقضات عديدة ، ناهيك عن الأخطاء الحسية كتحديد عمر الأرض بخمسة آلاف سنة ، والقول بأن الأرض هي عميدة الكواكب وأكبرها وأنها وطيدة ثابتة يدار من حولها ولا تدور ، في وقت كان القرآن الكريم الذي يدرس في جامعات قرطبة وبالرمو يحوي هذا النص الالهي الحق « **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب صنع الله الذي اتقن كل شيء إنه خبير بما تفعلون** » النمل/٨٨ وفي تلك الجامعات الاسلامية كان يدرس نفر من علية القوم الأوروبيين منهم البابا ومنهم الامبراطور ومنهم فيما بعد الوجيه المرموق .

ولو ان الكنيسة اتخذت موقفا ينطوي على أدنى قدر من العدل والتعقل لما نشأت العلمانية كنقيض للدين كله جملة وتفصيلا ، ولما كانت رفضا لكل معطياته ، ولكن الكنيسة التي كانت تهتز غضبا لكل غضاضة تمس كرامة الارض حيث هي عندها أهم ما في الكون ولولا ذلك ما فدى الله تعالى عن ذلك ـ أهلها بالولد الوحيد الذي زعموه له ـ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـ ولو كان هذا المقال موضوعا لمتابعة قصة التثليث لعرضت

للقارىء الكريم قصة المصالحة التي تمت بين امبراطور القسطنطينية الذي سارع لاضطهاد منكري ألوهيته من المسيحيين فانتهى الأمر إلى حل وسط لابد أن دهاقنة اليهود عملوا كثيرا للوصول له ، وبموجبه فإن قداسة المسيح المؤله رأس الكنيسة تسري على من يرأس الكنيسة من بعده ألا وهو الامبراطور البيزنطي ، وقد جوبه المنفوذيوك وغيرهم من مفكري الطبيعة الالوهية للمسيح بأفدح أنواع المذابح كمذبحة نيقيوس الرهيبة عام ٣٢١ م التي لم تبق من اولئك المعترضين ولم تذر .

الكنيسة تعادي العلم والبحث العلمي :

كان لابد للكنيسة أن تتصدى لكل قائل بأقوال المسلمين الذين لم ينج الناجي منهم في الأندلس بعد حملة على التنصر بل كان يُتابع لأدنى هفوة لسان أو امتعاض من قول أو تصرف لا يعجبه قلبيا ثم ترسله محاكم التفتيش إلى أفران المسامير المحماة ليموت هناك ميتة المظلوم المقهور .

ولم يقتصر الأمر على المسلمين واليهود ولكن كل نصراني كانت تبدر منه بادرة اعتراض كان يساق لمحاكم التفتيش فيلاقي مثل مصير العلامة العظيم « برونو » الذي أصر على رفض التثليث ، وعلى القول بأنه يستحيل أن يشبه الله تعالى بالانسان فيعزى إليه ولد .. كأنما هو في مثل طبيعة البشر الضعاف محتاج إلى ولد .. وبالتالي حرقوه على السفود المحمى بالنار ..

لكن الايطالي جاليليو لم يكن في مثل شجاعة صاحبه ، وكان هذا عالما وفلكيا ولاهوتيا على طريقة العلم الاسلامي ، وكان يأخذ بحسابات الرياضيين والفلكيين الذين أثبتوا أوصاف مجموعة الكواكب الدائرة في فلك الشمس ومنها الأرض ، مبينين أن هناك كوكبا واحدا منها يجب أن يكون من حجم كذا وفي موقع كذا ، فهو ثابت الوجود رياضيا لكنه ليس ثابتا حسيا وبرؤية كباقي زملائه .. لكن الكنيسة أبت قبول هذه الأقوال واستندت إلى إنكار إمكان وجود كوكب سيار آخر .. غير أن عالما هولنديا استطاع تطوير العدسات المكبرة فكان معنى ذلك إمكان الحصول على رؤية أدق من ذي قبل وقد استخدم جاليليو عدسة الهولندي فتمكن من رؤية الكوكب الذي كان مستعصيا على النظر من قبل ، وإذا الكوكب فينوس بالحجم والموقع الذي حسبه الحاسبون الرياضيون .. ورغم هذا البرهان فقد غالطت الكنيسة ووضعت جاليليو أمام أحد خيارين فإما أن يقبل مركزا في مجلس الكرادلة الأعلى مما يرشحه للصيرورة بابا وإما أن يصر على اقواله وقد تكون عقباه على الأغلب المسامير النارية تخترق جسده وتعصف بحركة قلبه فتميته وخاف جاليليو وباع شجاعة العلم إلى جانب الحق ، وأخذ مركز الكردينال بالباطل لكن الحقيقة كانت أقوى من تدبير الكنيسة الرومانية ، فقد رددت الأوساط العلمية صدى الكشف عن

فينوس حتى أصبح حديث الناس أجمعين إلا نفرا ممن يرهبون على مصالحهم الكنسية ..

ولما كانت البروتستانتية المحتجة على كنيسة روما المنكرة للاعتراف وبالتالي لوجود البابا نفسه قد ترعرعت ونتج عنها مذاهب وفروع ، فإن ذلك قد أدى نهائيا إلى انفصال القوميات الاوروبية المختلفة عن روما وانشطار العالم المسيحي إلى وحدات سياسية متميزة بكنائس مستقلة يرأسها الملوك .. أما العلماء والباحثون الذين أطلق لهم العنان في اوروبا الغربية فقد أعلنوا أن منهج العلم يتناقض مع المعطيات الكنسية ، وأن الذي يصلح للعلم هو اللادينية وهي العبارة الأدق تعبيرا من العلمانية . ومنذ ذلك الحين والاوساط العلمية الأوروبية تتعبد الحس والمحسوس ، والتجربة والمختبر ، وتفصل ما بين العلم والدين كما فصلت نهائيا بين الحكم والدين .

وسواء اتعلق الأمر بأوروبا الغربية أم الشرقية فالامر تقريبا على حد سواء .. العلم هو العلمانية واللادين والحكم أيضا هو العلمانية التي تنشيء السياسة على أساس المصالح ، ولا تعرف معنى لصداقة دائمة أو عداوة دائمة .

لكن الاسلام مختلف جدا :

ومن أسف بالغ أن الاسلام منذ النهضة الأوروبية بدأت أحوال أهله في الضعف والضياع . وكان من أسباب ذلك هيمنة الغربيين على التجارات الدولية وانتزاعها شيئا فشيئا من أيدي المسلمين في الشرق الأقصى فليبينية وصينية ، وجاوية وماليزية وهندية وفارسية ، ناهيك عن شرق افريقيا اولا ثم سائر القارة السوداء تاليا . ولولا الجهد المشترك المصري السوري اليماني لانقاذ البحر الاحمر وصد البرتغاليين عن دخوله لوصل الخطر إلى الاماكن المقدسة إذ كان الصليبيون ولا سيما البرتغال يتوعدون باجتثاث أصول الاسلام منها .

وأعمى النصر والغنى الاوروبيين ، وصمموا على تصفية دولة الاتراك العثمانية ليخلوا لهم العالم الاسلامي كله كمصدر للمواد الأولية الرخيصة وسوق مضمونة للاستهلاك بأسعار تناسب المصانع الاوروبية وفعلا تراجع المسلمون حتى وصل الحال بهم عند مطلع القرن العشرين إلى تمزق وشتات واستعمار وجهل وفقر لم يعرفوا لها نظيرا من قبل

التخطيط العلماني للعالم الاسلامي :

وعندما لاحت في العالم الاسلامي **بآخرة** من القرن الثامن عشر بوادر الحركات الاصلاحية هال ذلك الغرب ، وخوفه من عودة المارد الاسلامي الى حال الصحوة فقرر أن يهيمن على هذه الحركة يدخلها في كل قناة إلا قناة الاسلام .

لذلك فقد عوملت المجتمعات الاسلامية الخاضعة للاستعمار

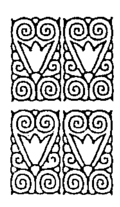
وكأنما هي مجتمعات نصرانية لا مناص فيها عن فصل الدين عن الدولة ، وإقامة سائر الهياكل الثقافية على أسس لادينية علمانية تقضي على اخلاق الاسلام ووجهة نظره في السياسة والعلم والتعليم والاعلام ، وبالتالي لا يكون هناك وجود للفهم القرآني والشرعي لحياة المسلم . ونحن لا نلقي الكلام هنا جزافا ذلك بأن المستعمرين لم يخفوا تلك المقاصد فقد صرح بها مخطط التعليم في وادي النيل « دنلوب » وتحمس لتطبيقها حاكم مصر البريطاني لورد كرومر الذي كان مجمل مسعاه أن ينشيء تعليما لا دينيا تكون غايته النهائية استئصال الصلة بين الاسلام وعمليات التعليم والثقافة في أرض الكنانة وبلد الأزهر .

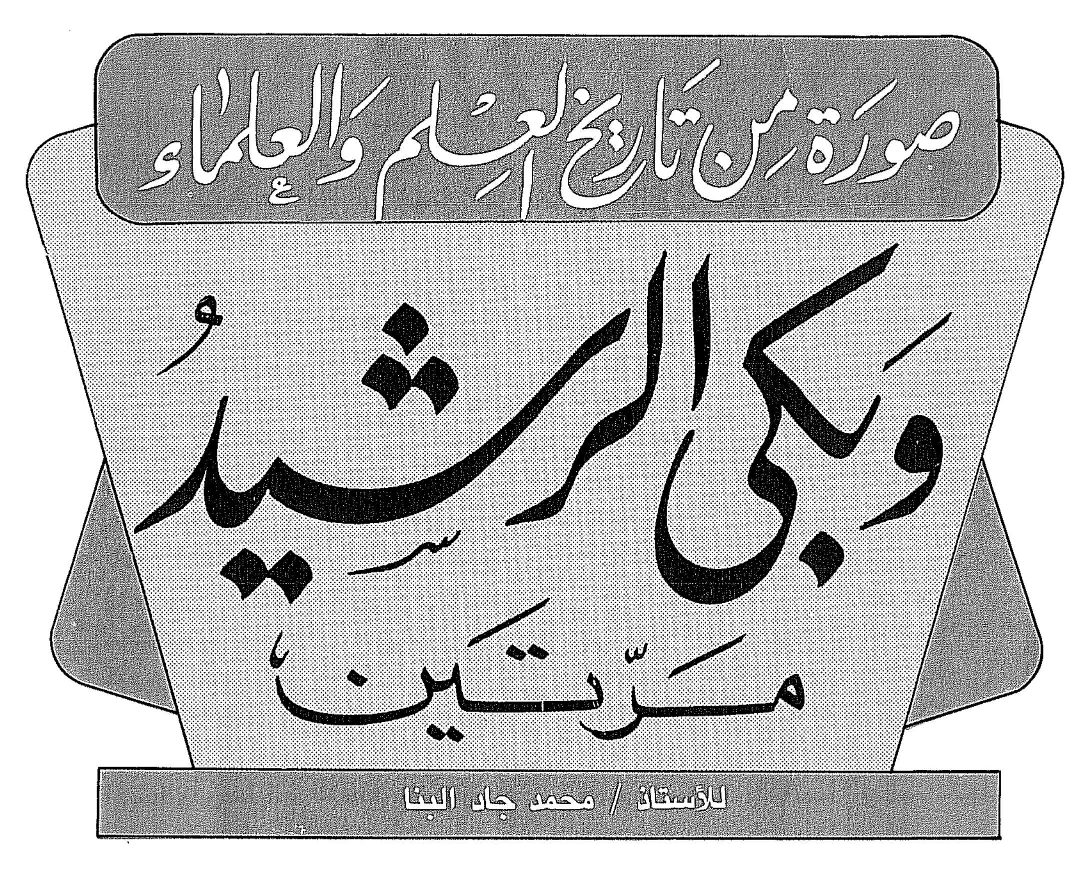
لقد نشأت الحماسة لتطبيق العلمانية على المسلمين بمساع حثيثة من يهود بريطانيا من أيام رئيس الوزراء اليهودي دزرائيلي ، فلقد أعلن بصراحة مفعمة بروح العداء اليهودي القديم للاسلام أنه لا استقرار لارادة الغرب في الشرق الاسلامي الا باستئصال الوجود القرآني هناك ، يقولها وهو يهز نسخة من الكتاب الكريم في يده الكافرة الحاقدة بمجلس العموم .

وكان من الذين عملوا عملا حثيثا على غرس العلمانية في الشرق الاسلامي بالاضافة الى الكليات الامريكية التبشيرية كروبرت كوليج في اسطنبول والجامعة الامريكية في كل من بيروت والقاهرة ، وطهران ولاهور وغيرها مستشرقون تولوا مناصب مسئولة في الشرق من نوع المستشرق زويمر الذي ورد في خطبة من خطبه الكثيرة في مراكز الاستشراق قوله « نريد جيلا في العالم الاسلامي لا يعرف الصلة بالله ولا يريد أن يعرفها ويهتم بالشطرنج أكثر من اهتمامه بمصائر المسلمين ، جيلا يمجد الراحة والدعة وتضمن له الوظيفة والزوجة الأجنبية إن أمكن وتحتكر فيه الوظائف الأساسية في سائر الشرق الاسلامي .

ولقد كان من جملة نتائج العلمانية التشتت الثقافي في العالم الاسلامي والانفصام الرهيب بين طبقة المثقفين وجسد الأمة الأساسي شعبها ومساجدها وقرآنها ومقدساتها وجهادها ، والدعوات القومية الانفصالية الممزقة لشمل الأمة الاسلامية ، والتضحية بالاسلام جملة وتفصيلا في سبيل ما يدعى من السعي للتحديث والتعصير والتقدمية ..

ذلك هو الوضع الكالح الذي نشأ عن غرس العلمانية في نفوس الأجيال المتناحرة من المسلمين .. وهذه هي المعضلة الحقيقية الكبرى التي نواجهها الآن .

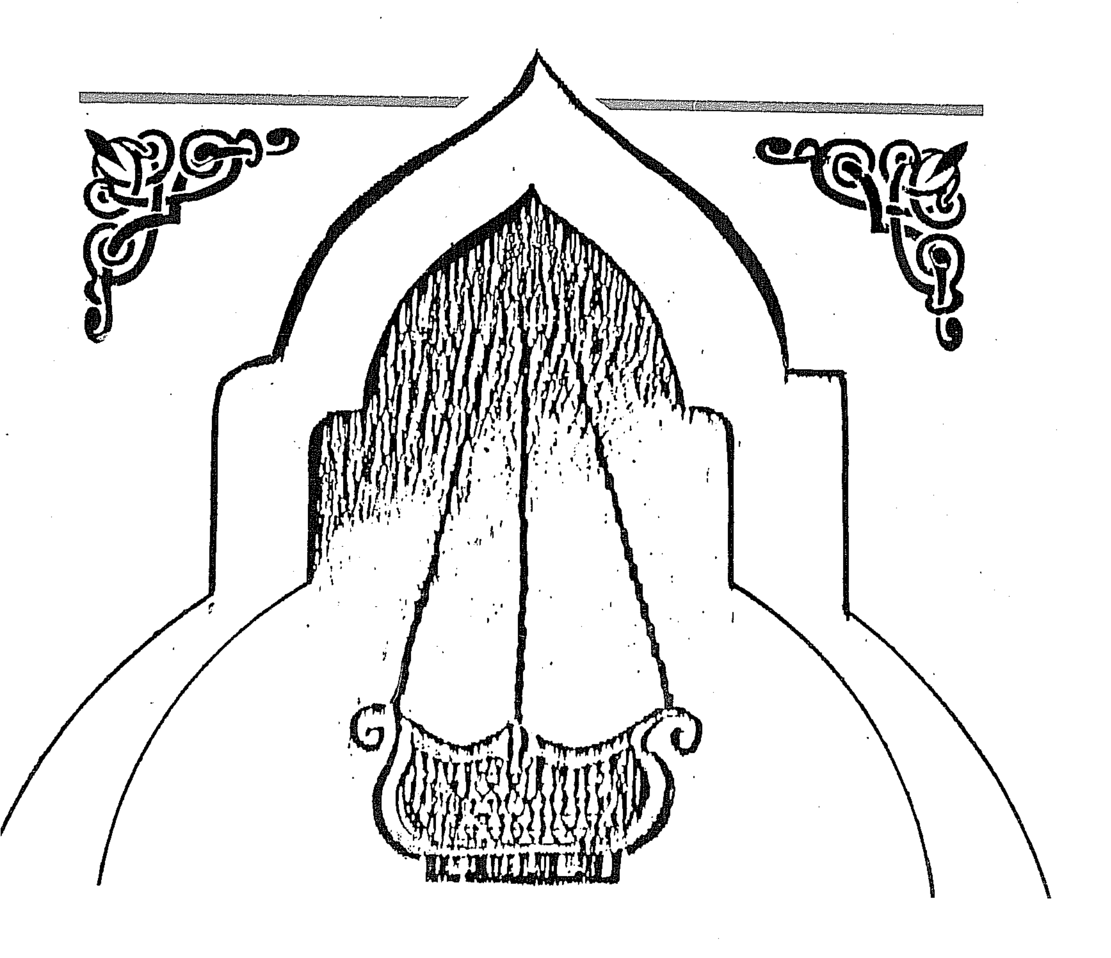




ـ ايه يا سيدنا لقد افسدت امر الغلام وهو كما ترى صغير يتيم وليس له الا ما اطعمه من مغزلي .

ـ دعيه يا ام يعقوب ، فسيأكل « الفالوذج » في دهن « الفستق » في صحون « الفيروزج » .

بهذا حدث الشيخ الجليل المرأة التي مضت تخب في جلبابها الطويل تنظر الى الغد بعين الام فهي تخشى على ولدها المفسدة والمسغبة وتود ان لو احتضنت المستقبل فوضعته بين يديه لينتقي ما يريد من امر نفسه ودنياه وغده ـ ولكن من اين لها وهي تعلم ان المستقبل قدر وليس من شأن الانسان اعتراض سبل الاقدار او تسخيرها لهواه .. بل هو وحيدها وما ترجو له سوى « الصنعة » حتى يستطيع مواصلة الحياة في مدينة الجد واللهو ولكن ما باله ـ يا ام يعقوب ـ وقد ذهبت به الى هذا القصار الذي يصنع الحرير ويتجر فيه وهو لا يلبث ان يتركه بين الحين والحين بل كل الاحايين كي يذهب الى المسجد الجامع ليستمع الى هذا الشيخ « النعمان » اما يريد هذا الولد ان يكون له عمل يستعين به على مسيرة الحياة ولأواء الايام ؟!



صحيح ان سيدنا لا ينكر فضله احد ولا يختلف على علمه اثنان ولكن ما بال هذا الولد والعلم وهو الفقير اليتيم الذي لا حول له ولا طول .. اه لو كان له فضلة من مال او بقية من ارث والله ما حرمته يا ام يعقوب من طموحه واشواق روحه .

وانتهت المرأة الى دارها في الطرف الشمالي من بغداد .. مستمرة في حديث نفسها وكأنها كانت في حلم بعيد افزعها من الواقع الاليم .

ـ ما بال هذا الطرف غارقا في الظلمة تائها في السواد ، ونضيع نحن في الظلام والصمت ، ثم يقول « سيدنا »: دعيه يا رعناء فسيأكل الفالوذج في دهن الفستق في صحون الفيروز ج . من اين يا سيدنا ان امرك منذ اليوم لغريب ويبدو انك شيخ قد خرفت .

مضت السنون تطوي من رداء الزمن جوانب لتنشر جوانب اخرى وانتهى الامر بغلام « سيدنا » الفقير اليتيم الى تولى القضاء في عهد « الهادي » « والمهدي » ثم يرشحه

« الرشيد » كي يكون قاضي القضاة في عاصمة دولة الاسلام والعرب . وجاء البشير ـ صباحا ـ الى ام يعقوب في دارها البعيدة كي يبشرها ان ابا يوسف قد اختير لمنصب القضاء وان الخليفة يطلبه فورا .

ـ يا ابا يوسف .. يا ابا يوسف ..

ـ من بالباب ؟

ـ رسول الخليفة يا ام يعقوب .

ـ مالنا والخليفة !

وفتحت ام يعقوب .. يصبحك الله بالخير يأم يعقوب .. يصبحك الله بالنور والخير يا بني .

ـ اين سيدي القاضي ؟

ـ سيدك القاضي .. من هو سيدك القاضي ؟

عجبا الا تعرفين من هو سيدي القاضي .. ابو يوسف يا ام يعقوب .. اخبريه ان الخليفة يريده فورا وبلا تاخير .

وانكرت المرأة من امر البشير ما انكرت .. فهي تدرك بفطرة الام التي تعرف طباع ولدها انه لن يستجيب لطلب الخليفة ولن يلبي حاجة القضاء .. وكيف وهو منذ مات استاذه ابو حنيفة النعمان يعتكف في غرفته هذه العالية يكتب ويكتب يلتهم الطروس في نهم الجائع حتى لا يكاد ينتهي من ريشة الا الى اخت لها .. وصعدت المرأة تخب في جلبابها الطويل تتوكأ على مسند الدرج وحواجزه فقد اكلت منها الايام وشربت وتطرق باب الغرفة المعتكفة الساهرة .

ـ ادخلي يا اماه ـ اسعد الله صباحك وطرز بالخير والنور ايامك .

ـ يصبحك الخير يا بني اليس لهذا العمل المتواصل من نهاية ينتهي اليها ؟؟!

ـ سؤال يحمل بين طياته العجب ـ يا ام هل عرف العلم نهاية ينتهي اليها ؟؟!

ـ لقد جاء رسول الخليفة يبشرنا باختيارك لمنصب القضاء ويقول ان الخليفة يحب ان يراك وهنا تحركت العينان الكليلتان في محجريها واهتزت الشعرات المتناثرة في الحقل الابيض ومال نحو امه وهو يقول في هدوء المفكر وجلال العالم .

ـ مالي والقضاء ـ يا اماه ـ اني اعكف كما ترين على تتمة ما تركه سيدنا النعمان وعلي ان انتهي منه في الوقت الذي اكون فيه مكتمل الصحة موفور العافية فالعلم يا امي امانة داخل خزائن الصدور ، وقد كان معلمي نضر الله ثراه ورضى عنه خزانة كبرى من خزائن هذه الامانات وقد اودعني ما وعاه من امانة علمه كي اوصلها الى الناس بالمنهج الذي ارتضيه وقد ارتضيت المنهج وقررت ان اصنف واصنف حتى اؤدي للاسلام

والمسلمين امانتهم لدي وحقهم عندي ..

ـ ولكنه منصب القضاء يا بني طالما حرص عليه الناس وطلبوه ومن اجله بذلوا الغالي والثمين وكلهم يسعى اليه ثم تعرض عنه انت ؟!!

ـ اعرض عنه اليوم كما اعرضت عنه من قبل يا اماه فليس هذا بجديد .

ـ كان ذلك مع المهدي وقد اجبرك على قبوله اما اليوم فما اظن الرشيد يرغمك على القبول وال جعفر حوله ، ودست القضاء مرغوب فيه واصحابهم كثر ..

ـ ليكن ـ ليكن ـ يا امي فانا راغب عنه كاره له . ولتعلمي يا ام يعقوب ان ما انا فيه من خدمة قضية العلم وتبيان الحقيقة لا يقل بحال ـ ان لم يعظم عن تكريم العدالة ونصرتها .

وفجأة برق في ذهن المرأة التي انجبت للدنيا ابا يوسف عقل « الحنفية » ورأيها المشرق وجناحها الخفاق برق في ذهنها ان تجادل ولدها باحب شيء إليه وهو المنطق وان تحاجه بالحجة المتقنة والبرهان البين .

ـ الست تشعر يا بني انك تهرب من قضية العدالة وخدمتها وانك تبوء بجريرة الظلم اذا رفضت هذ المنصب

ـ لا يا ام ـ لأن ابوء بجريرة الظلم هين عندي من ان ابوء باثم الحق وللحق اثم في اعناقنا اذا اهملناه عظيم .. والا فمن يضمن لي اني سأحقق للعدالة النصر المؤزر الذي ترضاه وتصبو إليه قضيتها ..

ـ منطق لا ارضاه لك يا بني وهل خوفك من الظلم يمنعك من الحرص على الحق ؟ الا تجتهد فتقر ما تستطيع وحسبما يهيىء لك اجتهادك ثم تعود بثواب المجتهد ان اخطأت وبأجره المضاعف ان اصبت .

ـ مهلا يا ام يعقوب ورفقا بولدك فوالله ما كنت ادري ان البطن التي حملتني لها كل هذا العقل وكل هذا الرأي ... بماذا تأمرين ؟؟؟

ـ انت وما ترى يا بني انما اردت ان اكون لك موضع الاستشارة فطالما عودتني ذلك وطالما عودتك ..

انتهينا يا أم يعقوب انت وما ترين ان كان ذلك يرضيك فوالله ما تأخرت لحظة عن قبوله والله ما كنت قاطعا امرا حتى تشهدي وتأذني ...

ولم تكد المرأة المجهدة تسحب الباب وراءها وتدب الدرج في طريقها الى الرسول المنتظر حتى عاد الرجل من جديد الى اوراقه . يجمعها وينظمها بعد ان يفرقها وينشرها والى مقلمته ياخذ منها واحدا ويدع آخر ويبدو ان هذه الحجج على قوتها وهذا النقاش على حدته لم يأخذ مكانه في قلب الام التي تبغي لولدها الخير وتأمل له السعادة فطالما هي على الدرج تدب في ضجر وتأفف وقلق تحدث نفسها وهي تعجب كيف لهذا

الفقير لا يقبل مواكب المنصب والجاه وهي تسعى اليه رحم الله « سيدنا » النعمان فقد كان يقول دعيه يارعناء فسيأكل الفالوذج في صحون الفيروزج اين الفالوذج يا سيدنا اه لو كنت حيا والله لانكرت من امرك اليوم ما انكرته بالامس .. ثم اتجهت نحو الرسول المنتظر في بهو الدار .

- ابلغ امير المؤمنين يا بني ان العلم ينتقل اليه وليست دارنا هذه بعيدة فليتفضل .

ثم ادركت ان العجب يعلو وجه الرسول . فاستدركت قائلة .

- معذرة يا بني فان ولدي هكذا قال لي - وتحرك الرسول صوب الباب وهو يأكل الكلمات من شدة هرولته .

- سلام الله عليك يا ام يعقوب .

- وعليك من الله السلام .

ومضى الرسول وهو يعجب من امر هذا الشيخ الذي يريد امير المؤمنين

أن يوليه منصب القضاء فيحجم عنه ويقول ان العلم ينتقل اليه ؟؟؟ الا ما اعجب امر هذه الفئة المعممة الملتحية في مدينة العلم والنور والعجب ..

انتظم دست القضاء واجتمع اهل المظالم واصحاب الشكاوى وارباب الحقوق بباب المسجد الجامع حيث يعقد ابو يوسف قاضي القضاة مجلسه للحكم والنظر ورد المظالم الى اهلها . وبينما الضجيج يرتفع من هنا وهناك والناس بين اخذ ورد والجدال يحتدم فيعلو ثم يهدأ ثم يعود الى الاحتدام اذ بصوت يأتي من وراء الجمع الحاشد ليقول ..

- ادركني يا سيدي القاضي مظلوم يحتمي بك من جور الرشيد .

وبهت الجمع الحاشد بعد ان غطاهم صمت قليل وان كان لم يبهت لذلك قاضي القضاة فقد تعود ان يستمع من هذا الكثير .

ونظر ناحية الرجل في اخر الصف متفحصا بعين القاضي قائلا ..

- انتظر يا رجل ريثما يفرغ اخوك من عرض مظلمته وسأصغي اليك كما تشتهي بعد قليل .

وانتظر الرجل في شوق الآمل ولهفة المظلوم وانتظر معه الجمع ممن ملكهم العجب واخذت عليهم الدهشة جماع امرهم الى ان حان وقت الرجل لعرض مظلمته فسأله القاضي ابو يوسف .

- والان ما هي مظلمتك يا اعرابي فوالله لنوفينك حقك ما استطعنا الى ذلك سبيلا -

ان لي بستانا اغتصبه الرشيد وهو الان في يده ونادى قاضي القضاة حاجبه

- ابلغوا امير المؤمنين كي يحضر مجلس القضاء عسى الله ان يقضي امرا كان مفعولا بينه وبين هذا الرجل ان لم يكن مشغولا بتدبر امور الدولة .

وحضر الرشيد لساعته يكاد يتميز من الغيظ فليس من عادة القضاة معه

ذلك وقال وفي صوته رنة الكبرياء .
- ماذا تريد يا قاضي القضاة ولماذا ارسلت في طلبنا هل لاحد عندنا مظلمة فيستوفيها ونردها اليه ام ترى انك استدعيتني شاهدا .

ويتكلم القاضي ابو يوسف .
- يقول هذا الرجل ان امير المؤمنين اغتصب بستانا هو له .
- البستان بستاني اشتراه لي « المهدي » ونحن لا نغتصب مال احد
ونظر القاضي ابو يوسف نحو الرجل قائلا :
- قد سمعت يا رجل ما قال امير المؤمنين فماذا تقول انت ؟
- اليمين يا سيدي القاضي يحلف اليمين .

ونظر ابو يوسف نحو الرشيد .
- اتحلف يا امير المؤمنين ؟؟
- لا ..
- وفكر ابو يوسف قليلا ثم قال .
- ساعرض عليك اليمين ثلاثا فان امتنعت قضينا بالبستان للمدعى ثم عرض اليمين ثلاثا فامتنع الرشيد في كل مرة .

وانطلق الحكم العادل من بين شفتي قاضي القضاة في عاصمة النور والسلام فقال ..
- يرد البستان الى المدعى بعد ان ينزع من يد الرشيد وان يبعث في تنفيذ ذلك ويسلم الى الرجل فورا .. فاصحاب الحقوق في شريعة الله اولى بها واحق .

وزالت الدهشة من اعين القوم وطار العجب من قلوبهم ليحل مكان ذلك الاعجاب بعدل الرجل .. بعد ان غمر نفوسهم نور الحق ، وجلال العظمة .

التوى الركب المنحدر الى مكة بخيله ورجله يريد مقام قاضي القضاة ابو يوسف الحنفي في منزله المتواضع الذي ينام في حضن الطرف الشمالي من بغداد ثم انثنى الركب معرجا الى طريق القافلة قاصدا بيت الله للحج ومدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - للزيارة .. وانتظم مؤتمر المسلمين في مدينة السلام والجلال (مكة) يبحث في امور الدوله واموال الرعية . وتصاعدت الدعوات الطاهرة من القلوب المؤمنة تهز ارجاء الكون وتنير جوانب العالم .

ولم يكن من الغريب ان تنعى الى ابي يوسف امه وهو محرم في حجته هذه مع الرشيد فقد تركها مريضة في بغداد يوم ازمع السفر - ولولا ذلك لكانت في صحبته . الا ان الدموع انسابت غزارا من عين الرجل الكليلة - حتى انه يهتز اهتزازا عنيفا جعل الرشيد يقترب منه وقد علم النبأ .
- امن قضاء الله تبكي يا ابا يوسف ؟!
- ليس من قضاء الله ابكي يا مولاي -

فقضاء الله حق ـ ولكني ابكي على فراقي لامي وهي مريضة ما كان يجب ان اتركها وحدها ـ ما كان يجب ..
ـ نحن نؤدي فرضا واجبا يا ابا يوسف فلا تدع الحزن يفسد علينا الفريضة .
ـ لا تلمني يا مولاي . انه الحزن المقدس الذي لا مفر منه انها امي لشد ما انا حزين على اني لم اكن في وداعها وهي تلقى وجه الله ... وانهمر دمع الرشيد غزيرا حتى بلل لحيته وتساقط على صدره متأثرا من جراح قلب ابى يوسف !!

عقب العودة من رحلة الحج تواكبت وفود العلماء والشعراء والادباء حتى اكتمل عقدهم في قاعة قصر الخلد عل منحنى نهر « دجلة » عند باب خرسان .

وامر الرشيد غلمانه وحجاب قصره بفتح الابواب جميعا فلا يحجب عالم ولا شاعر ولا راغب في العلم او عاشق للمعرفة . وامر كذلك ان تفتح النوافذ كلها عسى ان تخرج مواكب النور من بين ابهاء القصر العامر فتنتشر في سماء المدينة وجوانبها روح الثقافة الحقة .

كثر الجدل واحتدم النقاش فهذه حجة تصدع حجة وهذا شاعر يفحم شاعرا وذاك عالم يصرع عالما حتى خيل الى الحاضرين والمراقبين انه لم يعد في العلم او المعارف مسألة الا وكان لها على مائدة النقاش نصيب .

وهمس هامسان في جانب من جوانب القاعة الكبرى .
ـ ما بال ابي يوسف صامتا لا يتحدث ؟!
ـ يخيل الى انه مذ فارقت امه الحياة وهو على هذا الحال شارد لا يستقر صامت لا يكاد يتكلم الا بمقدار .

وانضم اليهما ثالث قائلا :
ـ لا اظن ذلك ولا احسبه فتلك عادة الرجل يستمع حتى ينتهي القوم من كلامهم ثم يتكلم حتى ينصت القوم لكلامه فكأن على رؤوسهم الطير .
ـ اسمعتما بامر الوصية التي كتبها ؟
ـ اكتبت وصيته ؟ كيف ؟؟ انه على خير حال ؟
ـ كونه على خير حال هو الذي دعاه الى كتابة وصيته لا تنس يا صاحبي ان امثال هذا الرجل في سباق دائم مع الحياة فهو ينتظر موته في الصباح ، فان تاخر انتظره في المساء . بل وفي كل لحظة من نهار وكل لحظة من ليل .
ـ وماذا في وصيته ؟ اعلى خلاف ما يعهد الناس ؟
ـ نعم هي على غير ما يوصى به الناس لقد اوصى بجعل ماله ليكون وقفا على طلاب العلم في مكة والمدينة والكوفة وبغداد .
ـ ياللعجب من امر هذا الرجل،للعلم عاش وفي رحاب العلم وفي ضوئه يحب ان يلقى ربه .. وخشعت الاصوات فلا

تكاد تسمع الا همسا تنبه اليه الغافلون فسكتوا هيبة من وجود الخليفة واجلالا لمقام الصمت وتنبه الجمع الى صوت انتحاب ابي يوسف واهتزازه العنيف الذي يعهدون ويعرفون بينما كان منذ لحظة وجيزة يرسل الابتسامة المضيئة والتي تملأ وجهه كله .

وعجب القوم من امره الا قلة منهم .. كانوا يعرفون لذلك تفسيرا وسببا .. فقد ابصروا الخليفة وهو يقدم اليه حلوى الفالوذج » الغارق في دهن الفستق في صحن « الفيروزج » وهو يقول له ..

ـ كل من هذا فانه لا يصنع لنا في كل وقت .

وتبسم ابو يوسف في بادىء الامر ثم غاصت ابتسامته فجأة وكأنما اصابه سيل من دمع واخذ ينتحب مما جعل الرشيد يلتفت اليه في اشفاق وعجب قائلا له :

ـ ما نحسب اننا اسأنا اليك يا ابا يوسف فلم تعكر صفو جلستنا ، ثم ما هذا التناقض الغريب تبتسم ثم تنتحب ؟.. فأجاب ابو يوسف من خلال دموعه وكأن كلماته ملونة بلون الحزن الذي سيطر عليه .

ـ ابقى الله امير المؤمنين ابتسمت حينما تذكرت ساعة جاءت امي ، وانا في « حلقة » استاذي « ابي حنيفة » رضي الله عنه فقالت ..

ـ يا سيدنا لقد افسدت امر الغلام وهو كما ترى صغير يتيم وليس له الا ما اطعمه من مغزلي فقال معلمي يرحمه الله :

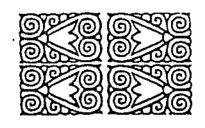
ـ دعيه يا رعناء فسيأكل « الفالوذج " » في دهن « الفستق » في صحون « الفيروزج ».

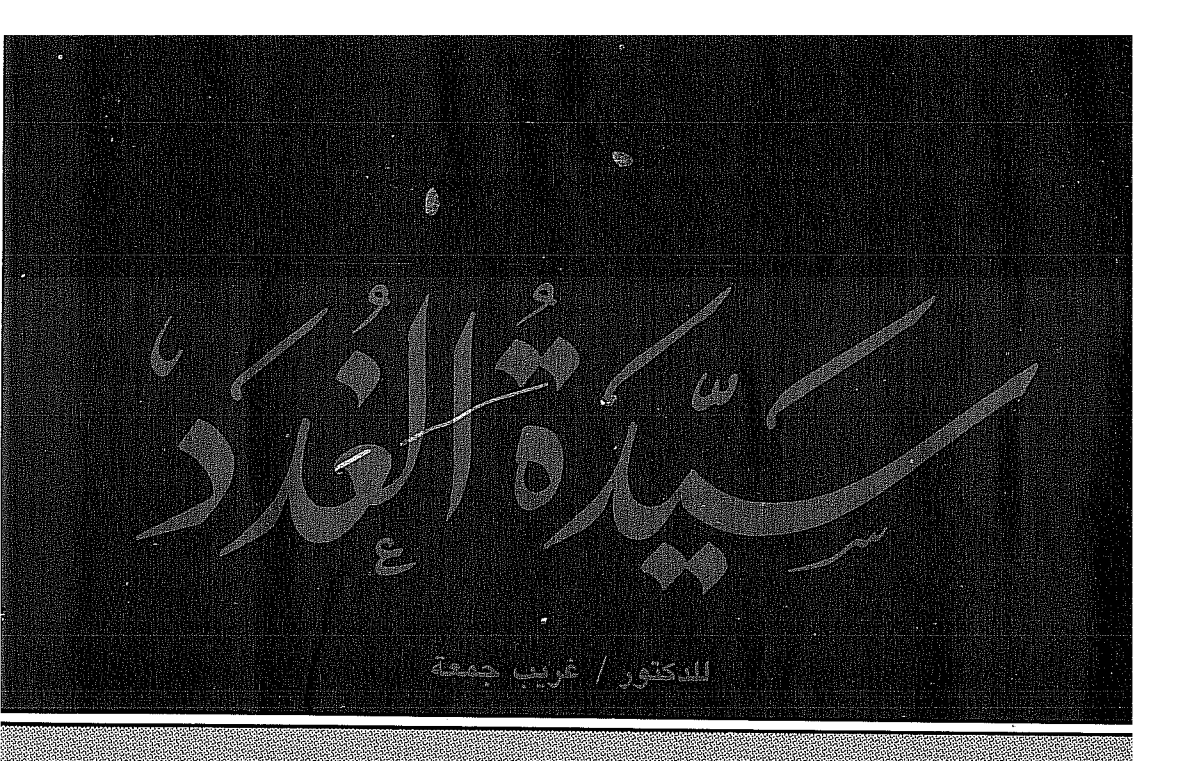
وقد كانت امي يغفر الله لها تستبعد هذا وتنكره وها هو ذا الان بين يدي ماثل !!

ـ رحم الله ابا حنيفة فقد كان ينظر بعين عقله ما ينظر غيره بعين رأسه ولكن ما الذي ابكاك ؟!

ـ انما بكيت شيخي وامي .. آه يا مولاي طالما تمنت ان تعيش حتى تسمع خبر هذا اليوم او تراه وطالما تمنيت ان يكونا معنا في مجلسك الان ولكن يعزيني عن ذلك اني اشعر بقرب لقائهما لقد وهن العظم واشتعل الرأس .

تأثر الرشيد فبكى وانتحب وسرت عدوى البكاء الى الحاضرين فظلوا على هذا الحال من الحزن حتى لاح مطلع صبح وليد ..





يحتاج الانسان في كثير من الأحيان الى ساعات يخلو فيها الى نفسه ليتأمل آيات الله في خلقه حتى يجدد ايمانه - ان صح هذا التعبير - مستحضرا قول أحد الصحابة الأجلاء لصحابه : اجلس بنا نؤمن ساعة وهو يريد أن يسمع منه القرآن يحتاج الانسان الى هذه الساعات لينتزع نفسه من صخب الحياة وضجيجها وزخرفها وزينتها حتى يتقرب من خالق الموت والحياة ومن تقرب منه شبرا تقرب منه ذراعا .. كما في الحديث القدسي المشهور.

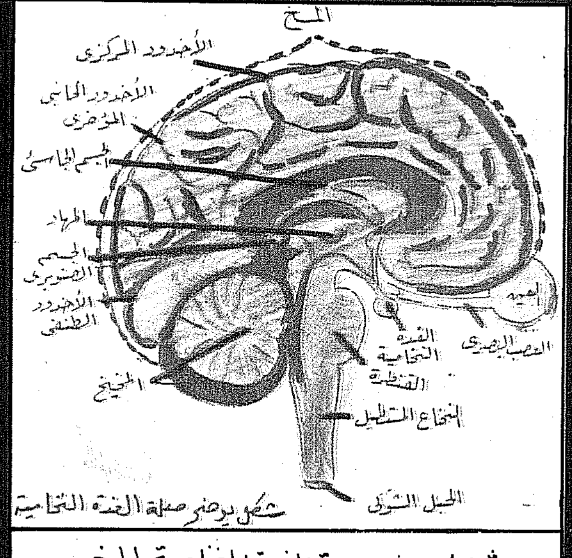
ومن رحمة الله بعباده أن آياته في الكون تحيط بهم من كل جانب بحيث لا تحصى ولا تعد وفي متناول من أزال الغشاوة عن بصره ومزق حجب الغفلة عن بصيرته ومن بين هذه الآيات البينات آيات في الجسم البشري وما أكثر الذين هم عنها غافلون . ورحم الله ابن أبي الدنيا حينما قال « في التفقه والاعتبار » عند شيخه أبي جعفر الدمشقي :

وإذا نظرت تريد معتبرا ... فانظر ففيك معتبر
أنت الذي تمسي وتصبح في الدنيا ... وكل أموره عبر
أنت المصرف كان في صغر ... ثم استقل بشخصه الكبر
أنت الذي تنعاه خلقته ... ينعاه منها الشعر والبشر
أنت الذي تعطى وتسلب لا ... ينجيه من أن يسلب الحذر
أنت الذي لا شيء منه له ... وأحق منه بما له القدر.

وهيا بنا أخي القارىء نجلس معا لنؤمن ساعة بالنظر في آيات الله في جزء يسير من أجزاء جسمك وهو الغدة النخامية أو سيدة الغدد كما يطلق عليها وقبل أن



شكل يوضح حالة ضخامة الأطراف .. لاحظ كبر الأنف وبروز الفك السفلي وكبر اليدين



شكل يوضح صلة الغدة النخامية بالمخ

نفصل القول عنها اقول لك :

تعرف الغدة بأنها مجموعة من الخلايا المتشابهة التي تفرز مادة سائلة لها وظيفة خاصة بها ، وتنقسم الغدد الى نوعين رئيسيين :

الاول هو الغدد القنوية . اي ذوات القنوات Exocrine Glands

وهذه الغدد تصب إفرازها في قنوات تنتهي به الى داخل الجسم او الى خارجه ومن امثلتها الغدد العرقية التي تفرز العرق في قناة تنتهي به الى سطح الجلد حيث يتجمع فوق الجلد ويقوم بتلطيف درجة حرارة الجسم صيفا أو في حالات الحمى وهذا من رحمة الله بعباده . ومن امثلتها أيضا الغدد اللعابية التي تفرز اللعاب وتصبه في قنوات تنتهي به الى تجويف الفم ويشعر الانسان بذلك حينما تصل رائحة الشواء الى انفه أو عند رؤية الأطعمة التي يتحلب لها ريقه كما يقولون أو عند سماع اصوات الملاعق والأطباق عند اعداد الطعام .

الثاني هو الغدد اللاقنوية اي ليست لها قنوات : Endocrines O Ductless Glands

وتسمى ايضا ذوات الإفراز الداخلي لأنها تصب إفرازها في مجرى الدم مباشرة حيث يقوم الدم « وليست قنوات » بتوصيله الى اعضاء الجسم التي يؤثر فيها ويطلق عليها ايضا : **الغدد الصماء** .

وتسمى المادة التي تفرزها بالهرمون ويسمى باللغة العربية الفصحى « التور » (بتشديد التاء المفتوحة وسكون الواو) ويعرف الهرمون بانه مادة كيميائية دقيقة ترسل في الدم تفرزها أعضاء وغدد بلا قنوات ظاهرة ولهذه المادة الكيميائية وظيفة

خاصة لا تؤثر في عمل أعضاء أخرى فحسب بل وتؤثر في نموها واكتمالها .
والغدة النخامية موضوع حديثنا هي من النوع الثاني أي من الغدد الصماء ولما كانت تؤثر في أنشطة بقية الغدد الصماء الاخرى كما سنرى بعون الله فقد أطلق عليها سيدة الغدد أو رئيسة الغدد .

كلمة عامة أو الوصف العام :

يطلق عليها أحيانا الجسم النخامي . وأصل كلمة نخامية ناشىء عن اعتقاد قديم انها أفرزت المخاط الأنفي وترجمة صفتها بالانجليزية وهي « Pituitary) تعني مخاطى . وهي بيضاوية الشكل في حجم حبة البسلة الكبيرة مفرطحة قليلا من أعلى الى اسفل ويبلغ طولها ١٢ مليمترا وعرضها ٨ مليمترات وتزن نحو نصف جرام !! وتقع في حفرة تحمل اسمها تسمى الحفرة النخامية وهذه الحفرة توجد في قاعدة الجمجمة ويتصل جزءها العلوي بأسفل المخ بواسطة سويقة صغيرة تسمى القمع . وتتكون الغدة النخامية من **فصين** : فص أمامي وفص خلفي مختلفين شكلا وحجما وتركيبا وعملا ولكل منهما نوع من الخلايا يختلف تمام الاختلاف عن النوع الآخر ولكل منهما هرموناته الخاصة . ولما كانت هذه الغدة على صغر حجمها من اكثر غدد الجسم إفرازا وسيطرة على بقية الغدد لذلك يشبهها بعض الكتاب بقائد الفرقة الموسيقية الذي يضبط إيقاع كل فرد من أفرادها حتى ينسق بين الجميع فيأتي اللحن عذبا منسجما لانشاز فيه . وهيا بنا الى التفصيل :

الفص الامامي : (Anteruior Pituitary)

هو فص غدي يتميز بمجموعة من الخلايا لكل منها إفراز خاص ولهذا أطلق عليه الفص الغدي ويقوم بافراز الهرمونات الآتية :

« ١ » هرمون النمو : (Growth Hormone)

وهو الذي يؤثر على نمو الجسم وتغيرات الهيكل العظمي ، ويتأثر هذا الهرمون « كذلك بقية الهرمونات » زيادة أو نقصا بالاضطرابات التي تحدث في الغدة النخامية سواء كانت اضطرابات وظيفية أم نتيجة لضمور فيها أو ضخامة بها نتيجة الأورام التي تصيبها وفي حالة زيادة افراز هذا الهرمون فوق معدله الطبيعي في الجسم فانه يؤدي الى حالتين مرضيتين متميزتين :

الأولى : وتسمى العملقة (او العرطلية) (Giantism)

وهذه تصيب الانسان قبل سن البلوغ حيث يحدث افراط ملحوظ في نمو انسجة الجسم فيزيد في الوزن وفي الطول الذي قد يصل الى ثلاثة أمتار . وتزداد الأحشاء في النمو أيضا وكذلك عضلات الجسم التي تجعل المريض يشعر بقوة عضلية جيدة في بداية المرض ولكنها في النهاية تضعف الى درجة ربما لا تستطيع معها تحريك الجسم ، كما يحدث هبوط في افراز الهرمونات الجنسية .

الثانية : ضخامة الأطراف : (Acromegaly) :

وهي تحدث بعد مرحلة البلوغ حيث لا يزداد الجسم في الطول وانما تزداد العظام في السمك وفي العرض خصوصا عظام الجمجمة والجبهة والفك السفلي والأنف والقدمين والكفين وتزداد كذلك الأعضاء ذات الانسجة الرخوة في النمو مثل الكلية والكبد والطحال والقلب كما يبدو الجلد غليظا وخشنا وكذلك تتأثر الهرمونات الجنسية . وتبدو الاسنان متباعدة عن بعضها في هذه الحالة ايضا كما أن العمود الفقري يميل الى التحدب . كما يظهر السكر في البول .

وتعالج كل من الحالتين السابقتين باستئصال الورم الموجود بالغدة النخامية أو بالطباب الاشعاعي .

أما في حالة نقصان هرمون النمو فانه يؤدي الى مايأتي :

الضغل = القزم (Dwarfism) .

وفي هذه الحالة يحدث نقصان هرمون النمو في مرحلة الطفولة ويتميز المريض بصغر في حجم الجسم ككل وصغر في حجم اعضائه عن المعدل الطبيعي دون ان يحدث تشوه في التكوين اي ان الشخص يكون كامل التكوين على الرغم من ان طوله قد لا يزيد عن المتر الواحد وتكون قواه العقلية طبيعية وهذا بخلاف القزم الذي ينشأ عن نقص افراز الغدة الدرقية حيث يتميز بضعف شديد في القوى العقلية يصل الى الغباء التام .

الطفولية (Piuitary in Fantilism)

ويكون القزم مصابا بهبوط في افراز الهرمونات الجنسية ايضا مما يؤدي الى صغر في حجم اعضائه التناسلية .

قد يحدث هذا النقص بعد مرحلة البلوغ وفي هذه الحالة تظهر على الشخص اعراض البدانة الزائدة مع ضعف او فقدان للقوة الجنسية

قد يحدث نوع اخر من الاضطراب في مرحلة البلوغ او مطلع الشباب نتيجة ضمور الفص الأمامي وتوقف افرازه ويتميز هذا المرض بضعف وهزال شديدين وتبدو على الشخص علامات الشيخوخة المبكرة مثل بياض الشعر وتجعد الوجه وضمور الجسم وانحطاط القوى الجنسية والعقلية بصورة ملحوظة وقد سمى هذا المرض « **بمرض سمونر** » نسبة الى اول مكتشف له .

هرمون الجنس . او هرمونات الجنس : وتسمى ايضا « الجونادو تروفينز » (Gonadotrophines)

تعتبر الخصية في الذكر والمبيض في الأنثى اهم غدتين جنسيتين على الرغم من وجود غدد جنسية اخرى ليس هنا مجال الحديث عنها ولكن الذي نود ان نقوله ان الغدة النخامية تؤثر على الخصية والمبيض عن طريق هرموناتها الجنسية وهي :

الهرمون المنبه لحويصلة جراف : في اثناء نمو البويضة لتنطلق من مبيض

الأنثى وحينما تلتقي البويضة بحيوان منوي يتم الاخصاب اما اذا لم يتم الاخصاب فان الرحم يندب حظه العاثر ويبكي دما ! وهذا البكاء هو دم الحيض .
ولا يتوقف عمل هذا الهرمون على الاناث فقط بل انه يمتد الى الذكور حيث يساعد على انضاج الخلايا الموجودة بالخصية والمسئولة عن افراز الحيوانات المنوية .
هرمون الجسم الأصفر : وهو يساعد على افراز هرمون الذكورة المسمى « بالتسترستيرون » من خلايا ليدج الموجودة في الخصية وهو ضروري لاكمال افراز الحيوانات المنوية .
أما في الاناث فانه يتعاون مع الهرمون السابق لانضاج حويصلة جراف افراز هرمون « الايستروجين » منها كما يساعد أيضا على انضاج البويضة وعلى افراز هرمون « البروجسترون » من الجسم الأصفر الذي يتكون بعد تمام نضج البويضة ويستخدم هذا الهرمون مخلوطا مع الهرمون السابق في علاج اضطراب حالات الطمث وفي علاج العقم كذلك .

الهرمون المنبه لافراز اللبن ويسمى « برولاكتين » :

وهذا الهرمون يقوم بتنبيه الثديين لافراز اللبن استعدادا لاطعام الضيف القادم والعجيب في أمر هذا الهرمون انه لا يعمل الا في ثدي ناضج اي سبقت تهيئته واعداده بهرموني الايستروجين والبروجسترون .
ومن فوائد هرمون الجسم الأصفر انه يستخدم في علاج حالات الخصية المعلقة اي التي لم تهبط الى الصفن « الكيس » لأن الخصية في أثناء تكوينها في الجنين تكون في منطقة الخاصرة بجوار الكلية ومع اقتراب نهاية الحمل تتجه الى أسفل حتى تستقر في موضعها في الصفن قبل الولادة او بعدها بأيام . وقد تمكث في بعض الأطفال في المنطقة « الأربية » اي أسفل البطن مدة طويلة ثم تنزل الى الصفن وقد تبقى في هذا الموضع حتى سن الثلاثين ولا تؤدي الخصية وظيفتها من انتاج الحيوانات المنوية طالما كانت في هذا الموضع . ولابد ان تشخص الحالة في الطفل مبكرا ويبدأ العلاج بهذا الهرمون قبل سن الخامسة حتى لاتبدأ الخصية في الضمور والتلف « ..... ويجعل من يشاء عقيما » واذا لم تفلح هذه الطريقة في علاج الحالة فانها تعالج بالجراحة . وعلى هذا فلا يجب ان ينزعج الوالدان اذا ما علما ان طفلهما مصاب بهذه الحالة . وعند العلاج بالهرمون ينبغي ان يستعمل بحذر وبجرعات محسوبة لأن الزيادة منه تؤدي الى البلوغ المبكر في الطفل فينبت شاربه ولحيته ويغلظ صوته ويأتي تصرفات جنسية مبكرة .
واستأذنك اخي القارىء في وقفة قصيرة حيث يذكرنا وجود الخصية في منطقة الخاصرة اثناء تكوين الجنين بما قاله السادة المفسرون في معنى قوله تعالى « **خلق من ماء دافق . يخرج من بين الصلب والترائب** » (الطارق ٦ ، ٧) جاء في

« المنتخب » في تفسير القرآن الكريم الذي يصدره المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بالقاهرة الطبعة السابعة ١٣٩٩هـ مايلي :

« الصلب هو منطقة العمود الفقري ـ الترائب هي عظام الصدر .
وقد بينت الدراسات الجنينية الحديثة بأن نواة الجهاز التناسلي والجهاز البولي في الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقري وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر ، وتبقى الكلى في مكانها وتنزل الخصية الى مكانها الطبيعي في الصفن عند الولادة وعلى الرغم من انحدار الخصية الى اسفل فان الشريان الذي يغذيها بالدم طوال حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوي .
كما ان العصب الذي ينقل الاحساس اليها ويساعدها على انتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدري العاشر الذي يغادر النخاع الشوكي بين الضلعين العاشر والحادي عشر . وواضح من ذلك ان الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع في الجسم بين الصلب والترائب « العمود الفقري والقفص الصدري » أ هـ .

وقل لي بربك هل كان في طوق بشر بل البشرية كلها لحظة أنزل هذا القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعرف هذه الحقائق العلمية ؟! ان هذا من الخيال بل من أغرب الخيال ، ولكن حينما يقوله سيدنا محمد فان ذلك من أظهر الأدلة على نبوته وعلى اعجاز القرآن الذي نزل عليه ولا غرابة في ذلك **لأن الرحمن الذي علم القرآن هو الذي خلق الانسان « ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير »** ؟ الملك/ ١٤ .

والمعروف ان عمر علم الأجنة لا يتجاوز ثلاثة قرون ولكن خالق الأجنة والعليم بها أنزل هذه الحقائق على نبيه الكريم منذ أربعة عشر قرنا !! **فهل يفهم ذلك المعرضون عن القرآن المحاربون له ؟**

ونعود أخي القارىء الى حديثنا ..

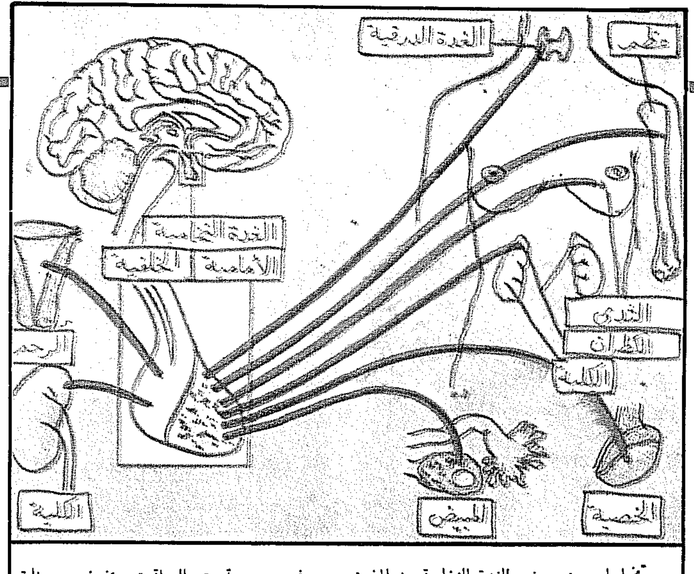
(٣) هرمون الغدة الدرقية :

تفرز الغدة النخامية هرمونا يؤثر على الغدة الدرقية بتنشيط نموها كما انه يساعد على تكوين وافراز الهرمون الذي تقوم الغدة الدرقية بافرازه ولما كان عنصر اليود من أهم العناصر التي تدخل في التمثيل الغذائي للغدة الدرقية فان خطوات هذا التمثيل لا تتم الا بتنبيه من هرمون الغدة الدرقية .

كما تقوم الغدة النخامية بافراز مادة تساعد على جحوظ العينين ..

(Exophthalmos Producing Substamce) E.P.S)

حيث تقوم هذه المادة بترسيب مادة عديدة التسكر تمتص كميات كبيرة من الماء



رسم تخطيطي يبين موضع الغدة النخامية من المخ . وهي في حجم حبة « البسلة » وتفرز هرمونات تؤثر في الغدد الصم الأخرى . وتنتج هرموناً مضاداً لإدرار البول يؤثر في الكليتين ، وهرمون الأكسيتوسين الذي يؤثر في الرحم وبخاصة وقت الوضع ، وكذلك هرمون النمو ويؤثر في العظام والأنسجة الأخرى

خلف العين مما يؤدي الى بروزها . ومن ابداع صنع الله جل وعلا ان العلاقة بين الغدة النخامية والغدة الدرقية ليست بغير نظام ولكنها على غاية ما تكون من التنظيم والدقة حتى لا تضطرب فسيولوجيا الجسم (وظائف الأعضاء) . فلو قمنا باعطاء الشخص كميات كبيرة من هرمون الغدة الدرقية فان ذلك يؤدي الى هبوط نسبة هرمون الغدة النخامية الذي تتأثر به الغدة الدرقية وتسمى هذه الطريقة : بالتضاد . (Feedback. Mechanism) .

(٤) هرمون الغدة فوق الكلية : (الأدرينال) .

تقوم الغدة النخامية بإفراز هرمون يساعد على نمو قشرة هذه الغدة كما ينشط وظيفتها ايضا . كما يساعد على تكوين وافراز هرمونات هذه الغدة ما عدا هرمون « الألدوستيرون » وللغدة فوق الكلية وظائف متعددة ليس هنا مجال تفصيلها وحسبك ان تعلم ان من اهم هذه الوظائف هو تنظيم محتوى الجسم من الماء والملح . ووجود الماء بالجسم يساوي وجود الحياة به تماما .. ويمثل الماء حوالي ٦٠٪ (ستون بالمائة) من وزن الجسم ، وتبلغ كميته بالجسم ٤٢ لترا .. واذا نقصت هذه الكمية بمقدار ٥٪ (خمسة بالمائة) منها فان الانسان يشعر بالعطش الشديد أما اذا نقصت بمقدار ١٠٪ (عشرة بالمائة) فانه يشعر بالمرض الشديد أما اذا نقصت بمقدار ٢٠٪ (عشرون بالمائة) فانها تفضي الى الموت وصدق الله العظيم « **وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون** » الأنبياء/جزء من الآية ٣٠ .

ونقص هذا الهرمون يؤدي الى هبوط في وظائف هذه الغدة ينتهي بالاصابة بمرض نكتفي بذكر اسمه وهو « مرض اديسون » أما زيادته فانها تؤدي الى مرض يسمى « لزمة كوشنج » (Caushing Syndrome) .
وها نحن قد انتهينا من الحديث ـ بايجاز ـ عن الفص الأمامي للغدة النخامية فلننتقل الى الحديث عن : **الفص الخلفي لها** وهو يقوم بافراز الهرمونات الآتية :

(١) الفاسوبرسين :

يؤدي هذا الهرمون الى قبض الشرايين وبالتالي يرتفع ضغط الدم الى درجة قد تكون خطيرة . أما بالنسبة لشرايين القلب وهي الشرايين التاجية فان انقباضها يؤدي الى نقص كمية الدم التي تغذي القلب مما يؤدي الى قصور بالدورة التاجية ، كما يؤدي هذا الهرمون الى انقباض عضلات الأمعاء مسببا الاحساس بمغص شديد .

(٢) الأوكسي توسين :

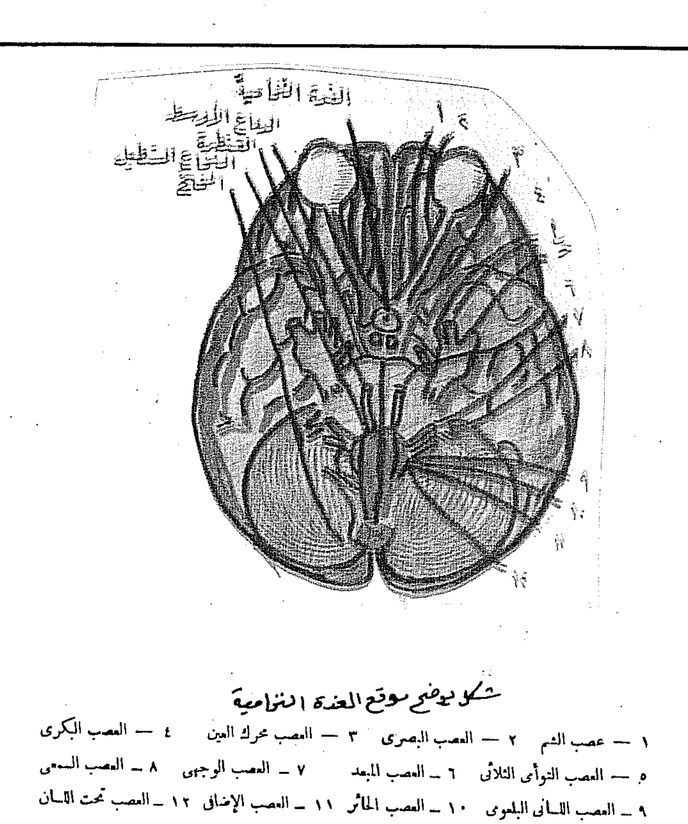
ا ـ تأثيره على الثدي : يساعد على قذف اللبن من الأجزاء العميقة في الثدي والتي لا يخرج اللبن منها تحت تأثير امتصاص الرضيع للثدي ، وبدون هذا الهرمون فان نسبة ١٥ ـ ٢٠٪ من اللبن الذي يفرزه الثدي هي التي يستفيد بها الرضيع فقط .

ب ـ تأثيره على الرحم :

يؤدي الى انقباض عضلات الرحم ويكون ذلك بمثابة البداية لعملية الوضع ، كما انه يؤدي الى إيقاف نزيف ما بعد الولادة ، ويساعد ايضا على عودة الرحم الى حجمه الطبيعي قبل الولادة أما في الأنثى العادية فانه يساعد على وصولها الى ما يسمى برعشة الشبق أثناء عملية الجماع كما انه يسهل انتقال الحيوانات المنوية من تجويف الرحم الى قناة فالوب حيث يتم اخصاب البويضة القادمة من المبيض .

(٣) الهرمون المانع لادرار البول : (Anti Diuretic Hormone)

ووظيفة هذا الهرمون الأساسية هي تنظيم محتوى الماء بالجسم ـ وقد مر بك اهمية الماء للانسان ـ ويباشر الهرمون هذه الوظيفة بتأثيره على الكليتين حيث يساعدهما على امتصاص كمية كبيرة من الماء أثناء تنقية الدم بها وعندما يفقد الانسان كمية كبيرة من ماء الجسم فانه يتعرض للجفاف ولا يقف هذا الهرمون



شكل يوضح موقع الغدة النخامية

١ — عصب الشم ٢ — العصب البصرى ٣ — العصب محرك العين ٤ — العصب البكرى
٥ — العصب التوأمى الثلاثى ٦ ـ العصب المبعد ٧ ـ العصب الوجهى ٨ ـ العصب السمعى
٩ ـ العصب اللسانى البلعومى ١٠ ـ العصب الحائر ١١ ـ العصب الإضافى ١٢ ـ العصب تحت اللسان

مكتوف الأيدي أمام هذه الحالة الخطيرة التي تهدد الجسم ، وذلك ان الجفاف يؤدي الى تنبيه مناطق معينة في الجزء الأمامي من المنطقة التي تسمى « بتحت المهاد » (الهيبوثلامس) وهذه بدورها تنبه الفص الخلفي للغدة النخامية عن طريق اتصال بينهما ويقوم الفص الخلفي بزيادة افراز كمية هذا الهرمون الذي يقلل من كمية البول ويحتفظ بالماء داخل الجسم فانظر الى آثار رحمة الله بك أيها الانسان ؟

واذا أصيبت منطقة تحت المهاد أو الفص الخلفي أو الوصلة بينهما بمرض فان ذلك يؤدي الى نقص الهرمون المانع لادرار البول وينتج عن ذلك اصابة الشخص بمرض يسمى :

مرض الادرار البولي = الدايبيطس غير السكري = البول المليخ (Diabetes Insipidus) وأعراضه شبيهة بأعراض البول السكري الا انه لا يوجد سكر بالبول ويشكو المريض من كثرة التبول بصورة ملفتة للنظر حيث تزيد كمية البول في اليوم عن عشرة لترات (المعدل الطبيعي من لتر الى لتر ونصف) ويشكو المريض ايضا من الاحساس بالعطش الشديد جدا مما يجعله يشرب كميات كبيرة جدا من الماء لتعويض الماء المفقود ويبدو المريض كالذي يقضي حياته بين الشرب والتبول ! . كما يعاني المريض أيضا من نقص الفيتامينات خصوصا فيتامين ب[١] وزيادة سرعة الاحتراق للتمثيل الغذائي .

واليك أخي القارىء الفارق بين البول السكري والبول غير السكري حتى تكون على بينة من الأمر :

البول السكري	البول غير السكري
١ ـ زيادة في كمية البول وعدد مرات التبول ↑	زيادة كبيرة في كمية البول وعدد مرات التبول ↑ ↑ ↑
٢ ـ يوجد سكر بالبول والدم	لا يوجد سكر على الاطلاق
٣ ـ الكثافة النوعية للبول مرتفعة ١٠٣٠ ـ ١٠٥٠ ↑	الكثافة النوعية منخفضة ١٠٠١ ـ ١٠٠٣ ↓
٤ ـ الأس الأيدروجيني (PH) . يميل تفاعل الدم الى الحموضة .	الأس الأيدروجيني حوالي ٧ (يميل الى القلوية)
٥ ـ لون البول : أصفر ليموني	البول عديم اللون .

وأود ان نلفت النظر الى ان الكحول الموجود بالبيرة أو الخمر بالبيرة أو الخمر يؤدي الى تثبيط مفعول الهرمون المانع لادرار البول وبالتالي تزداد كمية البول وهذا يجعل المعاقرين لهذين الرجسين يعتقدون انهما يشفيان من بعض أمراض الكلى وما جعل الله شفاء فيما حرمه .

ولا يفوتنا ان نذكر كلمة يسيرة عن الفص المتوسط من الغدة النخامية وهو يمثل الجزء المتوسط بين الفص الأمامي والفص الخلفي ووظيفته انه يفرز هورمونا ينبه خلايا الجلد التي تحتوي على حبيبات الميلانين المسئولة عن لون الجلد .

وبعد ... أخي القارىء

فقد حدثتك عن عمل هذه الغدة بايجاز وقد تحسبه اطالة واعتذر لك ان حسبته كذلك واعتذر ايضا لزملائي الأطباء عن هذا الايجاز حيث اني لم آت على كل شيء يتعلق بها وحسبي ان أذكر الحقيقة العلمية موطن الفكر والتدبر والعظة والعبرة . ولقد رأيت من عمل هذه الغدة ما رأيت على الرغم من ان وزنها لا يتجاوز نصف الجرام !! وعرفت ان هرموناتها تعمل دون ادراك أو تحكم منا ولولا العلم ما عرفناها ولا فهمنا طبيعة عملها ، وهذا دليل على عجز الانسان عن ادراك نفسه وما يجري بداخل جسمه انه لا يجريه وما دام لا يجريه فهنا يأتي السؤال الأزلي ويطرح نفسه وهو .. من الذي يجريه اذن ؟ أهي هذه الغدة على ضآلتها ؟ أهي الطبيعة ؟ اهي المصادفة ؟ كما يقول الغافلون والمغفلون ؟؟ لا .. ليس الى ذلك كله من سبيل ، ولكن الذي يجري السحاب بالمطر الغزير الى الأرض الموات فتنمو وتزهر وتثمر هو الذي يجري بالقدر اليسير هذه الهرمونات الى اعضاء الجسم فتنمو وتعمل وتكبر ، وكلاهما يجري بقدر معلوم في خط مرسوم فتبارك الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم .



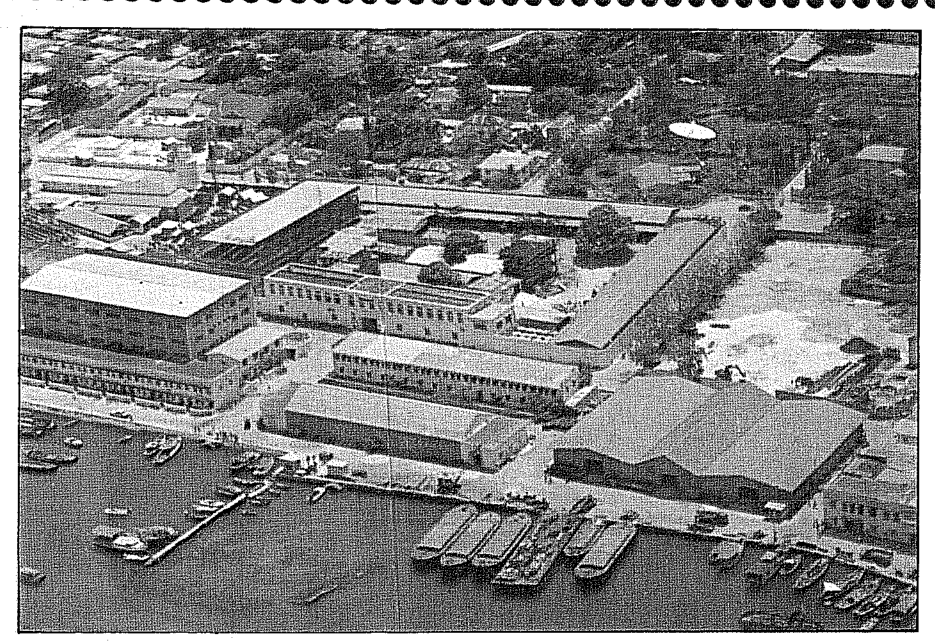
واحات خلابة تسبح فوق صفحة المحيط الهندي ، مجموعة من الجزر المتقاربة ، مساحات خضراء رائعة ، بحيرات عديدة داخل الجزر تحفها أنواع من الأشجار تكاد تنحني أفرعها وغصونها وكأنها تقبّل الأرض ، سكون وهدوء لا نهائي ، وبيئة خالية من التلوث ، **إنها جمهورية مالديف الإسلامية** الواقعة على بعد ٦٥٠ كيلومترا من الشاطىء الغربي لجمهورية سريلانكا ومساحتها طولا

اعرف وطنك

جمهورية المالديف الاسلامية

اعداد الاستاذ عبد الستار محمد فيض

٨٠٠ كيلومترا وعرضا في أوسع الأماكن ١١٥ كيلومترا ، تتكون من ١٠٨٧ جزيرة منها ٢٠٢ جزيرة آهلة بالسكان ، وهذه الجزرلا توجد فيها جبال ولا أنهار الا بحيرات عذبة بداخلها وأكبرها لا يزيد طولها عن ١٢ كيلومترا وعرضها عن ٥ كيلومترات، وتتنوع طبيعة الجزر من الشواطىء الرملية الناعمة الى الجزائر المرجانية الكاملة .



مالية (عاصمة جمهورية مالديف)

وتمتاز مالديف بمناخ استوائي معتدل رطب على مدار السنة ويبلغ متوسط درجة الحرارة ٢٥ درجة مئوية ، وهي من المناطق التي تتجلى فيها مظاهر الاعجاز الالهي ، فقد وصفها الرحالة ابن بطوطة بأنها آية في الجمال الطبيعي الساحر وبأنها إحدى عجائب الدنيا .

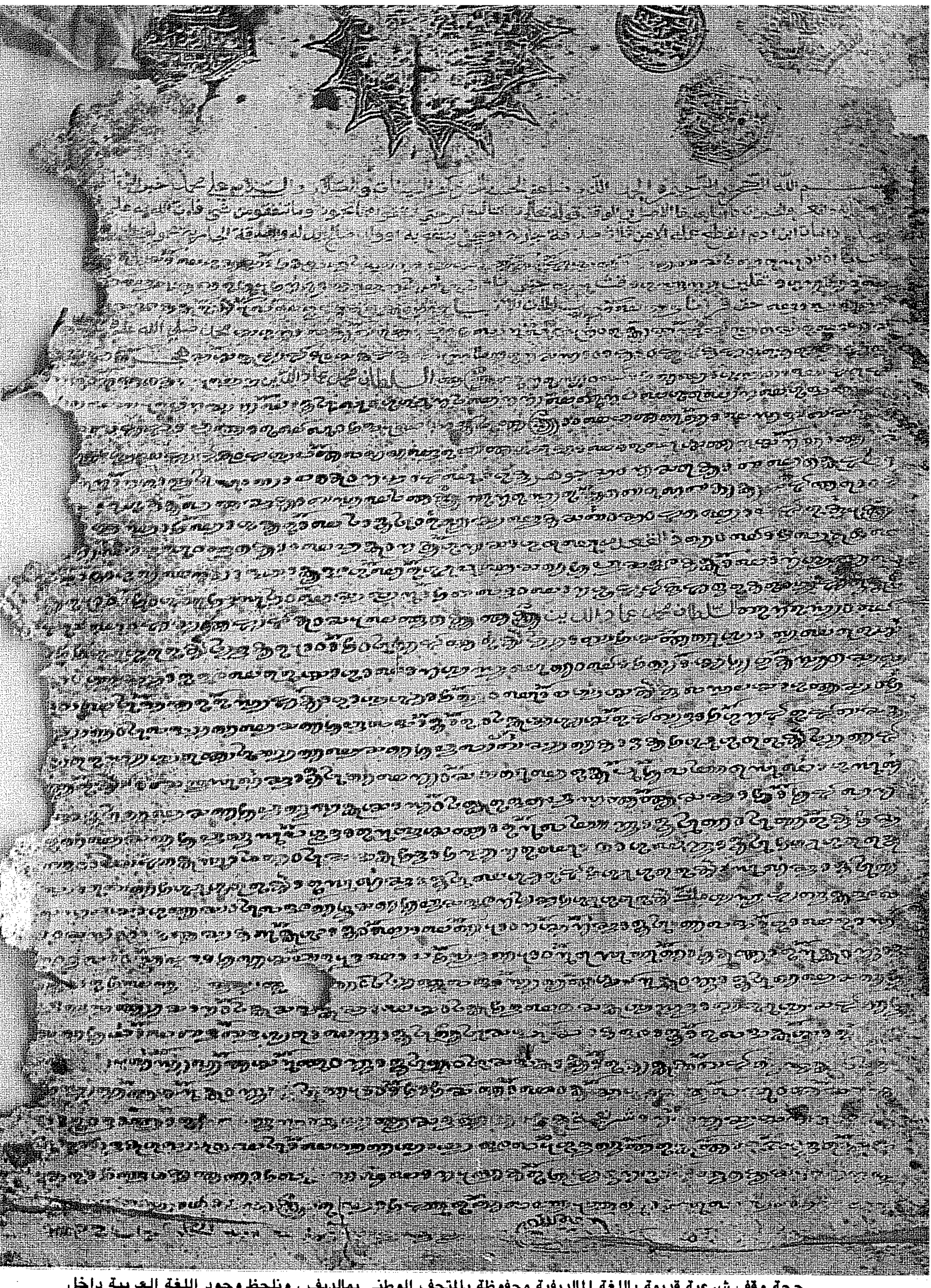
أما العاصمة فهي جزيرة (**مالية**) وفيها الوزارات والمصالح الحكومية والاذاعة ومحطة التلفزيون . وعلى بعد ٣ كيلومترات من العاصمة تقع جزيرة (**هولولي**) التي يوجد بها مطار مالديف الدولي .

الشعب :

يرى المؤرخون ان الشعب المالديفي ينتمي أصلا الى الجنس الآري الذي نزحت جماعات منه قبل ميلاد المسيح من شمال الهند الى سريلانكا وبقية المناطق المجاورة للهند ، أما في المراحل التاريخية اللاحقة فقد اختلط المالديفيون بكل من العنصر العربي والعنصر الافريقي الشرقي .

اللغــة :

اللغة الوطنية الأساسية لمالديف الآن تدعى (**الديفيهية**) ومع دخول الاسلام الى المالديف تأثرت اللغة المالديفية باللغتين العربية والفارسية ، وقد كانت الكتابة

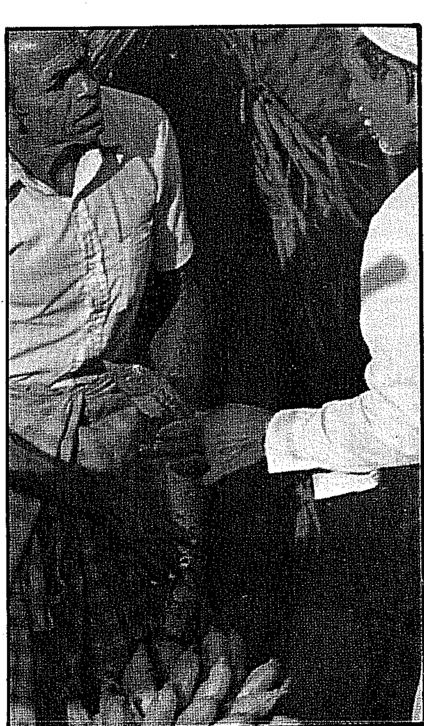


حجة وقف شرعية قديمة باللغة المالديفية محفوظة بالمتحف الوطني بمالديف ، ونلحظ وجود اللغة العربية داخل الكلمات المالديفية ، وافتتاح الحجة بالآيات القرآنية .

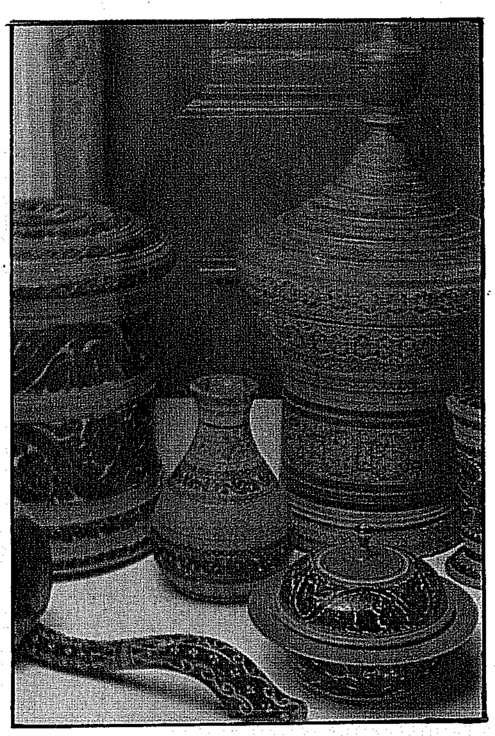
المالديفية تشبه الى حد كبير الكتابة السنهالية القديمة وكانت تتم من الشمال إلى اليمين ، أما الكتابة الحالية التي تدعى (تانا) والتي ترسخت منذ حوالي مائتي سنة مضت فترسم ـ على العكس السابق ـ من اليمين إلى الشمال مع ملاحظة ان بعض حروف اللغة المالديفية تشبه الحروف العربية .

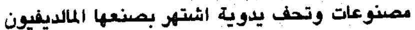
ومما هو جدير بالذكر ان الديفيهية هي اللغة الرسمية للدولة وأما اللغة الانجليزية فتعتبر اللغة الثانية بالاضافة إلى كونها لغة التعليم في بعض المدارس ..

ان الحرفة الرئيسة لأغلب سكان مالديف هي صيد السمك فالظروف الطبيعية والمهارة التي اكتسبها الصيادون المالديفيون عبر أجيال طويلة قد جعلتا من الصيد حرفة مربحة ويعتبر صيد الأسماك الدعامة الرئيسة للاقتصاد المالديفي حيث يشتغل بهذه المهنة حوالي نصف عدد القوى العاملة علما بأن بحار مالديف غنية جدا بشتى أنواع السمك وأكثرها (التونة) الذي يمثل الانتاج الرئيسي ويتم تصديره الى اليابان ، وهناك ايضا سمك (البوينتو) الذي يجفف بطريقة خاصة ويصدر إلى الخارج وله أسواق ممتازة في سيلان والهند واليابان وهونج كونج وقد بدأ في السنوات الأخيرة استخدام الوسائل الحديثة في الصيد فاستوردت الحكومة من اليابان وكوريا عددا من آلات وماكينات زوارق الصيد الحديثة كما بدىء في بناء

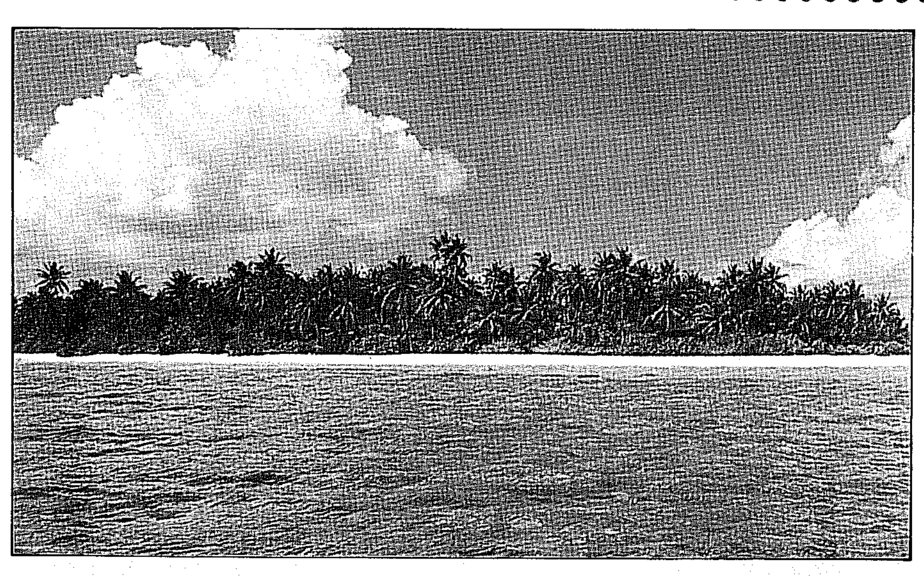


الموز من حاصلات مالديف الزراعية





مصنوعات وتحف يدوية اشتهر بصنعها المالديفيون



بحر صاف وارض خضراء ورمال بيضاء وسماء زرقاء .

زوارق الصيد الميكانيكية محليا وكذلك أقيمت مصانع لتعليب السمك وتبريده وتصديره الى الأسواق الخارجية . وتشتهر المالديف أيضا بصناعة الأثاث والتحف والقوارب وصناعة الحبال من ألياف جوز الهند والحصر من نبات الصنوبر .. ويعمل عدد كبير من الأهالي في التجارة التي تعتبر المصدر الثاني للدخل القومي بعد السمك وتملك مالديف أسطولا تجارية نشطا يمتد من موانيء افريقيا غربا الى اليابان شرقا .

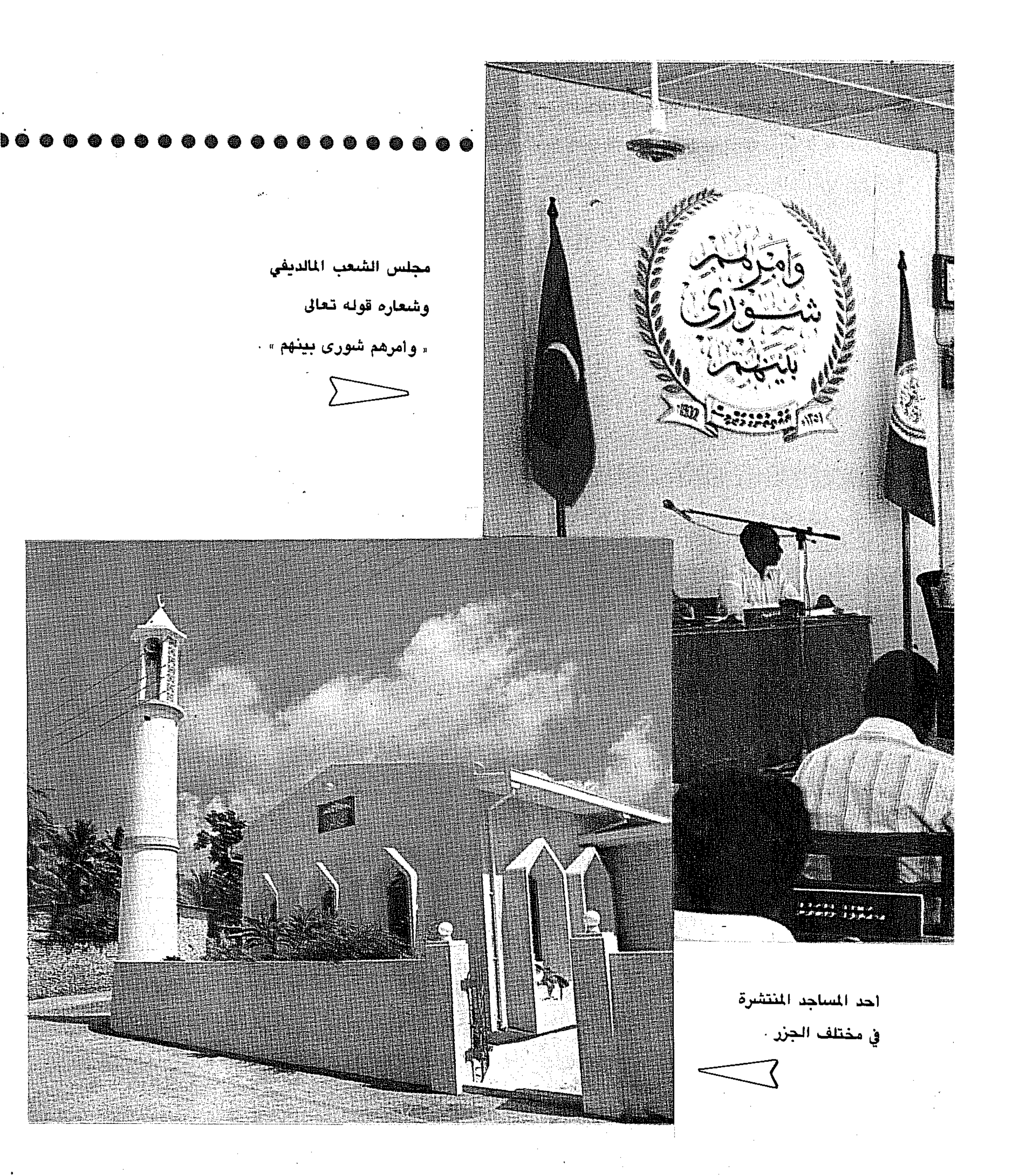
وتأتي السياحة في المرتبة الثانية للدخل القومي فقد انتعشت السياحة في السنوات العشر الأخيرة وتوجد الآن حوالي ٣٢ جزيرة على مقربة من العاصمة مجهزة للسياح القادمين من دول أوروبا وأمريكا واليابان للتمتع بجمال طبيعة مالديف ونظافتها وهوائها النقي وسواحلها الساحرة ومياهها الزرقاء الصافية وطيورها الكثيرة ذات الألوان الزاهية المختلفة وهدوئها واستقرار أمنها فالجرائم في مالديف معدومة بفضل الدين الاسلامي الذين يدين به أهلها ، أما آخر مصادر التنمية في البلاد فهي الزراعة وأهم حاصلات مالديف هو جوز الهند الذي يستخرج منه زيت يمتاز بقيمة غذائية عالية والأناناس والموز والمانجو .

إن عدد سكان مالديف يبلغ ١٥٠ ألف نسمة وكلهم مسلمون سنيون على المذهب الشافعي . والشعب المالديفي شديد التمسك بدينه ، وقد انعكس ذلك على الدستور المالديفي حيث لا يسمح لغير المسلم بالاقامة الدائمة في المالديف ، كما ان الافطار في رمضان بلا عذر شرعي يعد جريمة يعاقب عليها وتناول المشروبات الروحية أو صناعتها ممنوع منعا باتا .

مجلس الشعب المالديفي

وشعاره قوله تعالى

« وامرهم شورى بينهم » .



احد المساجد المنتشرة

في مختلف الجزر .

الدولة والادارة :

مالديف دولة إسلامية مستقلة ذات سيادة نالت استقلالها سنة ١٩٦٥م وأصبحت ذات نظام جمهوري منذ ١٩٦٨م والاسم الرسمي للدولة الآن هو جمهورية مالديف الاسلامية وقد كانت تعرف قبل الاستقلال باسم جزر المالديف .

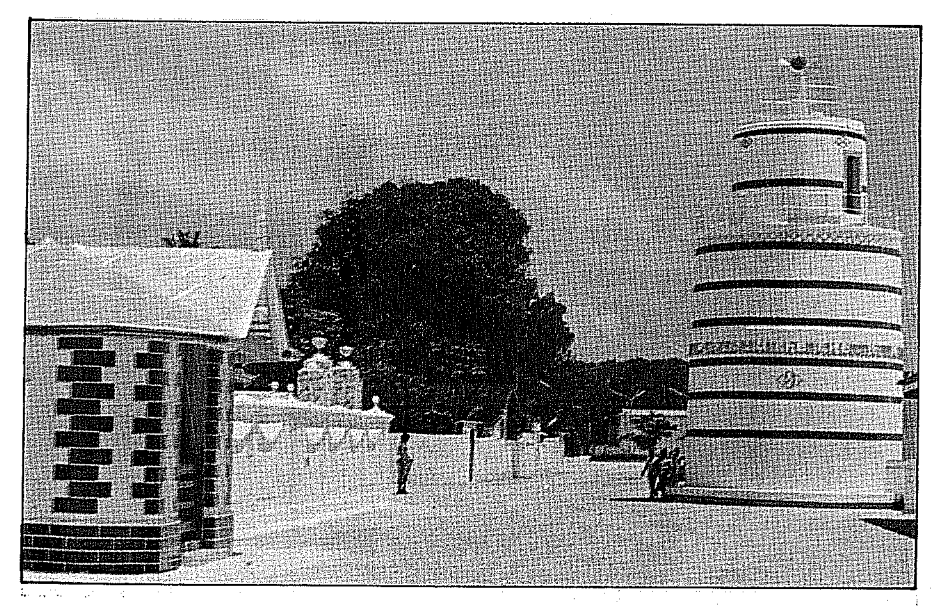
وجمهورية المالديف تنقسم طبيعيا إلى ١٣ مجموعة وإداريا إلى ١٩ مجموعة على رأس كل مجموعة محافظ معين من قبل الحكومة يدير شؤونها .

وطبقا لنصوص الدستور فإن كل مصادر سلطة الدولة مستمدة من الشعب ، ويعتبر رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة ورئيس السلطة التنفيذية في نفس الوقت ويتم ترشيحه من قبل مجلس الشعب من خلال اقتراع سري ثم ينتخبه الشعب في استفتاء عام ومدة الرئاسة خمس سنوات ومن الممكن إعادة انتخابه لعدة مرات متتالية ، وفضلا عن ذلك فهو الذي يقوم بتعيين وإقالة اعضاء مجلس الوزراء .

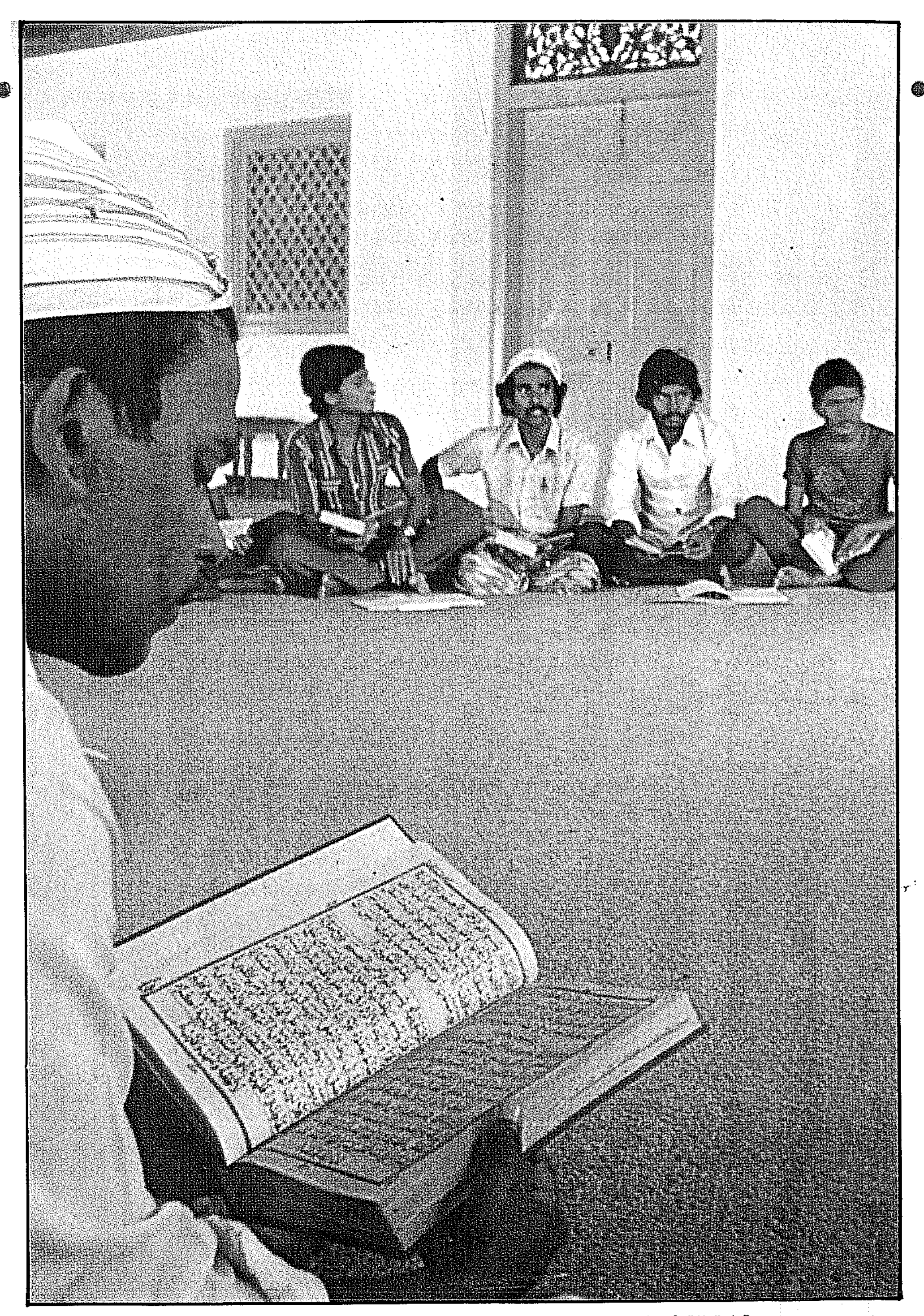
وفيما يتعلق بالسلطة التشريعية فهي تتركز في مجلس الشعب الذي يتكون من ٤٨ عضوا يعين الرئيس منهم ثمانية أعضاء ويتم اختيار الباقي بوساطة الانتخابات العامة بحيث يكون فيه عضوان من مالي العاصمة ثم عضوان من كل مجموعة جزرية ، وتستمر فترة مجلس الشعب الواحدة لمدة خمس سنوات ، علما بأنه لا توجد أحزاب سياسية في المالديف .

كيف دخل الاسلام المالديف

يذكر التاريخ المالديفي أن الدين الاسلامي دخل المالديف أول ما دخل في شهر ربيع الآخر ٥٤٨هـ من التاريخ الهجري أي في سنة ١١٥٣ ميلادية . ويدل على ذلك ما كتبه السلطان احمد شهاب الدين في لوحة باللغة العربية على جامع مالي بعد قيامه بتجديده وقد كتب ما يلي :



مسجد الداعية الاسلامي (ابوالبركات يوسف البربري) الذي يرجع الفضل اليه في نشر الدين الاسلامي بين افراد الشعب المالديفي .



قراءة القرآن الكريم وحفظه لا تنقطع حلقاتها داخل العديد من مساجد مالديف .

« أمر ببناء هذا المسجد المبارك لله تعالى السلطان درمس محمد بن عبد الله واخوه سري كلو ، رحمة الله عليهم أجمعين ، وأمر للوزير شنورازه ببنائه فبناه وعمره ، رحمة الله عليه ووصل هذا البلد أبوالبركات يوسف البربري ، وأسلم السلطان على يده في شهر ربيع الآخر ٥٤٨ من التاريخ الهجري » .

وبعد أن أسلم السلطان سنة ٥٤٨ هجرية سمى نفسه « السلطان محمد بن عبدالله » وهذا السلطان مشهور بين المالديفيين بجوده وكرمه وعدله ، فقد كان يرعى شؤون الفقراء وكان عادلا كريما .

من الذي كان السبب في دخول الاسلام إلى المالديف

لما أراد الله دخول الماليفيين في حظيرة الاسلام وخروجهم من ظلمات الكفر والشرك ، أتاح لذلك داعية من دعاة الاسلام جاء الى المالديف وكان سببا في إسلام المالديفيين . وهذا الداعية يسمى أبا البركات يوسف البربري كما هو مذكور في اللوحة التي وضعها السلطان احمد شهاب الدين في المسجد الجامع وهي اللوحة المذكورة آنفا .

وقد كتب الرحالة المغربي المشهور « ابن بطوطة » ايضا أن الذي كان سببا في اسلام المالديفيين هو أبو البركات يوسف البربري . وقد بنى قوله هذا على ما شاهده مكتوبا في اللوحة المذكورة سابقا عندما قام بزيارة المالديف سنة ٧٤٥هـ وعلى أقوال ذوي الخبرة والعلم .

وقد كتب ابن بطوطة في أصل رحلته إن « أهالي مالديف كانوا مقيمين على الكفر » ثم جاء رجل من أهالي المغرب وأقام بينهم اسمه أبوالبركات البربري ، وقد عرض هذا الشخص الدين الاسلامي على سلطان البلاد ، فلما شرح الله صدر السلطان للاسلام أسلم هو ، وأسلم أهله وأولاده ورجال دولته ، وحطم الأصنام وهدم المعابد البوذية ، وأمر أهل البلد أن يسلموا فأسلموا جميعا ، وقد أرسل يدعو الى الاسلام في أنحاء الجزر فأسلموا جميعا ، وقد أقام المغربي المذكور بينهم معززا مكرما ، وقد رأيت لوحة مكتوبًا فيها أن سلطان المالديف أسلم على يد أبي البركات البربري المغربي ، وهذه الكتابة محفورة على اللوحة » .

وهذا الداعية أبوالبركات يوسف البربري الذي كان سببا في دخول الاسلام الى المالديف أقام فيها حتى توفاه الله ودفن في مالي عاصمة مالديف .

المسجد الجامع بمالي :

إن أول من بنى مسجدا في العاصمة هو السلطان درمس محمد بن عبدالله وأخوه سري كالو كما بينا سابقا وهو أول سلطان مسلم في تاريخ المالديف .. وحينما أصبح المسجد قديما وآيلا للسقوط قام السلطان احمد شهاب الدين

بإعادة بنائه ، وذلك في شهر ذي الحجة سنة ٧٣٨ هجرية ويدل على ذلك ما هو مكتوب في اللوحة التاريخية الموضوعة في الجامع ، وعندما بنى السلطان ابراهيم اسكندر المسجد الجامع الموجود حاليا في مالي وضع لوحة تاريخية أخرى فوق النافذة الشمالية من غرفة المحراب . وقد ذكر في هذه اللوحة ان السلطان ابراهيم اسكندر المذكور أمر ببناء الجامع بعد ما صار الجامع الصغير الذي بناه السلطان درمس قديما .

وهذا السلطان ابراهيم اسكندر يستحق ان يكتب اسمه بين سلاطين مالديف بحروف من ذهب نظرا للخدمات الجليلة التي أداها للبلاد وللشعب المالديفي خلال فترة حكمه .

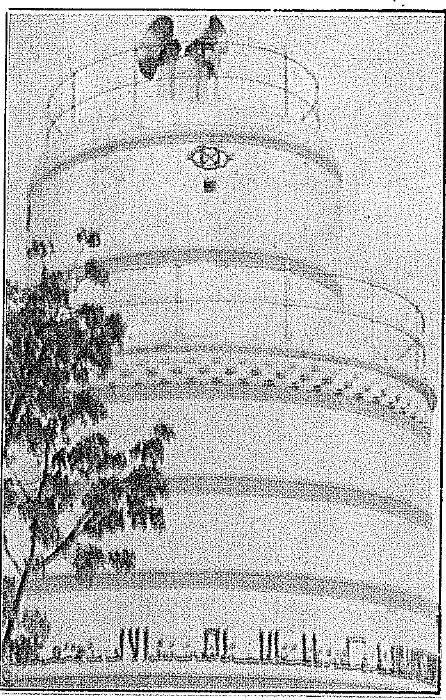
وقد تولى السلطان اسكندر عرش مالديف سنة ١٠٥٨هـ (١٦٤٨ ميلادية) وكان عمره في ذلك الحين ٣٨ سنة . وقد ذكر المؤرخ المشهور حسن تاج الدين في تاريخه ان السلطان اسكندر بدأ بناءه في السنة الثامنة من توليته السلطنة ، بعد ان ضاق الجامع الذي بناه السلطان محمد بالمصلين واصبح قديما باليا ، فهدم الجامع القديم ، ووضع الأساس لمسجد جديد يتسع للمصلين ، وبنى المسجد الجامع الموجود حاليا في نفس الموضع الذي كان فيه المسجد القديم ، وقد تم بناء المسجد الجديد في السنة العاشرة من حكم السلطان اسكندر ، وذلك في سنة ١٠٦٧هـ . وقد بنى السلطان اسكندر المسجد الجامع بالحجر المرجاني ، ويعد آية من آيات البناء بالحجر المرجاني مما يدل على مهارة أبناء المالديف في ذلك الفن المعماري . وقد صنعت الأجزاء العلوية بأنواع مختلفة من الخشب المتين . وزينت بنقوش زخرفية رائعة كما كتبت بعض آيات من القرآن الكريم والأحاديث النبوية بخط عربي جميل .

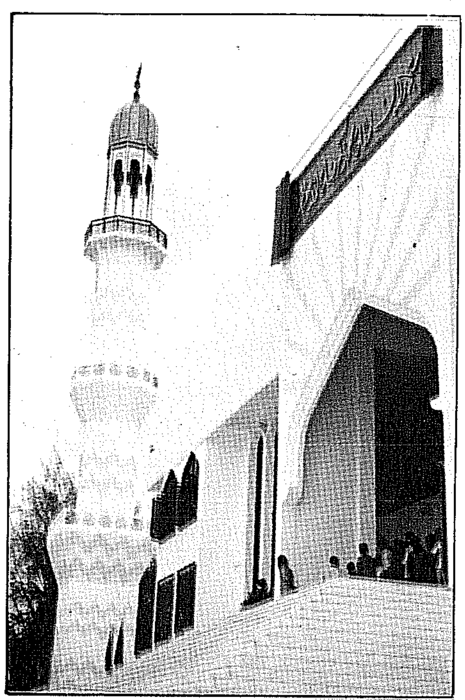
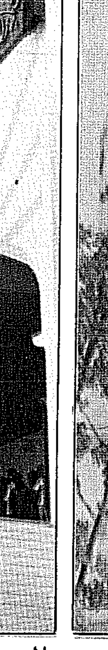
وفي سنة ١٣٣٢ هجرية ، وفي عهد السلطان محمد شمس الدين تم تجديد السقف بالصاج الحديدي وقد كان السقف قبل ذلك مصنوعا بسعف أشجار جوز الهند :

مئذنة الجامع :

إن المنارة أو المئذنة الموجودة حاليا خارج المسجد من الناحية الجنوبية ، والتي كانت تعتبر من الشعارات الرسمية للدولة المالديفية ، بناها أيضا السلطان ابراهيم اسكندر ، وذلك في سنة ١٠٨٥ هجرية بعد ما أتم بناء الجامع ، وعين مؤذنا خاصا ليؤذن في الأوقات الخمسة وخصص له راتبا خاصا .

وقد جددت المئذنة في عهد السلطان محمد شمس الدين فاستبدلت بالأشرطة (الأحزمة) المصنوعة من الحبال التي تصنع من ألياف شجرة جوز الهند أحزمة من النحاس ، وقد تم ذلك .


المئذنة التي بناها السلطان ابراهيم اسكندر

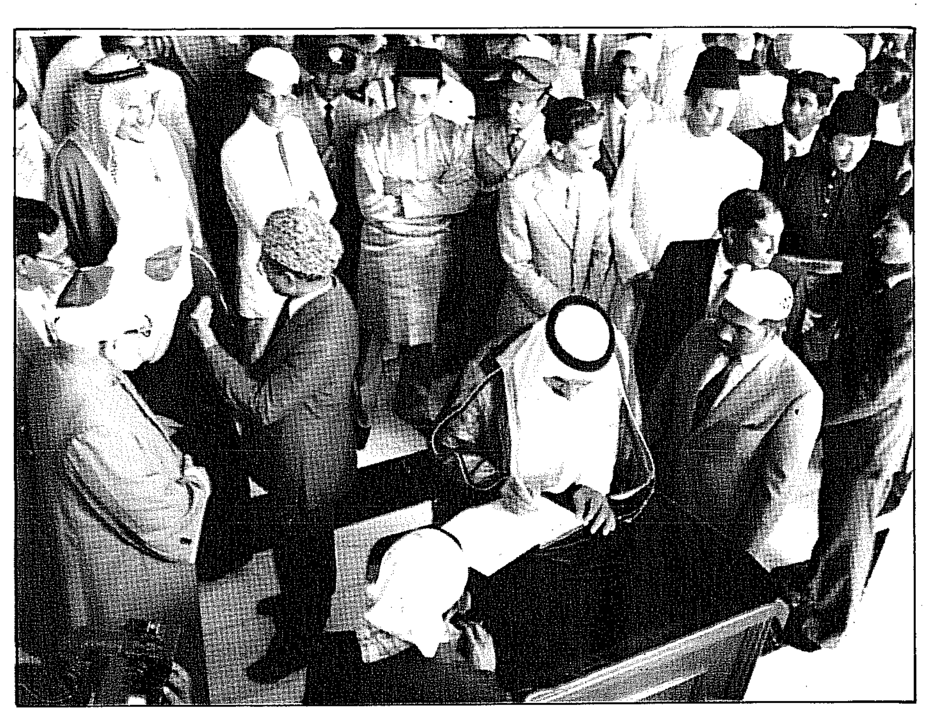


المسجد الجامع والمركز الاسلامي في ماليف

المركز الاسلامي :

إن فكرة بناء جامع جديد أوسع من المسجد الجامع الموجود حاليا في مالي كانت فكرة كثيرا ما راودت أذهان المسؤولين في الحكومات السابقة كما أن الأرض المبني عليها المركز الاسلامي اليوم من الأماكن التي اقترحت لبناء مسجد جديد واسع ، ومع هذا فإن الأمر لم يخرج إلى حيز التنفيذ ، ولم تتخذ أية خطوة عملية بشأنه إلا في ١٩٧٩م . حيث استقر الرأي على بناء مركز إسلامي يضم مسجدا كبيرا وقاعة للمحاضرات ومكتبة اسلامية وفصولا دراسية وغير ذلك .

وفي سنة ١٩٨٠م وبناء على أمر أصدره السيد رئيس الجمهورية قام المهندسون المعماريون برسم وإعداد نموذج للجامع المقترح بناؤه ، وقامت الحكومة بالاتصال بالدول الاسلامية الصديقة بصدد تمويل هذا المشروع الحيوي الذي يعد أكبر بناء يبنى في عاصمة المالديف .

وقد اهتمت كل من المملكة العربية السعودية ودولة بروناي وماليزيا اهتماما كبيرا بمشروع المركز الاسلامي .



معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يسجل كلمته عند بدء الاحتفال بافتتاح المركز

وفضلا عن الدول الثلاث المذكورة فان الكويت والامارات العربية المتحدة وجمهورية مصر العربية قدمت معونات مالية للمشروع كما شاركت الباكستان فيه بتقديم سجاجيد باكستانية فاخرة لفرش قاعة الصلاة الرئيسة .

وقد وضع الحجر الأساسي للمركز منذ عامين في عيد الجمهورية يوم ١١ نوفمبر ١٩٨٣م ، ومنذ ذلك اليوم والعمل في المشروع ماض بهمة ونشاط وسرعة حتى تم إنجازه واحتفل بافتتاحه يوم ١١ نوفمبر ١٩٨٤ بحضور وفود لكثير من الدول من بينهم دولة الكويت ويمثلها معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية . وقد قام بأعمال النجارة والزخرفة والرسوم والخطوط الموجودة في قاعة الصلاة الرئيسة عدد من الفنانين المالديفيين كما قام الرئيس مأمون عبد القيوم بنفسه بكتابة الآيات القرآنية في المحراب .

والأرض التي بنى عليها المركز تضم جزءا من الميدان الابراهيمي وقد شهدت هذه الأرض عددا من الاحتفالات التاريخية الرسمية . وهذا يدل على ان الأرض التي خصصت لبناء المركز الاسلامي والمناسبات كانت موضعا ذا اهمية عظمى من الناحية التاريخية والقومية .

ويعد المركز الاسلامي أكبر عمارة في المالديف . وقد بنى على ثلاثة طوابق



الآيات القرآنية المنقوشة على جدار المحراب كتبها الرئيس مامون عبدالقيوم بنفسه

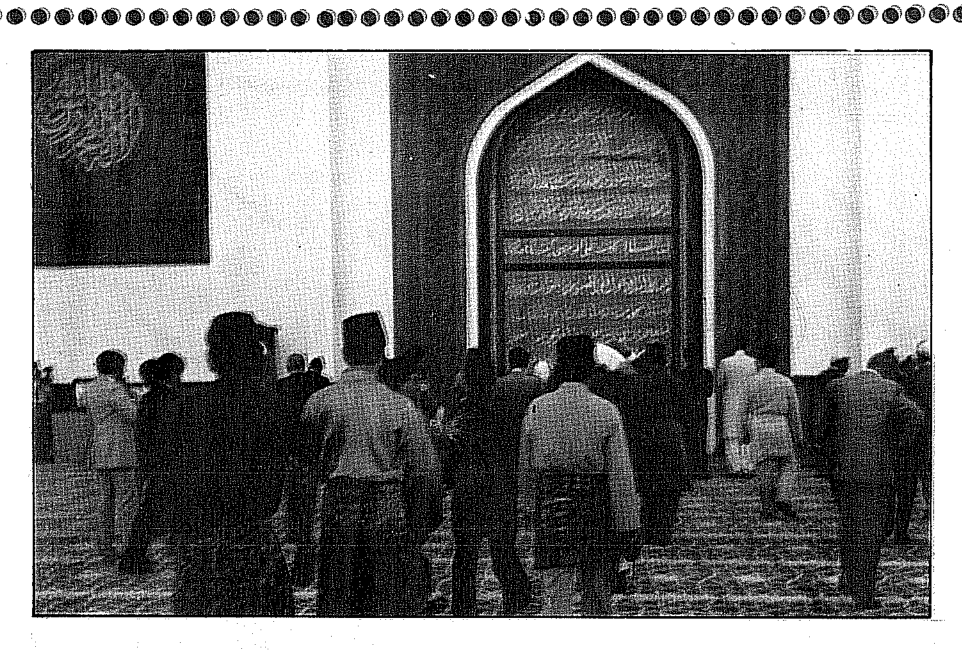
ومساحة الطابق الأسفل ٢٧,٠٦٦ قدما مربعا .. ويشتمل هذا الطابق على خمسة فصول لتعليم القرآن والعلوم الدينية ومكتبة إسلامية وقاعة كبيرة للمحاضرات ومساحة هذه القاعة ٤,٠٥٦ قدما مربعا كما يوجد في هذا الطابق المكاتب الادارية ومكتب إمام المركز وكذلك محلات للوضوء للرجال والسيدات كل على حدة ، ويستطيع ان يتوضأ فيها ١٦٠ رجلا و ٨٩ سيدة في آن واحد ، وأما الطابقان الثاني والثالث فمخصصان للصلاة .

وأهم معالم المسجد القبة التي تعلو قاعة المسجد الكبرى ، التي يبلغ ارتفاعها ثمانين قدما من الداخل ، وكذلك المئذنة المنفصلة وارتفاعها ١٣٢ قدما ، وهذه

المئذنة هي أعلى بناء في مالي في الوقت الحاضر .
والمسجد ينقسم الى ثلاثة أجزاء ، قاعة الصلاة الرئيسة ومساحتها ٦,٠٨٤ قدما مربعا ، وجناحين آخرين الجناح الجنوبي منهما مخصص للسيدات .
وقد تقرر تسمية هذا المسجد بمسجد السلطان محمد تكرفان الأعظم تيمنا باسم المجاهد الوطني الأكبر الذي أنقذ الشعب المالديفي من براثن الاستعمار البرتغالي الذي سيطر على البلاد لمدة ١٦ عاما في القرن الخامس عشر الميلادي . واعترافا بفضله وجهاده العظيم الذي رد للوطن حريته السليبة وصان للشعب عقيدته الاسلامية وأعاد للمالديف عزتها وكرامتها ببطولته الفذة ونضاله الرائع العظيم .

التعليم في مالديف :

بدأت جمهورية المالديف الاهتمام بتعليم أبنائها تعليما يتمشى مع تقدم العصر ، ويمكنهم من النهوض بها واستغلال ثرواتها وإدارة شؤونها الى ما فيه خير البلد اليافع ، وأخذ مكانتها في المحافل الدولية والعالم الاسلامي .
وهي تعتني بتربية أبنائها على عقيدة الايمان والاسلام توحيدا وتشريعا واخلاقا ، كما تعمل على غرس حب الوطن وتكوين شخصية المواطن الصالح لمجتمعه ، وتعرف مسؤوليته إزاء الوطن المالديفي ونحو العالم الاسلامي .
وأمام هذه الآمال والطموحات خطت مالديف خطوات جبارة في مجال التعليم وقطعت شوطا كبيرا في وقت قصير .
ففي سنة ١٩٥٠م افتتحت بعض المدارس النظامية في المالديف وكان الهدف من هذه المدارس اعداد القوى البشرية اللازمة لتولي وظائف الحكومة .
وفي سنة ١٩٦٠م طرأ على نظام التعليم في العاصمة تغييرات جذرية ، فأصبحت اللغة الانجليزية لغة التعليم في مدارس العاصمة والهدف الأول من هذا النظام هو تخريج بعض المالديفيين الحاصلين على الشهادة الثانوية العامة البريطانية للالتحاق بالجامعات المختلفة . وتحاول الحكومة الآن عن طريق التخطيط التربوي التغلب على المشكلات التعليمية التي تواجهها البلاد من نقص المدرسين الأكفاء ، كما تحاول التوسع الكمي والنوعي لعملية التعليم .
ويتميز الشعب المالديفي بأن غالبيتهم يعرفون القراءة والكتابة وحسب إحصاء عام ١٩٧٧ فإن ٨٢٪ من الأفراد يعرفون القراءة والكتابة .
إن تحسين وتوسيع التعليم الابتدائي في المالديف هو مركز الاهتمام لدى الحكومة المالديفية حاليا ، ففي عام ١٩٨٠م فقط التحق واحد وثلاثون ألف تلميذ وتلميذة بمراحل التعليم الابتدائي ، وهي نسبة ضخمة تبلغ ٢٠٪ من مجموع سكان البلاد .
وأما التعليم الثانوي فإنه مقصور على العاصمة فقط .



الوفود تتجه لاقامة الصلاة بعد افتتاح المركز

معهد الدراسات الاسلامية :

افتتح هذا المعهد ليكون نواة للدراسات الاسلامية والعربية في المالديف ، وكان ذلك في غرة المحرم ١٤٠١هـ بمناسبة بدء القرن الخامس عشر الهجري.هذا وان الأمل كبير في ان يكون هذا المعهد نواة لجامعة إسلامية كبيرة تكون مركز إشعاع في منطقة المحيط الهندي وما يجاورها .

وهذا المعهد يعد من المنجزات ذات الأهمية الكبرى بالنسبة للشعب المالديفي المسلم لأنه في حاجة ماسة لمثل هذا المعهد الذي من أهم اهدافه :

١ ـ تعليم اللغة العربية ونشرها بين المواطنين الصغار والكبار .
٢ ـ إعداد الطلبة الذين سيوفدون للدراسة في الدول العربية .
٣ ـ تخريج مدرسي التربية الاسلامية واللغة العربية وإقامة دورات تدريبية لأئمة المساجد وقضاة المحاكم الاقليمية .
٤ ـ تعليم القرآن الكريم تلاوة وحفظا .

إن الحكومة المالديفية ماضية في طريق توسيع المعهد وزيادة نشاطاته وتجدر الاشارة إلى أن في المعهد عدة مدرسين من الأقطار العربية والاسلامية مما يدل على ان مالديف لها علاقات وطيدة مع هذه الأقطار ومن بينهم مدرسون من ليبيا، والمملكة العربية السعودية،والكويت،والعراق،ومصر .

ندوة

الحضارة الاسلامية

○ غلب على بحوث الندوة طابع السرد التاريخي .
○ حضارة الاسلام ربانية ، فأساس الاسلام الايمان بالمصدر الالهي للدين .

كتب نبيل الخانجي

ببيتين من الشعر العربي الرقيق ختمت الجلسة الأخيرة من ندوة الحضارة الاسلامية ، تغنى بهما رئيس الجلسة ، وصفق الحاضرون ..

عندما هدأ التصفيق مال أحد الصحفيين الى صاحبه وهمس في أذنه :

ـ اترغب في كأس من الشاي ؟

فالتفت صاحبه اليه توا وقال :

ـ بل أرغب في شيء لا يمكن تحقيقه .. كعادتي !

ـ بربك .. قل شيئا مفهوما .

ولكن صاحبه لم يجب بشيء ، وأخذ يطوي أوراقه ثم نهض بهدوء ، فألفى الصحفي مايزال ينتظر منه جوابا ، فتبسم ، وقال :

ـ هون عليك ... أردت ان أقول : لكم تمنيت لو أن علماءنا الأجلاء حولوا موضوع بحثهم من ـ ملاحظات حول « تاريخ » الحضارة الاسلامية ـ الى التفكير في محاولة « لصنع » حضارة اسلامية معاصرة !

وخرجا من القاعة دون أن يشربا الشاي .



● استضافت الكويت « ندوة الحضارة الاسلامية من مهدها العربي الى آفاقها العالمية » تحت رعاية سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء ، من ٢٤ حتى ٢٧ من ربيع الأول ١٤٠٥ هـ الموافق ١٧ ـ ٢٠ من ديسمبر ١٩٨٤ م .

وقد عقدت الندوة بالتعاون بين اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة اليونسكو ، واللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي بمنظمة اليونسكو . وشاركت فيها : جامعة الكويت ، والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ودار الآثار الاسلامية بمتحف الكويتي الوطني . وقد أناب سمو ولي العهد ورئيس مجلس الوزراء سعادة الاستاذ عبدالعزيز حسين وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في افتتاح الندوة في فندق حياة ريجنسي حيث عقدت جلساتها .

● والهدف من عقد الندوة كما ظهر من نقاش المشاركين فيها تصحيح مفاهيم خاطئة عن الحضارة الاسلامية وردت في موسوعة تاريخية صدرت عن اليونسكو في عدة مجلدات باسم « تاريخ الانسانية » منذ نحو ٣٥ عاما وقد حوى الجزء الثالث منها دراسات عن الاسلام وحضارته ، ملأى بالانحرافات والأخطاء المتعمدة وغير المتعمدة ، والغمز المباشر وغير المباشر في الاسلام . وتنوي اليونسكو الآن أن تعيد طبع الكتاب على نحو يراد منه ـ إن صدقت النية ـ تصحيح تلك الانحرافات .

● وقد تناولت بحوث الندوة جوانب من تاريخ الحضارة الاسلامية ، وملاحظات حول بعض موضوعاتها ، ولكن غلب على معظم البحوث طابع العرض التاريخي

أكثر من الوقوف المتعمق أمام الظواهر البارزة والمنجزات الكبرى للحضارة الاسلامية . كما يلاحظ بوضوح كيف انعكس الهدف من الندوة على بعض الأبحاث التي تناولت العلاقة بين الحضارة الاسلامية وحضارة الغرب المسيحية ، وما كان ـ ومايزال ـ من افتئات على الحضارة الاسلامية يقترفه علماء الغرب .

● وفي رأينا أن طابع السرد التاريخي الغالب ليس هو الاشكال الأساسي في الندوة ، بل هناك اشكال أكثر عمقا ، ذلك بأن الحضارة الاسلامية لا تظهر بكامل معناها في الانتشار الأفقي السياسي للفتوح ، ولا في ألوان التعبير المادية عنها ، ولكنها تأخذ تجليها الكامل فيما أحدثته من تغيير في الانسان والمجتمعات التي ألقت بظلالها عليها . ان حضارة الاسلام في جوهرها هي حضارة « الدعوة الى الله » أي : حضارة تغيير الانسان باحتوائه ضمن نظام الاسلام الشامل بجوانبه جميعا : النظام السياسي ، والنظام الاقتصادي والنظام التشريعي والنظام الاجتماعي ..

وعلى هذا فان دراسة البناء الفكري لهذه الحضارة ، او بعبارة اخرى ـ دراسة النظم الاسلامية التي شكلت عقل الانسان ، وقادت سلوكه ، وحددت اتجاهاته ، وابتعثت فيه كوامن الابداع .. ان هذه الدراسة هي التي تجلي ملامح الانجاز الحضاري في أعمق معانيه وأوسع أبعاده .

غير أن هذا الجانب لم يبن في بحوث الندوة . كما لم يبن غيره من جوانب الدراسة الحضارية كتاريخ العلوم وتاريخ الفن مثلا .

ولنشرع بعد في الاشارة الى أبرز الموضوعات التي تناولتها بحوث الندوة .

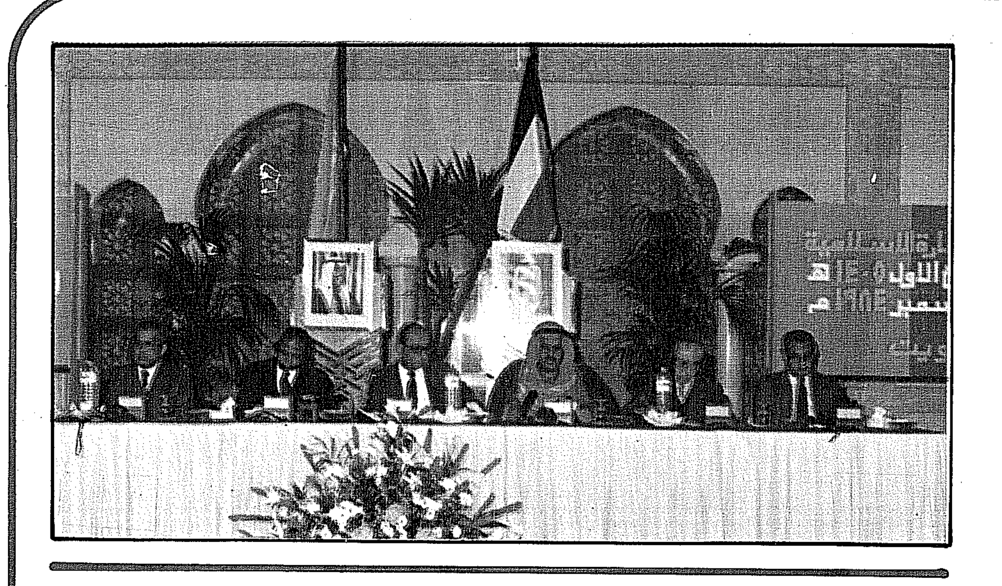
يستطيع المراقب أن يرصد في الندوة أربعة اتجاهات رئيسية لموضوعاتها : العلاقة بين الحضارة الاسلامية والغرب المسيحي . والسمات الاساسية للحضارة الاسلامية ، وارتباط النهضة في العالم الاسلامي عموما بحركة الجهاد سواء أكان مداً هجوميا ام موقفا دفاعيا ، وملاحظات عامة حول تاريخ الحضارة الاسلامية .

○ سمات الحضارة الاسلامية ..

الحضارة بناء فكري ومادي وروحي ، وهي نتاج جهد ودأب متواصلين ، وحصيلة كشف وابداع متلاحقين . ولكل حضارة شخصية متميزة ذات سمات أساسية ترجع الى الفكرة او المبدأ الذي تتبناه والظروف التي تلابس نشأتها . ومن خلال بحثين قدما للندوة يمكن استخلاص السمات الأساسية للحضارة الاسلامية كما يلي :

١ ـ انها حضارة ربانية ، فأساس الاسلام الايمان بالمصدر الالهي للدين ، وأن القرآن وحي الله الى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم .

٢ ـ وهي حضارة « الانفتاح » على الحضارات الاخرى تتقبل التراث الانساني وتضيف اليه .



○ موسوعة « تاريخ الانسانية » ملأى بالغمز في الاسلام والتحريف المتعمد لمبادئه وتاريخه .

٣ ـ وهي كذلك حضارة انسانية لا عنصرية فيها ، بل الناس سواسية ، وهي تهدف الى رفعة الانسان .

٤ ـ كما ان اساس الاقناع فيها هو الدليل العقلي ، والقرآن هو المعجزة الباقية بعد ان انتهى عهد المعجزة الكونية .

٥ ـ وهي حضارة « الامتداد » : امتداد بشري ، فهي تضم اجناسا بشرية متنوعة ، وامتداد في المكان ، وامتداد في العمق فقد ظلت ثقافتها وحضارتها متمتعة بالحيوية والنشاط .

٦ ـ و الاسلام ينظر الى الكون على انه « صديق » ، ومافيه هو مجال واسع للبحث والتأمل ،

٧ ـ ولذلك كان للحضارة الاسلامية موقف رائع من العلم والمعرفة : فقد رغبت فيهما وحررت عقل الانسان وحفزته الى البحث في آيات الله ، وتنافس في تشجيع العلم واكرام العلماء ـ الخلفاء والأمراء ،

٨ ـ والاجتهاد من أبرز هذه السمات أيضا ، فقد كفل لهذه الحضارة حيوية ونماء دائبين .

○ العلاقة بين الغرب والحضارة الاسلامية .

لقد قدم في هذا الموضوع أكثر من بحث ، وهذا يعود في الحقيقة الى الدافع الى اقامة الندوة كما ذكرنا في البدء .

ومعظم المشاركين من الباحثين يردون هذه العلاقة الى أصلها وهو الصراع بين الحضارة الاسلامية والحضارة



○ الأبحاث الاستشراقية استهدفت خدمة الحملة الظلمة التي شنها رجال الدين المسيحي على الاسلام .

المسيحية . ذلك بأن حركة الفتوح الاسلامية ودخول الناس في الاسلام أفزع الكنيسة آنئذ ، ولما كانت اوضاع العالم المسيحي لا تساعد على مواجهة الفتوح فليس في وسع الكنيسة الا ان تعمد الى التشويه الفكري للاسلام والافتراء عليه . ومن هنا بدأت البذور الأولى للاستشراق في احضان الكنيسة الكاثوليكية ومؤسساتها في غرب اوروبا . وأصدر مجمع فينا الكنسي ١٣١١ ـ ١٣١٢ قرارا بتدريس العربية ، والملاحظ ان هذا المجمع عقد بعد أقل من عشرين عاما على طرد آخر البقايا الصليبية من بلاد الشام .

وبرز في غرب اوروبا تياران : تيار الاهتمام بتراث المسلمين ، وتيار الكراهية للاسلام وحضارته . ونمت حركة الاستشراق من خلال هذين التيارين . وقد استهدفت كثير من الابحاث الاستشراقية خدمة الحملة الظالمة التي شنها رجال الدين المسيحي على الاسلام ، وهذا هو السر فيما ظهر في تلك الدراسات من تجريح صريح او غمز خفي . ويبدو ان هذه النظرة الى الاسلام لم تتغير لدى الغربيين في العصر الحديث عما كان عليه اسلافهم الأوائل . وهكذا جاءت الكتب والبحوث الحديثة في الغرب لا تختلف في روحها ونظرتها الى الاسلام ومادتها العلمية عما كتبه السابقون . ويعتبر كتاب « تاريخ الانسانية » الصادر عن اليونسكو نموذجا واضحا .

ونحن نسوق مثلا واحدا مما ورد فيه فقد ذكر الكتاب ان الشريعة الاسلامية لم يكن لها وجود في القرن الأول الهجري بأكمله وان المسلمين

« استقوا نظمهم القضائية والادارية مما كان معمولا به في البلاد التي فتحوها من قوانين رومانية بيزنطية او فارسية ساسانية فضلا عما أخذوه عن التلمود وعن القانون الكنسي الخاص بالكنيسة الشرقية » - ص ٥٤٤ _ ٥٤٥ .

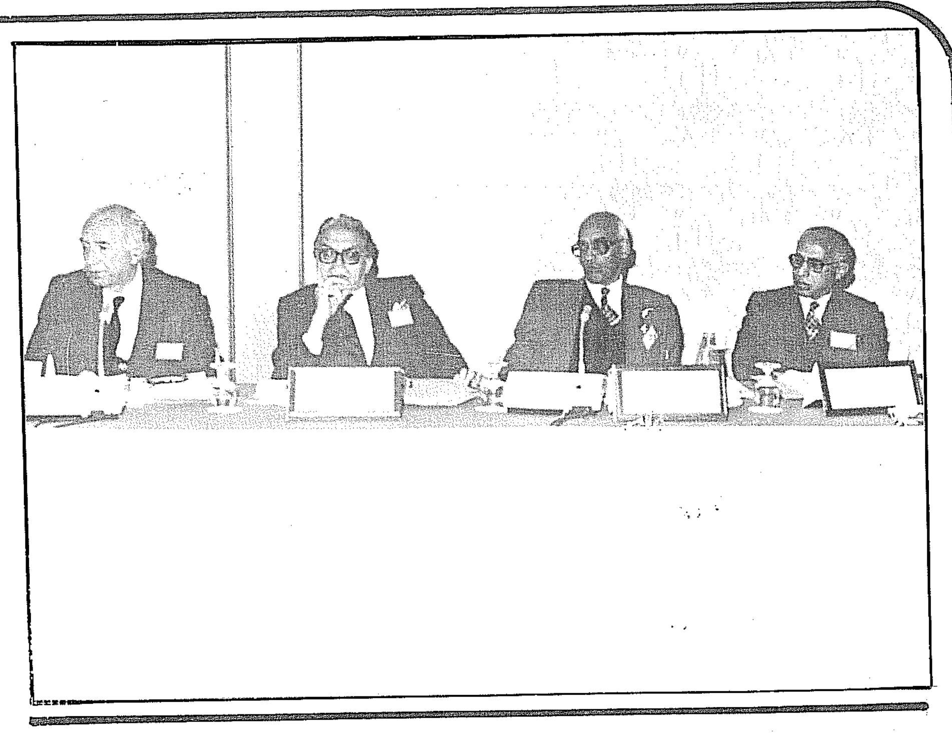
وهكذا تم الخلط في اكبر موسوعة تاريخية صدرت عن اليونسكو حتى الآن بين الأحكام القضائية ، وكلها مستمدة من الكتاب والسنة ، وبين النظم الادارية التي طبقت في الدولة الاسلامية .

○ اقتران النهضة بحركة الجهاد

تناولت بعض أبحاث الندوة ثلاث فترات من التاريخ الاسلامي ، يتضح منها ، كما يتضح من سائر مراحل هذا التاريخ ، ارتباط النهضة الحضارية في الاسلام بحركة الجهاد . وعلى الرغم من ان الباحثين لم يتواصوا بابراز هذا الجانب ، غير أنه واضح من تلقاء السياق التاريخي . ان علاقة التجاذب المتبادل بين النهضة والجهاد في الاسلام سهلة التفسير : ففي الاسلام لا يحقق النصر العسكري ولا تعاظم النفوذ السياسي معناهما الا من خلال الانجاز الحضاري الشامل الذي يسخران في سبيله ، ومن هنا ندرك كيف اقترنت بأسماء القادة الكبار البارزين جملة من الانجازات البارزة في تاريخ الحضارة الاسلامية . وبالمقابل نجد وثبة الأمة الجهادية لا تكون ماضية الحد الا اذا كان الرأي العام الاسلامي معبأ بمغزاه الحضاري ، وكانت الفكرة الكلية الاسلامية عن الكون والحياة متوهجة في نفوس المسلمين .

ولهذا لم يكن مستغربا بعد هذا كله أن تكون المساجد المنتثرة في كل مدائن الاسلام منطلقا للنهضة الفكرية ، وفي الوقت نفسه منطلقا لحركة الجهاد . اننا نلاحظ هذه الظاهرة في العصر الايوبي والمملوكي ، كما نلاحظها في العصر العثماني ، وفي دول المرابطين والموحدين والملثمين في المغرب . وهي المراحل الثلاث التي تناولتها بعض أبحاث الندوة .

● فقد ارتبط اسم مدينة القدس باسم صلاح الدين الأيوبي الذي عمل على اعادة الكيان السياسي لدولة الاسلام الى سابق عهده ، وكان الجهاد في سبيل الله أهم ماقام به ، على أن الوجه الآخر لانتصارات صلاح الدين يبدو في نهضة الحركة العلمية في القدس ، فقد عني باقامة معاهد العلم ، ورعاية العلماء حتى امتد أثر هذه النهضة العلمية الى بلاد الشام والعراق والمغرب والأندلس وبلاد فارس والهند والأفغان ، واستمر تيار النهضة في العصر المملوكي من بعد ، وبرزت آثارها بروزا واضحا ، حتى لقد عد لنا المؤرخون اكثر من ٢٥٠ عالما اشتغلوا في معاهد القدس وحدها . ومما يشار اليه أن العلوم التطبيقية نشطت كذلك نشاطا ملحوظا ، وسطعت أعلام كبيرة لعلماء في الرياضيات كابن الهائم ت - ٨١٥ هـ وفي علم التوقيت والهيئة كابن شرف المقدسي ، وفي الجبر



○ في تاريخ الحضارة الاسلامية اقترنت النهضة بحركة الجهاد .

والمقابلة كأحمد بن عبدالله الكناني ت ٨٧٠ هـ وفي الطب كمحمد بن سعيد التميمي ، وكان البيمارستان الصلاحي « نسبة الى صلاح الدين » من أهم المراكز الطبية في القدس . وتعد الاثار الباقية في مدينة القدس من أجمل ماخلده التاريخ .

● وفي العهد العثماني يلمع اسم محمد الفاتح الذي حقق الله تعالى به نبوءة نبيه على الله عليه وسلم بفتح القسطنطينية ، ولم يكن فتحها الا مقدمة لتحقيق النهضة الشاملة التي تجلت في الحركة العلمية ، فقد جعل محمد الفاتح القسطنطينية مركزا للحياة الادارية والتجارية ، وبذل جهدا منظما لتطويرها ، واجتذب اليها عددا كبيرا ،من المفكرين والعلماء وحول ثماني كنائس فيها الى معاهد للعلم ، ونشطت حركة التأليف الموسوعي واستمرت فترة طويلة من بعده ، ولعل من مشاهير تلك الفترة الكاتب الحلبي مصطفى بن عبدالله المشهور بحاجي خليفة « ١٦٠٩ - ١٦٥٧ » م الذي يعد كتابه « كشف الظنون » أكبر موسوعة في اسماء الكتب التي ظهرت في العالم الاسلامي باللغات الثلاث العربية والفارسية والتركية . ولقد قال بعض المؤرخين ان الارستقراطية الوحيدة في

دولة محمد الفاتح كانت ارستقراطية العلم . والحق أن حمل الأتراك لمسؤوليات الجهاد منذ القرن التاسع الميلادي في الثغور الشمالية الاسلامية هو الذي هيأهم فيما بعد لهذا الدور ، ويعترف المؤرخون بأن المشايخ هم الذين كانوا يوقدون حماسة الجهاد ، وعلى أكتافهم قامت امارة « الغزاة » الأتراك في غربي الأناضول ومنها كانت الدولة العثمانية .

● وفي المغرب العربي لا تتخلف هذه الظاهرة أيضا ، فقد بلغت بلاد المغرب الذروة على عهد المرابطين والموحدين ، ودفعت دولتا « العباد المجاهدين » بفضل النهضة الدينية السياسية الحضارة المغربية الى عصرها الذهبي . وكان الجهاد هو بؤرة تلك النهضة ، فالرباط - في المغرب - هو الثغر الذي يرابط فيه المجاهدون ، والمرابط هو العابد المجاهد ، والمثل الأول للمجاهدين العباد في المغرب هو القائد المسلم عقبة بن نافع مؤسس مدينة القيروان . وكانت تلك الربط مدارس دينية كالمسجد ، تحمل عبء النهضة الثقافية مثلما تحمل مسؤوليات الجهاد .

وفيما بعد عندما استعاد النورمانديون صقلية ، وبدؤوا يغيرون على السواحل التونسية ، حتى استولوا على المهدية ، ضعفت الربط والمحارس ، وانتقل مركز الثقل الاسلامي الى سواحل المغرب الأقصى الجنوبية على تخوم السودان الغربي الصحراوية ، حيث قام رباط فتي جديد في مصب نهر السنغال ، هو رباط الفقيه المالكي عبدالله بن ياسين الجزولي ، الذي بث روحا جديدة في المسلمين من بربر الصحراء الملثمين ، فأعاد سيرة المجاهدين العباد من المرابطين والموحدين .

○ ملاحظات حول تاريخ الحضارة الاسلامية .

● عرض الدكتور صالح العلي جملة من الملاحظات حول معالجة التاريخ الاسلامي ، منها ان مجرى التاريخ في العالم الاسلامي لا يتطابق مع مجرى التاريخ الأوروبي وعلاماته الفارقة المميزة ، ولذلك فليس من الصواب اتخاذ التقسيمات في التاريخ الأوروبي وتطبيقها على تاريخنا . ومن ناحية اخرى اذا قبلنا اعتبار دراسة التاريخ تشمل نشاط الانسان في مختلف جوانبه السياسية والاجتماعية والفنية والفكرية .. فعلينا أن نبحث عن معيار جديد لتقسيم حقبنا التاريخية .

كما عالج الدكتور أحمد أبو زيد في بحثه عن العائلة والدين في المجتمع العربي المعاصر التغير الاجتماعي الذي طرأ على العائلة « العربية » منذ نهاية القرن التاسع عشر بفعل التغيرات السريعة التي أصابت نظمه الاجتماعية وانماط ثقافته التقليدية ، تلك التغيرات التي نشأت عن الاتصال بالغرب وحضارته . ويلفت النظر الى أن كتاب تاريخ الانسانية المذكور لم يخصص سوى أقل من صفحة واحدة لدراسة العائلة في المجتمعات الاسلامية ، ثم انه - الكتاب - اتخذ من العائلة الغربية



مرجعا يقيس اليه النظام العائلي الاسلامي . ويلاحظ أن أبرز التغيرات هو الاتجاه العام المتزايد نحو العائلة الصغيرة على حساب العائلة التقليدية المركبة الممتدة . كما امتد التغير الى الزواج التعددي فصار الميل الى الزواج الأحادي يزداد بسبب كثرة مطالب الحياة وتعقدها .

كما عرض الدكتور احمد مختار العبادي الدور الحضاري للمدينة الأندلسية التي تجلى فيها الطابع الاسلامي للمدينة كما تجلى فيها الى جانبه الطابع المحلي نتيجة لمؤثرات البيئة . وقد برز الطابع الاسلامي في مسجدها الجامع ، ووجود مقر الولاة على مقربة منه لان صاحب السلطان هو صاحب الصلاة والخطبة . كما ان الحياة الاقتصادية للمدينة تتركز بالقرب من المسجد الجامع ، ويبرز الطابع الاسلامي كذلك في شوارع المدينة وساحاتها الصغيرة ، وفي أرباضها او ضواحيها مساحة مكشوفة تسمى الشريعة او المصلى تقام فيها صلوات الأعياد والاستسقاء ، كما تشتمل المدينة على حدائق للنزهة ، وأرض فضاء للمصانع والمقابر . وأما الطابع المحلي فيبدو في الخطط أو التقسيم الاداري . وقد تمتعت المدن والكور بنوع من الاستقلال الاداري عن قرطبة ، وظهر الطابع المحلي كذلك في تنوع السكان فمنهم العرب ، والبربر ، والمولدون ، والمستعربون واليهود . كما ظهر في نمط الحياة الاقتصادية ، والحياة العلمية والفنية .

البيان الختامي والتوصيات

بناء على اتصالات مسبقة بين اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة ومنظمة اليونسكو واللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي التابعة لليونسكو وافق مجلس الوزراء الموقر على استضافة الكويت لندوة الحضارة الاسلامية من مهدها العربي الى آفاقها العالمية ، وقد شكلت لجنة للاعداد العلمي لهذه الندوة برئاسة الاستاذ / عبدالرزاق العدواني – مدير جامعة الكويت وقد تفرعت منها شعبتان : الاولى ادارية تتولاها اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة ، والثانية : علمية تتولاها جامعة الكويت . واقرت لجنة الاعداد ان يكون الاستاذ الدكتور / عبدالعزيز كامل مقررا عاما للندوة والاستاذ / سليمان العنيزي منسقا عاما لها .

وقد تفضل سمو ولي العهد – رئيس مجلس الوزراء برعاية هذه الندوة التي باشرت عملها فيما بين الرابع والعشرين والسابع والعشرين من شهر ربيع الاول ١٤٠٥هـ الموافق السابع عشر والعشرين من ديسمبر ١٩٨٤م .

وكان عقد هذه الندوة بالتعاون بين اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة ، ومنظمة اليونسكو ، واللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي بمنظمة اليونسكو . وشاركت فيها من الكويت الهيئات العلمية الاتية :

جامعة الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ودار الآثار الاسلامية بمتحف الكويت الوطني .

وقد اناب سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء سعادة الاستاذ / عبدالعزيز حسين – وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء في افتتاح الندوة في فندق حياة ريجنسي حيث عقدت جلساتها .

وبدأ حفل الافتتاح بآيات من القرآن الكريم ثم تتابعت الكلمات الاتية :

١ – القى السيد وزير الدولة كلمة الافتتاح وابلغ الحاضرين تحيات سمو ولي العهد وتمنياته للندوة بالتوفيق .

٢ – كلمة السيد الدكتور / يعقوب الغنيم – وزير التربية ورئيس اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة .

٣ – كلمة الاستاذ / احمد مختار امبو – مدير عام اليونسكو .

٤ – كلمة الاستاذ / شارل مورازيه – رئيس اللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي بمنظمة اليونسكو .

٥ ـ كلمة الاستاذ / الدكتور عبدالرزاق العدواني ـ مدير جامعة الكويت ورئيس لجنة الاعداد العلمي للندوة .

وتناولت كلمات حفل الافتتاح السمات الكبرى للحضارة الاسلامية ودورها في مسار الحضارة الانسانية وضرورة توثيق التعاون الثقافي والعلمي بين علماء الحضارة الاسلامية واللجنة العالمية لتاريخ الانسانية ، وتوسيع افاق الحوار والتواصل بين اجيال الباحثين ، واعادة عرض التاريخ الحضاري بما يكفل مزيدا من التقارب بين الناس في ضوء الحقيقة الموضوعية . وتحية الاساتذة المشاركين الذين جاؤوا من العالم العربي والاسلامي وبعض اقطار العالم الاخرى والذين ساهموا من الكويت .

وبعد جلسة الافتتاح شهد الحاضرون معرضا لكتب الحضارة الاسلامية ثم توالت بعد هذا جلسات العمل .

وقد قام الاستاذ / شارل مورازيه رئيس اللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي ، بشرح فكرة كتاب « تاريخ الانسانية » وتطورها وأهدافها .

وقام الاستاذ / ألوين تراوري الأمين العام للجنة العالمية لتاريخ الانسانية بشرح الظروف التي أدت الى صدور القرار بالطبعة الثانية للكتاب وكيف أن اللجنة العالمية تمثل الحضارات العالمية والأقاليم الجغرافية الكبرى ، وشرح الجوانب الادارية والمالية للمشروع والندوات الاقليمية التي عقدت في مناطق الحضارات مثل اجتماع أنقرة « تركيا » وابدجان « ساحل العاج » « ١٩٨٤ » كما يشهد العام المقبل « ١٩٨٥ » لقاءات اخرى في مكسكو سيتي وفي الجزائر . وأعطى امثلة لتحول لجان الاعداد لندوات اليونسكو الاقليمية الى لجان علمية دائمة .

وقد دارت بحوث وملاحظات الندوة حول المحاور الآتية :

« ١ » مراجعات في عصور وموضوعات وجوانب من الحضارة الاسلامية .

« ٢ » تصحيح مفاهيم واسعة الانتشار عن الاسلام وحضارته . وهذا التصحيح يسرنا ان نذكر ان الذين شاركوا فيه :

أ ـ علماء من العالم الاسلامي .

ب ـ علماء عالميون منصفون : أما على مستوى فردي أو مستوى تعاون جماعي . ومن نماذجه :

تقرير الاتحاد الفرنسي : الاسلام والغرب وعنوانه صورة الاسلام في الكتب الدراسية الفرنسية

« ٣ » حوار حول العلاقات بين قطاعات العالم الاسلامي تأثرت مدا وجزرا بالتفاعل بين الفكرة الاسلامية الجامعة ، والاتجاهات القومية وقد اتجهت الندوة الى الكتابة الموضوعية القائمة على الوثائق دون التزام بآراء مسبقة . وان هذا الاتجاه الموضوعي هو الذي يكفل مزيدا من التفاهم الحضاري .

« ٤ » النهضات الاسلامية

ان الاسلام ليس مجرد دورة واحدة بلغت ذروتها في القرنين الثالث والرابع للهجرة / التاسع والعاشر للميلاد وانما هناك تتابع وتعاصر لنهضات اقليمية اسلامية تعددت فيها مراكز الخلافة في عواصم اخرى كانت لها اضافاتها في حفظ الكيان الاسلامي والابداع في جوانب الحضارات الاسلامية . وتضيء المخطوطات التي نشرت اخيرا طريق هذا الاتجاه الجديد .

« ٥ » دراسة مفهوم الابداع في الحضارة الاسلامية ووضع هذه الحضارة في السياق الانساني العالمي ، وبيان ان الحضارة الاسلامية أفادت من التراث الذي سبقها وعاصرها .

ولم تقتصر هذه الافادة على مجرد الترجمة النقلية وانما كانت ترجمة مبدعة . ونقصد بهذا : تعمق النص ونقده والقدرة على اتخاذ قاعدة لابداع جديد ، وصياغة لغة علمية جديدة غير منقطعة عن جذورها ومستجيبة لمتطلبات التفكير العلمي الدقيق وقد حدث بهذا تفجير في الفكر الانساني اجتذب عناصر كثيرة شاركت فيه ، واندفعت منه موجات من التأثير الى ماوراء حدود عالم الاسلام .

« ٦ » هناك فارق واضح بين دراسة التاريخ السياسي والتاريخ الحضاري ان التاريخ الحضاري يضع الانجازات الانسانية في مقدمة اهتماماته ، وهي قصة طويلة من الجهود الانسانية في الارتفاع بالحياة الى مستوى اعلى ، وهي تفاعل خصب وبناء بين ابناء واجيال شعب ، وبين شعوب ، وبين الانسانية كأسرة واحدة كبيرة . ومن طبيعة التاريخ الحضاري انه تاريخ ابداع ، وتعاون لا يعيش فيه الانسان وحده ولا الشعب وحده .

هذا المسار الواسع المستمر هو الذي نود رصده ودور كل حضارة من الحضارات في الاضافة اليه . وتعميق مفهوم الانسانية الواحدة مع الاحتفاظ في نفس الوقت بالذاتية الحضارية المتعاونة مع غيرها .

التوصيات

« ١ » تكوين لجنة دائمة للحضارة الاسلامية يكون من مهماتها متابعة أعمال الندوة ، ودعم وتنسيق علاقاتها مع :

« أ » اللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي باليونسكو .

« ب » اللجان الأخرى المعنية بالحضارة الاسلامية في اليونسكو وفي غيره من المؤسسات العلمية العالمية .

« جـ » جامعات الخليج والجامعات العربية والاسلامية .

« د » علماء الحضارة الاسلامية في العالم العربي والاسلامي وعلى الصعيد العالمي .

« ٢ » تجميع الملاحظات والاقتراحات الخاصة باعادة كتابة تاري الحضارة الاسلامية وعلاقاتها بالحضارات الاخرى . وهي شريحتان :

« أ » ماسبق ان كتبه او نشره اعضاء لجنة الاعداد العلمي للندوة وأعضاء اللجنة العالمية ومديرو أجزاء الكتاب والمستشارون .

« ب » مايقدمه أعضاء الندوة في أثناء بحوثهم أو مداخلاتهم .

« ٣ » تقسيم هذه الملاحظات على اساس العصر والموضوع بحيث تظهر علاقاتها بأجزاء كتاب تاريخ الانسانية .

« ٤ » نشر هذه الملاحظات بين الباحثين والمعنيين بالحضارة الاسلامية .

« ٥ » تنظيم استمرار الحوار بين الباحثين في الحضارة الاسلامية وعلاقاتها مع الحضارات العالمية .

« ٦ » تتكون في اطار لجنة الاعداد العلمي لهذه الندوة مجموعة عمل تقوم باعداد تقرير تفصيلي يضم ملاحظات ومراجعات المشاركين فيها على أجزاء كتاب تاريخ الانسانية واقتراحاتهم العملية في المساهمة الايجابية حتى يكون انجاز الطبعة الثانية على أفضل وجه ممكن وذلك بما يأتي :

أ ـ اقتراح التقسيمات الاقليمية الاكثر ملاءمة للعالم الاسلامي مع مراعاة الاسس الجغرافية والحضارية .

ب ـ الجوانب الموضوعية للحضارة الاسلامية وتفاعلاتها الداخلية والخارجية .

جـ ـ أسماء العلماء الذين يستطيعون المساهمة في جوانب محددة من الحضارة الاسلامية اعتمادا على وثائق ومصادر أصلية .

وترسل هذه المقترحات الى اللجنة الوطنية الكويتية للتربية والعلوم والثقافة وستقوم اللجنة بدورها بايصال هذه المقترحات الى اللجنة العالمية لتاريخ الانسانية الثقافي والعلمي بمنظمة اليونسكو .

« ٧ » اتخاذ الخطوات الادارية لتنفيذ هذه التوصيات

« ٨ » اعتبار ملاحق البيان والتوصيات جزءا منها ومكملا لها .

مائدة القارىء

الكرامة الانسانية

قال تعالى «(ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا).
الآية ٧٠ من سورة الاسراء
فيا من كرمك الله سبحانه لا تهن نفسك بأي صورة من الصور.

الحق والعدل

خطب عمر بن سعيد - رضى الله عنه - وهو والي حمص، فقال:
« ان الاسلام حائط منيع، وباب وثيق.
فحائط الاسلام العدل، وبابه الحق.
فاذا نقض الحائط، وحُطِّم الباب، استفتح الاسلام.
ولا يزال الاسلام منيعا ما اشتد السلطان.
وليست شدة السلطان قتلا بالسيف، ولا ضربا بالسوط.
ولكن قضاء بالحق، واخذا بالعدل. »

الى الشباب

يقول امير الشعراء احمد شوقي مخاطبا الشباب:

عالجوا الحكمة واستشفوا بها ... وانشدوا ما ضل منها في السير
واقرءوا آداب من قبلكم ... ربما علّم حيّ من غبر
واغنموا ما سخر الله لكم ... من جمال في المعاني والصور
واطلبوا العلم لذات العلم، لا ... لشهادات وآراب أخر
كم غلام خامل في درسه ... صار بحر العلم، استاذ العصر
ومجدٍّ فيه أمسى خاملا ... ليس فيمن غاب او فيمن حضر

الرحمة

روى ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبَّل الحسن بن علي ، وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالسا ، فقال الأقرع : إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم احدا . فنظر اليه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : « مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ ».

منطق الدعاة الى الله

كان مصعب بن عمير واسعد بن زرارة يدعوان الناس في المدينة المنورة ـ قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم اليها ـ الى الاسلام . فقال لهما « اسيد بن حضير » وكان سيد قومه :« ما جاء بكما الى حيِّنا ، تسفهان ضعفاءنا ؟

اعتزلانا اذا كنتما لا تريدان الخروج من الحياة »

فقال الصحابي الجليل ، وسفير الاسلام الاول ، في طمئنية وهدوء :« اولا تجلس فتستمتع ؟ فان رضيت امرنا قبلته ، وإن كرهته كففنا عنك ما تكره ».

بهذا المنطق العذب ، تأثر « أسيد » فجلس وأنصت ، والقى حربته . وبعد أن فرغ « مصعب » رضى الله عنه من تلاوة القرآن ، وشرح دعوة الاسلام ، آمن أسيد ، وتبعه كثيرون . فلتكن لنا في مصعب الخيرقدوة .

بابل

هو اسم موضع بالعراق ، ينسب اليه السحر .

قال الاخفش : لا ينصرف لتأنيثه ، وذلك لان اسم كل شيء مؤنث اذا كان اكثر من ثلاثة أحرف فانه لا ينصرف في المعرفة ، قال الله تعالى « وما انزل على الملكين ببابل ».



ان الحياة الدنيا لا تمضي على نسق واحد ، ولا تمضي على هوى الانسان ، ولكن كثيرا ما يتمنى الانسان شيئا ، ويحيا على الحلم به ، ولكن تفاجئه الدنيا بما لم يرغب فيه ، وتحيد به سفائن الأمل عن شطوط الأحلام .فيجنح الى برور الالم ، ويمضي الى فلوات الحزن ، يبحث عن منجد يأخذ بيده من لجة الأحزان التي ماجت عليه وأتت الرياح بما لا يشتهي .

● ويركن الانسان الى انسان آخر ، ولكن كيف من هو في قدرته ، وفي مستواه ، يستطيع ان يحقق له ما أخفق فيه قلبه ، وخانته فيه صلابته ، انه يحتاج الى قوة اكبر من قوى البشرية ، قوة لها جبروت لا تقف امامه العوائق ، وتخشاه كل القلوب الشديدة البأس ، قوة خفية تحرك ما لا يستطيع الانسان تحريكه ، قوة مسيطرة على كل هذا الكون ، وهل يوجد اسمى وأقوى من خالق الكون بما فيه ومن فيه ؟! .. انه لا يوجد الا الله الواحد الاحد ، القوى الجبار ، الذي له كل شيء ، وبأمره كل شيء . والطريق الى الله سبحانه وتعالى سهل ميسور ، هو طريق الايمان ، وهناك عدة طرق فرعية ، تجتمع لتصب في الطريق الرئيسي لو سلكها الانسان .

* **الصلاة** : جعل الله الصلاة وسيلة من وسائل الاستعانة به فقد قال تعالى : « **واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة الاعلى الخاشعين** » (البقرة/ ٤٥) وقال صلى الله عليه وسلم : « جعلت قرة عيني في الصلاة » (رواه النسائي) . ولا يلمس هذه التذكرة الدوائية من الكروب ، ولا يصل الى حقيقتها الا من آمن بالله حقا . وقد قال تعالى في حق المؤمنين : « **قد أفلح المؤمنون.الذين هم في صلاتهم خاشعون** » (المؤمنون/ ١ ـ ٢) . وكان الرسول صلى الله عليه وسلم ـ يفضي الى الصلاة اذ الم به هم او كرب ، ففي المسند : « ان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة » ، وكان اذا حان وقت الصلاة ينادي على بلال قائلا : « ارحنا بها يا بلال » (ابو داود) ، فيريح نفسه بان ينسى وهو في الصلاة مشاغل الدنيا ومتاعبها وهمومها وأكدارها وكروبها .

ـ والركون الى الله سبحانه وتعالى واللجوء اليه في وقت الشدة طبيعة نفسية فطرية ليفضي الانسان بمخاوفه الى القوة الكبرى ، الى الخالق الاعظم ، واللجوء الى الصلاة ـ الصلة بين العبد وربه ـ انما هو شعور باتصال وثيق بين الأرض والسماء ، بين العبد وربه بين الضعف ، والقوة الكبرى التي تهيمن على هذا الوجود ، فيشعر الانسان بالطمأنينة والسكينة ، ومتى اطمأنت النفس سكن الجزع وهدأ .

ـ « ويجمع الاطباء النفسيون على ان التوتر العصبي يزول بالافضاء الى صديق او قريب فاذا لم نجد من نفضي اليه كفانا بالله وليا ونصيرا . ولكن ليس في كل الأمور يفضي الانسان بآلامه الى صديق او قريب ، ولكن علم الانسان بان الله يعلم كل شيء ومطلع على ما يدور في الخواطر والسرائر ، يجعل الانسان يفضي الى الله الخالق الذي يعلم كل شيء « **يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور** » (غافر/ ١٩) » وقد شاهدنا كثيرا من المرضى عجز الطب عن علاجهم ، فلجئوا الى الصلاة والتضرع الى الله فتم لهم الشفاء وهذا لا يتعارض مع اتخاذ الاسباب والالتجاء الى العلاج ، وقد ورد في الحديث الشريف « ان الله الذي انزل الداء انزل الدواء فتداووا » (ابن ماجة والحاكم) ، فالصلاة صلة نورانية فيها قبس يعين على الشدائد والكروب .

○ **قراءة القرآن الكريم** : ـ القرآن الكريم نور الله في ارضه ، كتاب بين حروفه كل جوامع الخير والفلاح فمن ساوره هم او حل به كرب او داهمته مصيبة ولجأ الى كتاب الله العزيز يعتصم به من عوادي الدهر وآلام النفس وقرأ في الكتاب المبين قوله تعالى « **قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون** » (التوبة / ٥١) ثم يقرأ قوله تعالى : « **قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء** » (فصلت / ٤٤) وقرأ ايضا قوله تعالى : « **قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور** » « يونس/ ٥٧) ثم تلا قوله تعالى « **وننزل من القرآن ما**

هو شفاء ورحمة للمؤمنين » (الاسراء / ٨٢) انكشف عنه الهم وزال الكرب .

ـ نعم انه الهدى والنور والشفاء ، الهدى الذي يهدي الى طريق الحق ، طريق لاعوج فيه ، من لزم الطريق المستقيم فهيهات ان تناله عوادي الدهر ، وغيلات الايام ، وكدر النفوس ، ومن كان يمضي ومعه النور الذي انزله الله معتصما به فسوف يبصر طريقا لا شائكة فيه ولا عوائق ، والطريق المستقيم هو الشفاء من اكدار الدنيا وغرورها وهمومها ومشاغلها ، فمن تخلى عن هذه الأشياء ، كان سعيد البال ، هادىء النفس مطمئن القلب . وإذا عكر صفوه شيء قرأ القرآن : « **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون** » (الحشر / ٢١)

وفي الحديث الشريف « من قرأ آية الكرسي وخواتيم سورة البقرة عند الكرب اغاثه الله » وفي رواية اخرى « من قرأهما في ليلة كفتاه » (رواه احمد والبخاري ومسلم وابن ماجة) وقال صلى الله عليه وسلم » من قال في كل يوم حين يصبح ويمسي « **حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**) التوبة / ١٣٩ سبع مرات كفاه الله ما اهمه من امر الدنيا والآخرة » (رواه ابن السني عن أبي الدرداء) ، وقال ـ صلى الله عليه وسلم ـ ايضا : دعوة ذي النون اذ دعا بها ربه وهو في بطن الحوت (**لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين**) الانبياء / ٨٧ لم يدع بها رجل مسلم في شيىء قط الا استجاب الله له » (الترمذي ، النسائي ، الحاكم ، البيهقي) والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يحض على تعلم القرآن فيقول : خيركم من تعلم القرآن وعلمه « الشيخان) فالقرآن الكريم خير وبركة فمن داوم على قراءته قوى الله بصره وبصيرته ، وما قرىء في بيت إلا كثرخيره وعمت بركته وشع نوره ومن المشاهد ان الذي لا ينقطع عن تلاوة القرآن او دراسة احاديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يتمتع في الغالب بصحة جسمه وسلامة حواسه وحضور ذهنه فلا يهرم ولا يخرف مهما طال عمره وقد دعا رسول الله لهؤلاء في قوله « نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمع ، ورب مبلغ اوعى من سامع » (الترمذي ، ابو داود) ، والنضارة في اللغة حسن الوجه ، وما يتبعه من النشاط والحيوية ببركة دعاء النبي المستجاب .

ومهما كان عظم ما الم بالانسان من اكدار وهموم فالقرآن كفيل بان يجعلها تتلاشى « **لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله** » .

○ **ذكر الله** : ان ذكر الله ، وانشغال القلب به ، يجعل الانسان على صلة دائمة بالله وللذكر اثر حسن على الانسان وجوارحه ، فمن ذكر الله هدأت نفسه ، واطمأن قلبه ، وسكن جزعه . قال تعالى : « **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر الله تطمئن القلوب** » (الرعد/ ٢٨) وقال تعالى : « **فاذكروني**

اذكركم » (البقرة / ١٥٢) وقال تعالى : « **واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون** » (الجمعة / ١٠) والفلاح الذي يكون ثمرة لذكر الله ، فلاح في الدنيا والاخرة في الدنيا يكون بالاطمئنان القلبي ، والهدوء النفسي الذي اصبح املا لدى الكثيرين من مرضى هذا العصر الموبوء بالموبقات ، فالقلق النفسي اصبح سمة من سمات هذا العصر وعلامة من علاماته غير الحسنة . والقلق له الكثير من الاضرار الجسدية والنفسية ، بما يسببه من انفعالات نفسية . يقول الدكتور امين قلعجي : « الانفعالات النفسية تهيج العصب الحائر ، فيتسبب في قرحة المعدة ، وتغيرات في الاوعية الشعرية للعين التي تخلف البياض المصحوب بضياع البصر المعروف بالجلوكوما »،وفي الآخرة يكون الفوز العظيم ، الامل الاكبر لكل مسلم ومؤمن ، الفوز برضا الله ، وبأجره العظيم الذي وعد به الذاكرين ، قال تعالى : « **والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما** » الاحزاب / ٣٥ . وتأتي المغفرة في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون لا ينفع فيه الا من كان قلبه سليما . فاسلم وجهه لله رب العالمين ، ولن يسلم الا بذكر الله ، فذكر الله هو الحياة . قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم : « مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت » (رواه البخاري) وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده » (رواه احمد ومسلم) واذا اردت ان تنسى المصائب التي تنتابك ، فأكثر من ذكر الله واجعل الله سبحانه وتعالى اكبر همك ، ومن جعل الهموم هما واحدا (**وهو خشية الله**) كشف عنه الله سائر الهموم والاستغفار من افضل انواع الذكر . لانه طلب للمغفرة . وقد امر الله سبحانه وتعالى المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالاستغفار فقال تعالى: « **فسبح بحمد ربك واستغفره** » (النصر / ٣) فان من عصمه الله وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكان حبيب الله وصفيه ، أمره الله بالاستغفار ، فما بالك بغيره من الخلق ؟! وقد امره الله سبحانه وتعالى بالاستغفار لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات . قال تعالى « **واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات** » (محمد / ١٩) وما ذلك الا لفضل الاستغفار عند الله ، والاستغفار الصادر من القلب يقي من عذاب الدنيا والآخرة . قال تعالى : « **وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون** » (الانفال / ٣٣) والاستغفار يفتح امام العبد ابوابا رحبة للخير والهناء ، من رزق وصحة وبنين ، ومغفرة من الله . قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » رواه النسائي وابن ماجة واحمد ، وابو داوود) . وهذا الحديث الشريف يسير في توافق وانسجام تام مع قول الله تعالى : « **استغفروا ربكم انه كان غفارا . يرسل السماء عليكم مدرارا . ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا** » (نوح ١٠ ـ ١٢) فالاستغفار يقضي على الهم والحزن ، ويبدل الضيق فرجا ويزيد الرزق . وقد روى

الامام الغزالي عن بعض العلماء انه قال : « العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما الا الاستغفار والحمد » . ويروى عن قتادة رحمه الله قوله « القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم ، اما داؤكم فالذنوب ، واما دواؤكم فالاستغفار » . ومن افضل صيغ الاستغفار كما علمنا الرسول الكريم ـ صلى الله عليه وسلم ـ « اللهم انت ربي لا اله الا انت خلقتني وانا عبدك ، وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء (اعترف) لك بنعمتك على ؛ وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب الا انت » (البخاري) وقال المصطفى عن هذه الصيغة:من قالها من النهار موقنا بها فمات من يومه قبل ان يمسى ، فهو من اهل الجنة ، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل ان يصبح فهو من اهل الجنة . وقد روى علقمة والاسود عن عبدالله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ انه قال : « في كتاب الله عز وجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما فاستغفر الله عز وجل الاغفر له . قوله تعالى :« **والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون**) (آل عمران / ١٣٥) وقوله عز وجل : (**ومن يعمل سوء ا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما**) (النساء / ١١٠) وان من استغفر الله عن لحظة غفا فيها قلبه عن ذكر الله ، ثم صحا ، فانه يخشى الله ، وخشية الله تحول دون المعاصي ، وراحة الانسان في راحة قلبه ، وراحة القلب في البعد عن المعاصي .

وقال بعض المتقدمين من ائمة الطب « من اراد عافية القلب فليترك الآثام . وقال ثابت بن مرة : « راحة الروح في قلة الآثام . وقال طبيب القلوب . عبدالله بن المبارك :

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب ، حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها

فالهوى اكبر داء للقلوب ، ومخالفة هوى النفس اعظم دواء لها » فالنفس خلقت جاهلة ظالمة ، فهي لجهلها تظن سعادتها في اتباع الهوى وانما فيه تلفها وعطبها » ، فان الهوى يؤدي الى الندم والندم طريق الى الحزن والهم والكرب . فمن زلت قدمه وعاد واستغفر الله كان الله غفورا رحيما ولزم الطريق الصواب حتى ينأى بنفسه عن مهاوي الكروب .

○ **الدعاء** : قال تعالى : « **وقال ربكم ادعوني استجب لكم** » (غافر / ٦٠) وقال ايضا سبحانه « **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** » الاعراف / ٥٥ ، **وقد كان الدعاء ملاذ الانبياء والرسل والصالحين ، فكانوا يلجأون اليه بالدعاء عند الكرب والشدة والبلاء ، وعند طلب العفو والمغفرة ، او لتحقيق امل تصبو اليه النفس البشرية** ، فابراهيم ابو الانبياء عليه السلام ـ دعا ربه « **رب هب لي**

من الصالحين » « الصافات/ ١٠٠» **ورزقه الله بولد طيب صالح وصفه القرآن بانه** « **غلام حكيم** » (الصافات ١٠١) وعند بناء الكعبة يتوجه ابراهيم وابنه اسماعيل ـ عليهما السلام ـ لله بالدعاء حتى يتقبل الله منهما عملهما ، ولا ينسيان ان يدعوا لذريتهما فقالا : « **ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم .**

ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا إنك انت التواب الرحيم » البقرة / ١٢٧ ـ ١٢٨) ويعقوب ـ عليه السلام ـ لم يجد الا الدعاء ملجأ يلجأ به الى الله من غدر ابنائه باخيهم نبي الله يوسف ـ عليه السلام . فقال « **فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون** » (يوسف / ١٨) وتعرض يوسف عليه السلام ـ في بيت العزيز الى مكائد شيطانية ، وحيل نسائية

كثيرة من امرأة العزيز التي دعته الى نفسها ، وقد استعصم بالله ، وهددته بالسجن اذا لم يفعل ما تأمره به فاتجه الى الله داعيا « **رب السجن احب الي مما يدعونني اليه** » (يوسف / ٣٣) ونوح ـ عليه السلام ـ لما استيأس من هدى قومه اتجه الى الله بالدعاء ليخلص الارض منهم فقال : « **رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا . إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا** » (نوح / ٢٦) وزكريا ـ عليه السلام ـ يطمع في عطف ربه ويحلم بولد يرضى فطرة ابوته فيقول داعيا « **رب لا تذرني فردا وانت خير الوارثين** » (الانبياء / ٨٩) ونبي الله موسى حينماخرج من مصر يملؤه الخوف لم يجد قوة يستغفر بها الا ربه ، فاتجه بقلبه رغبا ورهبا وفي خشوعه قال : « **رب نجني من القوم الظالمين** » (القصص/ ٢١) وفر من مصر . وعند ماء مدين رأى امرأتين تذودان فسقى لهما واحس بالغربة والفقر فلم يسأل الا الله فقال « **رب اني لما انزلت إلي من خير فقير** » (القصص/ ٢٤) وكان الله سريع الاجابة « **فجاءته احداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك اجر ما سقيت لنا** » (القصص / ٢٥) ونبى الله يونس ـ عليه السلام ـ حينما ابتلعه الحوت ، واصبح بطن الحوت قبرا له ، لم يفقد الامل في ربه واتجه الى الله بقلبه ودعاه قائلا : « **لا إله ألا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين** (الانبياء/ ٨٧) وظل يسبح بحمد ربه برغم الظلمة التي يحيا في اركانها ولولا هذا التسبيح للبث في بطن الحوت الى يوم يبعثون . فقال تعالى :« **فلولا انه كان من المسبحين . للبث في بطنه الى يوم يبعثون** » (الصافات/ ١٤٣ـ ١٤٤) واستجاب الله لايوب عليه السلام ـ حين دعا ربه قائلا :

« **أني مسنى الضر وانت ارحم الراحمين** » (الانبياء /٨٣) والله دائما كريم ورحيم بعباده المؤمنين فاستجاب الله لدعائه وحقق له مأربه قال تعالى : « **فكشفنا ما به من ضر و آتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين** » (الانبياء / ٨٤) واهل الكهف كان الدعاء سلاحهم حين عصفت بهم رياح الغدر والضلال ، فلاذوا بربهم من بطش المجرمين ودعوه قائلين « **ربنا آتنا من لدنك**

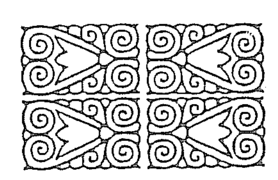
رحمة وهيىء لنا من أمرنا رشدا » (الكهف/ ١٠) فكان الله معهم ، وحماهم من ظلم الظالمين .

ـ وسيد الخلق ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد افاض في فضل الدعاء فجعله « مخ العبادة(الترمذي وابو داود) وجعله « سلاح المؤمن » (الحاكم) وقال الرسول « من لم يسأل الله يغضب عليه »(احمد » وقال ايضا « ليس شيء اكرم على الله من الدعاء » (احمد والترمذي) والالحاح في الدعاء من الامور المستحبة الى الله ـ سبحانه وتعالى ـ فقد قال المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ « ان الله يحب الملحين في الدعاء » وقال : « ألظوا بياذا الجلال والاكرام » اي تعلقوابها والزموها وداوموا عليها (الحاكم واحمد) .

وكان ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول عند الكرب « لا إله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم ، لا اله الا الله رب السموات والارض رب العرش الكريم » (مثفق عليه) . وكان اذا حزبه امر قال يا قيوم لا اله الا انت برحمتك استعين (مسلم والبخاري)

ـ وبعد ، فصفوة خلق الله وهم ـ انبياء الله ورسله ـ كان الدعاء سلاحهم وطريقهم الذي يسلكونه ، وسفينتهم التي تحمل الى برور تفريج الكروب ، ونحن بهم نقتدي فهم القدوة المثلى ـ فنكثر من الدعاء ، ونلهج دائما باسم الله ، ونتجه الى الله بقلوب خاشعة وعيون دامعة ، ونفوس طاهرة ـ فالله هو منزل البلاء ، وهو ـ سبحانه ـ الذي له القدرة على دفعه عن عباده .

● وصفوة القول ان العبد اذا التجأ الى الله (يدعوه) وكان اللجوء اليه لجوءا صادقا ، بالقلب والروح ، لا باللسان والكلام فقط نجاه الله ، فالعبرة في اللحظة التي يتجه فيها العبد الى الله ويطلب معونته ، ان يكون على صدق مع نفسه ومع ربه ، فاذا صلى تكون صلاته فيها الخشوع الظاهر والباطن ، واذا قرأ القرآن اثر فيه القرآن وخشع له فخشعن جوارحه ، واذا ذكر ربه تتأثر بالذكر نفسه وتفيض بالروحانية ، واذا دعا ربه كان قلبه معه ، وكانت عيونه بدموعها اكثر تعبيرا من لسانه . والله دائما مع العبد ، ما دام العبد يلجأ الى الله ، اللهم اكشف هموم الدنيا واسبغ علينا نعمة الهدوء والسكينة والطمأنينة انك انت الوهاب .





للاستاذ / منذر شعّار

حدث شيخ من أهل طرابلس الشام ، قديم ، قال : كنت مع فخر الملك بن عمار ، صاحب طرابلس ، وهو في شيزر ، وقد وصل اليه أخذ الافرنج لطرابلس ، فأغمي عليه ، ثم افاق ودموعه مستبقة وقال : والله ما أسفي على شيء كأسفي على دار العلم ، فإن فيها ثلاثة آلاف ألف كتاب (**أي ثلاثة ملايين كتاب**)، كلها في الدين والقرآن والحديث والأدب . وقال : إن فيها خمسين ألف مصحف . وإن بها عشرين ألف تفسير لكتاب الله عز وجل .

يا لها إذن من مكتبة عظمى لا يتأسف الحاكم المغلوب على شيء كما يتأسف عليها ، فما دار العلم هذه ؟

إنها دار كتب كبيرة ليس مثلها في دور الكتب ، وقد ذكرها بالاجلال والاكبار جلة المؤرخين في قديم وحديث ، وفي شرق وغرب .

وهي مكتبة انشأها بنو عمار ، حكام طرابلس ، ايام العبيديين ، وغذوها بكل نفيس وثمين من كتب الاسلام والعرب حتى بلغت غاية المنتهى ، ويبدو ان بني عمار أنشأوها على أنقاض مكتبة طرابلسية قديمة كانت يونان قد أنشأتها في غابر ، وغذاها الرومان من بعدهم وبيزنطة بعد ذلك ، لان العلامة الصفدي يذكر ان ابا العلاء المعري يوم قصد اللاذقية وانطاكية ليطلع على مكتبتيهما انحدر الى طرابلس ليقرأ مكتبتها ايضا .

وحسب رواية ابن الفرات يكون الذي اسس مكتبة طرابلس الاسلامية هو قاضي طرابلس ، ايام العبيديين ، الذي تغلب على الحكم واصبحت اليه امور المدينة ، واسمه :(الحسن بن عمار)، وكنيته ابو طالب ، وكان رجلا عاقلا فقيها سديد الرأي ، عالما ، بدأ يجمع الكتب للمدينة ، فبلغت حتى موته مائة الف كتاب ، ثم اضحى خلفاؤه من بعده يزيدون المكتبة نفائس واسفارا حتى بلغت يوم دخل الصليبيون طرابلس ثلاثة ملايين كتاب كما مر آنفا .

ويفهم من عبارة ابن العديم في كتابه : (الانصاف والتحري ، في دفع الظلم والتجري ، عن ابي العلاء المعري) ان الذي جدد المكتبة بعد ابي طالب بن عمار هو القاضي جلال الملك ابو الحسن ، علي بن محمد بن احمد بن عمار ، في سنة اثنين وسبعين واربعمائة ، وذكر انه وقف للمكتبة من تصانيف ابي العلاء (الصاحب والشاحج) و(السجع السلطاني) و(الفصول والغايات) و(السادر) و(اقليد الغايات)و(رسالة الاغريض)؛ قال في كشف الظنون : والسجع السلطاني لابي العلاء المعري يشتمل على مخاطبات الملوك والوزراء ، ثمانون كراسة .

وابن العديم هو ابو حفص كمال الدين عمر ابن ابي جرادة عبدالعزيز ، مؤلف (تاريخ حلب)، توفي سنة ٦٦٠ هـ ، وقد الف كتابه المذكور منذ قليل عن المعري انتصارا له .

وقد سمى صاحب (كشف الظنون) هذا الكتاب (دفع الظلم والتجري عن .. الخ) وسماه ابن الوردي (العدل والتحري .. في الخ ..)

وقد كان في دار العلم بطرابلس الشام ثمانون ومائة ناسخ ينسخون لها بالجراية والرواتب ، منهم ثلاثون نفسا لا يفارقونها ليلا ولا نهارا ، وكان لبني عمار موظفون في شتى البلاد يشترون لهم الكتب المنتجة ويرسلونها الى طرابلس ، وقد كان من القيمين عليها ابو عبدالله الطليطلي ، ومن نساخها المشهورين رجل اسمه (يانس)، ذكر اسامة بن منقذ قال :« لما اخذ الفرنج طرابلس انفذ الوالد والعم ـ رحمهما الله ـ فاستخلصنا الشيخ ابا عبدالله الطليطلي (ويانس) الناسخ ، وكان قريب الطبقة في الخط من طريقة ابن البواب ، وقد اقام يانس عندنا بشيزر مدة ، ونسخ للوالد ـ رحمه الله ـ ختمتين ثم انتقل الى مصر ومات بها ».

وقد كانت طرابلس في ايام بني عمار قد غدت جميعها دار علم ، ولما دخلها الصليبيون نهبوها وذبحوا الاطفال والنساء والرجال ذبح الشاة . واحرقوا دار

العلم النفيسة كلها ، اذ هالت قسوسهم ضخامتها وظنوها كلها مصاحف للمسلمين ، فالهبوا فيها الحرائق ، تأكلها اكلا ، واندثرت فيها حصائل علوم كثيرة ، وحضارات وآداب . وفي اثناء الحريق تخطف الافرنج منها بعض الكتب ، لا تعد شيئا ازاء ما احرق وأبيد . وان حرق المكتبات كان من شعارات الغربيين حيثما كانوا من الزمان والمكان ، وقد ظلوا يحرقون مكتباتنا عصورا . ثم لما احسوا بقيمتها أمسوا يجمعونها من البلاد . حتى اجتمع عندهم منها عدد ضخم لا يزال محجوزا في مكتباتهم الكبرى في ارجاء اوربا حتى اليوم .

وقد كان دخول الصليبيين لطرابلس لاحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وخمسمائة (او ثلاث وخمسمائة) ويوافق ذلك شهر تموز (يوليو) من عام (١١٠٩م) في ايام العبيدي (الآمر بأحكام الله) بمصر ، وكانت طرابلس اذ ذاك عامرة بالزراعة والصناعة . وكان فيها اربعة الاف نول نسج ، وكان اعظم ما فيها تلك المكتبة التي حوت انتاج العقول في يونان وروماني وفرس وعرب ، فتبدد ذلك كله بايدي الافرنج حرقا رهيبا بدافع التعصب والجهالة والحقد المميت .

وممن ذكر تلك المكتبة من الاعلام : المقرى في (نفح الطيب) وياقوت الحموي في (معجم الادباء) وهو يترجم لمؤسسها ابي طالب بن عمار ، الذي امتدحه جدا وعدد علومه ومعارفه ، وابن العديم الحلبي ، وأسامة بن منقذ ، والصفدي ، وحاجي زادة ، والعالم الفرنسي اسطفان كاترمير الذي وصف المكتبة في موضوع له اسمه (محبة الشرقيين للكتب)، طبع في باريس عام ١٨٦٢ م ، وذكرها ايضا(جيبون) في كتابه عن الدولة الرومانية وجرجي زيدان .

لقد كانت دار العلم بطرابلس الشام مثلا كبيرا على ما كان عند المسلمين من سمو عقلي وازدهار ادبي وعلمي ، وحضارة راقية ، ويكفيهم فخرا ان التاريخ تكثر فيه هذه العبارات : انشأ المسلمون مكتبة كذا وكذا ، وحرق الافرنج مكتبة كذا وكذا ، ذلك ان الاسلام ـ وحده ـ للبناء ، وصعب على غيره ان يصل الى سفوحه في العطاء والنجاء بله شعابه وذراه .

وشيرز التي ورد ذكرها مرتين هنا هي بلدة في اعلى الشام ، كانت محل امارة ال منقذ المشهورين ، وقد ذكرها امرؤ القيس ، في الجاهلية ، مع حماة ، في رائيته الكبرى ، فقال :

تقطع اسباب اللبانات والهوى

عشية جاوزنا حماة فشيزرا

وهي الان بليدة في سورية تتبع مدينة حماة ، ويشقها مثلها عاصيها وفيها آثار وبعض النواعير ، وهي من المناطق الزراعية المهمة في سورية .



الفتاوى

ولا تبذر تبذيرا

قارىء ـ لا داعي لذكر اسمه وعنوانه ـ يقول انه موظف في الدرجة الرابعة وليس له دخل غير راتبه وله ثلاثة اولاد وزوجته لا تقدر ظروفه المالية وتطالبه بشراء ما يظهر في السوق من كماليات بالاقساط حتى تراكمت عليه ديون للناس ثم يقول ماذا لوطلقتها ؟.

من اهم عوامل استقرار الحياة الزوجية التعاون والتفاهم بما فيه مصلحة البيت والاولاد من غير تقتير ولا تبذير ـ الاسلام امر بالاعتدال في الانفاق وجعله وصفا لعباد الرحمن اذ يقول سبحانه (**والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) كما نهى عن التبذير بقوله تعالى (**ولا تبذر تبذيرا**) وان من بسط يده مسرفاقعد ملوما محسورا كما نصت على ذلك الآية الكريمة (**ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) فالاعتدال في النفقة يصون المسلم من البطر ويحفظه من التورط في مذلة الدين ، الزوجة يجب ان تتعاون مع زوجها في تهيئة حياة مستقرة ولا ينبغي ان تزعجه بالإلحاح في شراء كماليات يمكن الاستغناء عنها ما دام يوفر النفقات الضرورية في حدود قدرته واستطاعته ، عليها ان تقنع بما عندها من غير ان تمد عينيها الى ما يستمتع به غيرها من الجيران والأقارب ،ومادام الوضع المالي لا يسعفها بتحقيق رغباتها كان الأولى بها ان تعينه على تربية اولاده في جو الترابط والحب والهدوء النفسي بعيدا عن هم الدَّين ونكده لأن الدَّيْن عند الرجل الحر هم بالليل وذل بالنهار وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله ويقول في دعائه .. « اللهم إني أعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » كما كان يقول : « اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم » . فقيل له انك تستعيذ من المغرم كثيرا يا رسول الله فقال : « ان الرجل إذا غرم حدث فكذب ووعد فأخلف » .

على الزوج ان يقدر مصلحته ولا يكلف نفسه ما لاتطيق ولا يستجيب لمثل هذه المطالب التي تثير المشكلات وتفتح الطريق الى خلافات قد تنتهي بالفراق كما يشير القارىء الى ذلك .

ننصح الزوج الا يتسرع بالطلاق فما شرع الاسلام الطلاق الا اذا استحالت العشرة الزوجية ، والطلاق في غير ذلك ظلم وعدوان ، الطلاق ليس فيه حل لمثل هذه المشكلات بل فيه هدم لاسرة وتفريق بين أم واولادها وضياع لبنين وبنات كانوا يعيشون في أمان ووئام . الحل في التفاهم والاقناع بالحجة والمنطق وبكل وسيلة تحقق المودة والسكن وصدق الله العظيم : « **ومن اياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون** .

(الأطفال والمساجد)

قارىء من الكويت يقول تصر زوجتي على اخذ اولادي معي الى المسجد فهل يجوز دخول الاطفال المساجد ؟

* نعم يجوز دخول الاطفال المساجد اذا كانوا على طهارة ولا يخشى منهم تلويث المسجد بمعنى اذا كان الطفل صغيرا ويقع منه حدث أو بول فلا داعي لاخذه الى المسجد للمحافظة على طهارة المسجد واذا كان الطفل مميزا محافظا فمن الخير ان نعوده ارتياد المساجد وان نأمره بالصلاة كما جاء في الحديث الشريف (مروا اولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع) ومعلوم ان الطفل في سن السابعة بل والعاشرة لم تجب عليه الصلاة بعد . ولكن يؤمر بها بل ويضرب اذا تركها ليتدرب على الطاعة ويتذوق جمال العبادة في الصغر ليشب على حبها في الكبر .

اصطحاب الاولاد الى المساجد امر جائز وقد ثبت ان الحسن والحسين رضى الله عنهما كانا يركبان على ظهر جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد في المسجد وانه قال (اني لاسمع بكاء الصبي وانا في الصلاة فاخفف مخافة ان تفتتن أمه) اما حديث (جنبوا مساجدكم صبيانكم) فهو حديث ضعيف ويحمل على ابعاد الصبيان الذين لا يؤمن حصول الحدث منهم صيانة للمساجد من النجاسة فاذا أمن ذلك فينبغي تعويدهم المساجد وتنمية حبهم لها فاذا كبروا تعلقت قلوبهم بها ومن السبعة الذين يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظل الا ظله ، رجل قلبه معلق بالمساجد . وما احوجنا الى تربية شبابنا في جو اسلامي رشيد .

(هل يستحق الزكاة) ؟

القارىء احمد عبدالله ٩٤ شارع الدكتور سعدالله ـ الجزائر يقول لي

صديق موظف يأخذ راتبا كبيرا ولكن راتبه لا يكفيه وهو لا يكفي مطالب البيت والاولاد فهل يستحق الزكاة ؟ وما مقدار ما تدفعه الى الفقير من الزكاة ؟

* بعض الناس يفهم ان الزكاة لا تعطي الا للفقير المعدم والصواب انها تعطي للفقير والمسكين وتعطي ايضا الى من عنده دخل لا يكفيه ولا يكفي مطالب ال بيته المعتادة . فعند الفقهاء من النصوص ما يبيح صرفها لذوي الحاجة سدا لحاجتهم وارتفاعا بهم الى المستوى الافضل . يروي عن الحسن البصري رضى الله عنه قوله ـ كانوا ـ يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطون الزكاة لمن يملك عشرة الاف درهم من الفرس والسلاح والخادم والدار . وعللوا ذلك بأنها من الحوائج اللازمة التي لا بد منها للانسان فكان وجودها وعدمها سواء وبذلك اخذ جمهور الفقهاء وذهبوا الى ان من له حوانيت لا تكفيه غلتها ولا تكفي عياله . وكذلك من كان له عقار وينقص دخله عن كفايته فهو فقير ويعطى من الزكاة تمام كفايته وصرحوا بانه لا يطالب ببيعه .

ومن هذا النوع الموظف المذكور يعطى من مال الزكاة ما يكفيه ويكفي اولاده ما دام راتبه لا يفي بالتزاماتهم ـ وليس لهم دخل آخر يغنيهم .

أما المقدار الذي للفقير من الزكاة فالجمهور من العلماء يرى إعطاء الفقير ما يكفيه سنة بالغا ما بلغ اذا امكن ذلك كما لا يعطى الفقراء بنسبة واحدة ولكن ذلك يختلف باختلاف حاجتهم ووضعهم الاجتماعي والحكمة في اعطائه كفاية سنة لتكرار الزكاة بتكرار الحول فيعطى ما يكفيه الى حول آخر طالما هو محتاج فاذا زالت الحاجة امتنع إعطاؤه من الزكاة لأنه صار غير مستحق لها .

ـ روي ان امرأة تشكت من محمد بن مسلمة عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه فدعا لها بجمل فاعطاها دقيقا وزيتا وقال خذي هذا حتى تلحقينا بخيبر فانا نريدها فاتته بخيبر فدعا لها بجملين آخرين وقال خذي هذا فان فيه بلاغا حتى يأتيكم محمد بن مسلمة فقد آمرته ان يعطيك حقك للعام وعام أول وروي عن عطاء قوله اذا اعطى الرجل زكاة ماله أهل بيت من المسلمين فجبرهم فهو أحب الي .

في ذلك من غير شك صيانة لفقراء المسلمين من ذل الدين ومهانة السؤال وفيه إنقاذ لأسر تتعرض للضياع وهم لا يسألون الناس إلحافا .

(والله في عون العبد ما كان العبد في عون اخيه) .

★ ردود قصيرة ★

الى القارئة عائشة سعيد ـ باب تغزوت ـ مراكش المغرب .

يتحقق الحجاب باللباس الشرعي الذي لا يصف ولا يشف عما تحته من الجسد ولا يحدد أجزاء البدن وان يغطى جميع اجزاء البدن ما عدا الوجه والكفين الا اذا خيفت الفتنة .

كما يتطلب حجاب المسلمة ألا تبدي زينتها أمام الرجال الاجانب سواء كانت زينة جسمية أم زينة مكتسبة كالثياب والحلي والمساحيق قال تعالى **(ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)** .

نرجو لك ولامثالك التوفيق لطاعة الله في جو الإيمان .

الى القارىء ب . ع . ل . مدينة الناظور . المغرب

تخلص من المال الحرام برده الى صاحبه ما دمت تعرف صاحبه كما اشرت في رسالتك الى ذلك أما المال الذي لا تعرف صاحبه فتصدق به واجعل ثواب الصدقة لصاحبه فتوبتك لا تكتمل إلا بِرَدِّ الحقوق الى اصحابها او الحصول على عفوهم وسماحهم والله يحب التوابين ويحب المتطهرين .

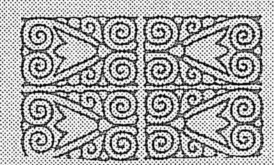
الى القارئة ـ س أ ح ـ من مصر الجديدة . القاهرة .

لا تصدقي ما يروجه الدجالون من عمل «العمل» او فتح المندل او الإخبار بالغيب الى غير ذلك من امور نهى الاسلام عن تصديقها والتأثر بها فمن ادعى معرفة الغيب فقد كذب على الله والناس ، ولم تقتصر حملة الاسلام على الكهان والدجالين وحدهم بل أشرك معهم في الإثم من يجيئونهم ويسألونهم ويتأثرون بتضليلهم .

قال صلى الله عليه وسلم « من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه بما قال لم تقبل له صلاة اربعين يوما »

القارىء عصام محمد السعيد الطالب بمدرسة أجا الثانوية ج . م . ع يقول لماذا لا تصح صلاة المرأة التي تطلي أظافرها بالمناكير مع أنها مادة غير نجسة ؟

هذه المادة تكوّن طبقة شمعية تغطي الأظافر وتمنع وصول الماء اليها وما دام الوضوء باطلا فلا تصح به الصلاة .



بأقلام القراء

طفلك والانطواء

كتبت الأخت/ آمال عبد الرحمن ـ أمينة مكتبة كلية التجارة بطنطا .. تحت هذا العنوان مخاطبة الأم بأن الاسلام جعل لها المنزلة الرفيعة ، فكرتها وأوصى بها رسول الاسلام ـ صلى الله عليه وسلم ـ خيرا ، ثم أبانت الأخت آمال عن دور المرأة الأساسي ، وهو تربية النشء الصالح ، وصناعة الأجيال هي أهم الصناعات في الوجود على الاطلاع ، ومن أجل أن تجنب الأم أطفالها الانطواء والانكفاء على الذات ، كتبت الأخت آمال مبينة أسباب الانطواء عند الطفل :

فقالت :

قد يرجع سبب الانطواء عند الطفل إلى ضعف البصر أو صعوبة النطق أو السمع أو الشلل الجزئي أو العرج أو السمنة المفرطة أو طول القامة المفرط أو بثور الوجه وقد يرجع إلى دفع الطفل للقيام باعمال تفوق قدراته أو التدليل الزائد وفقدان الطفل الثقة بنفسه أو نقد الطفل وتعرضه للمهانة ومقارنته بمن هم أكثر حظا منه كما قد يرجع إلى التربية التي تقيم حاجزا بين الطفل والمجتمع لخوف بعض الأمهات الشديد على أطفالهن والحماية الزائدة وقد يرجع إلى الصد والزجر وتأنيب الطفل لاتفه الأسباب وخاصة أمام الغير .

ثم حدثتنا عن طرق الوقاية والعلاج فقدمت بعض الارشادات التي تساعد الأم على حماية طفلها من الانزواء والانطواء فقالت :

● ينبغي تشجيع الطفل على الثقة بنفسه والتعرف على النواحي التي يمتاز فيها حتى نشغله عن التفكير في نواح يكون ضعيفا فيها .

● كما ينبغي عدم مقارنة الأطفال بمن هم أكثر حظا منهم سواء في الاستعداد الجسمي أو الذهني .

● يجب توفير قدر معقول من الرعاية والمحبة مع عدم نقد الأطفال أو تعريضهم للمهانة أو الهوان سيما أمام الغير ذلك لأن النقد الشديد والافراط في التوجيه يشعر الطفل بأنه غير مرغوب فيه ويثنيه عن القيام بكثير من

الأعمال .

● ينبغي تصحيح فكرة الطفل عن نفسه حسب المنهج الذي يرى أن ما يصيب الأفراد ليست الأشياء وإنما نظرتهم المشوهة لهذه الأشياء .

● العمل على تنمية شخصية الطفل وتكوين قدرات لديه للأخذ والعطاء مع الغير

● إشعار الطفل بالحب والقبول والتعرف على مصادر خجله وكيف نشأت .

● تهيئة جو الأمن والود عن طريق الألفة والطمأنينة الى الأشخاص الكبار الذين يعيش الطفل معهم .

● عدم دفع الطفل الى القيام بأعمال تفوق قدراته حتى لا يصاب بالاحباط ويدفعه ذلك إلى الانزواء والانطواء مع الأخذ في الاعتبار بأن لكل طفل ظروفه الخاصة .

● تشجيع الطفل على إقامة علاقات مع أقرانه والعناية بمظهره الخارجي .

● تنمية المواهب لدى الطفل حيث إنه يظهر من خلال مواهبه على العالم .

● عدم التدليل الزائد والتربية الاستقلالية ومحاولة إشراك الطفل في بعض الأنشطة المناسبة له داخل الأسرة حتى يتعود على الاندماج مع الجماعة ويتفاعل معها على أن يتسم كل ما ذكر بالوسطية التي يدعو إليها الاسلام وأن يكون جهدك أختي المسلمة خالصا لوجه الله حتى تؤدى الأمانة التي وضعها الله في عنقك وعليه قصد السبيل ..



تحت هذا العنوان كتبت الأخت سامية الشرقاوي :

كم نحن في هذا العصر بحاجة إلى أن نربي أبناء الأمة العربية والاسلامية على قيم الامتثال والطاعة ، والالتزام بالواجب ، والانضباط ، في عصر عزت فيه هذه القيم واصبح الشباب ، باسم الحرية والاستقلال ، ينسلخ عن الأسرة وحظيرتها لينغمس في تيار المودات والبدع الوافدة على الأرض العربية الطهور ، ان الامتثال للقيم الخيرة للفضائل الحميدة ، وللسلطة الشرعية والدينية انما هو مظهر من مظاهر التحضر والرقي والتقدم ، كما أنه دليل على الوحدة وعلى التماسك . ويساعد الامتثال الفرد على أن يتوحد مع إخوته وأخواته في المواطنة ، « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » متفق عليه . وعلى ذلك فالامتثال ليس قيمة خلقية وحسب ، ولكنه قيمة اجتماعية

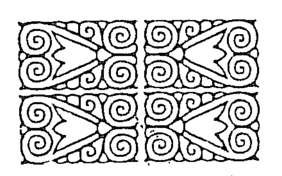
والتراث الاسلامي حافل بالدعوة للامتثال والالتزام والطاعة ومراعاة القيم والتحلي بالخصال

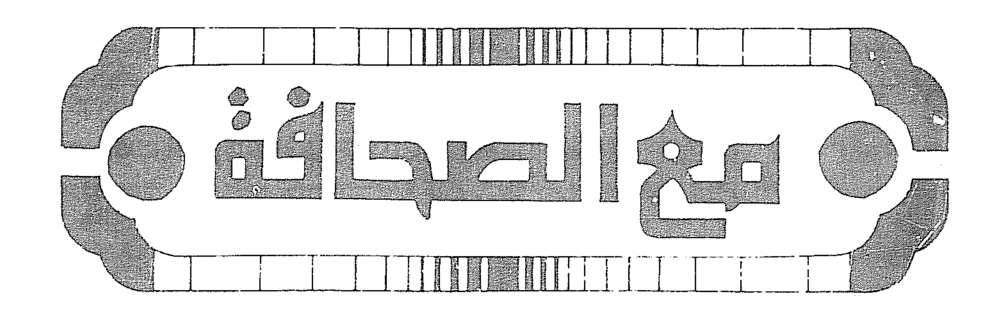
والفضائل الحميدة واحترام الصغير للكبير ، وطاعة ولاة الأمور والبر بالوالدين والاحسان اليهما وطاعتهما في الخير ، وطاعة الزوجة لزوجها فالقرآن الكريم يدعو الناس لطاعة الله ورسوله ولهم أجر عظيم ، وذلك لتربية المسلم على الطاعة والامتثال لكل ما هو خير كما في قوله تعالى : (**فإن تطيعوا يؤتكم الله أجرا حسنا**) الفتح/١٦ . وطاعة الرسول عليه الصلاة والسلام سبيل إلى الهدى والهداية كما في قوله تعالى : (**وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين**) النور/٥٤ . ولقد جعل الله تعالى الجنة ثوابا عادلا لمن يطيع : (**ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار**) النساء/١٣ . وفي الدعوة لطاعة ولاة الأمور يقول الله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم**) النساء/٥٩ .

ولا شك أن الطاعة سبيل نجاح الفرد والجماعة ، ولذلك كانت وما زالت يد الله مع الجماعة ، أما التنازع والخصام فسبيل الفشل والاندحار ، مصداقا لقوله تعالى : (**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا**) الأنفال/٤٦ .

ونظرية الامتثال في الاسلام تقوم على أساس الامتثال لكل ما هو خير ولكل ما هو مطابق للشريعة الاسلامية الغراء ، وعلى ذلك فلا طاعة للظالمين والطغاة والبطاشين بالناس ، ولا لأهل الفساد والانحراف مصداقا لقوله تعالى : (**ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع**) غافر/١٨ .

والاسلام الحنيف يربي الفرد على الطاعة والامتثال منذ نعومة أظفاره فيدعوه الى الامتثال للوالدين والبر بهما ، والمعروف أن الأسرة هي الحظيرة الأولى التي يتربى فيها الطفل ، فاذا دان لها بالولاء انتقل هذا الولاء فيما بعد الى السلطة الخارجية في المجتمع ، وإذا تربى الطفل على التمرد على السطة الأسرية شب على هذا النهج متمردا على كافة مظاهر السلطة وصورها . هذه بعض تعاليم إسلامنا الحنيف في الدعوة للطاعة والامتثال لقوى الخير والصلاح ، لما في الامتثال من قيمة ونفع للفرد والمجتمع على حد سواء .





○ المؤتمر ٧٢ لمنظمة الأوبيك

نشرت مجلة الوطن العربي في عددها (٤١١) للسنة الثامنة مقالا عن المؤتمر الأخير لمنظمة الأوبيك ، جاء فيه :

المؤتمر الثاني والسبعون لمنظمة الاقطار المصدرة للنفط « اوبيك » كان اللقاء الاكثر اهمية في تاريخ اجتماعات المنظمة منذ العام ١٩٧٣ والحظر النفطي على الدول المؤيدة لاسرائيل ، وهي المرة الاولى منذ ذلك التاريخ التي يكون على الدول الاعضاء فيها الخروج من تفاصيل الارقام والاسعار الى ما هو ابعد من ذلك. اي الى البحث عن طريقة لمجابهة الضغط السياسي على المنظمة .

في الأسبوع الماضي عاد وزراء الطاقة والنفط والثروات الطبيعية الى الاجتماع وفي جدول الاعمال قضيتان مركزيتان . الاولى تتعلق بسقف الانتاج الذي تحدد في اجتماع تشرين الاول (اكتوبر) الماضي بحوالي ١٦ مليون برميل يوميا بدلا من ١٧,٥ مليونا ، وذلك لامتصاص الفائض في السوق العالمية الذي ادى الى خفض الاسعار الرسمية . والثانية تتعلق بفروقات الاسعار بين النفط الثقيل والنفط الخفيف التى تراجعت من ثلاثة دولارات مقررة رسميا الى دولار واحد في السوق .

وبعيدا عن الهموم التقنية التي خلقتها هاتان القضيتان منذ اعلان بريطانيا والنروج عن خفض سعر نفط بحر الشمال ، كان على الدول الاعضاء في « اوبيك » ايجاد حلول لقضايا اكثر تعقيدا على المستوى التنظيمي وعلى المستوى السياسي .

١ ـ خرجت نيجيريا عن وحدة الموقف في المنظمة وخفضت سعر نفطها خوفا من المنافسة البريطانية والنروجية . وهي اوضحت على لسان وزير نفطها تام ديفيد وست ان مداخيل النفط تشكل مصدر دخلها الوحيد من العملات الصعبة . وعليها . تاليا ، الحفاظ على مصالحها الوطنية حتى ولو ادى ذلك الى فرط عقد المنظمة ، وكان الموقف النيجيري التحدي الاول لوحدة المنظمة خصوصا وان عدة بلدان اخرى اقدمت على اتخاذ قرارات مشابهة للقرار النيجيري من دون الاعلان عنها رسميا ، في حين ان اكثر من دولة عربية وجدت نفسها في المشكلة ذاتها اعلنت انها لا تستطيع الاستمرار في التضحية بمصالحها انقاذا لوحدة المنظمة الى الابد .

٢ ـ ما كادت دول المنظمة تعلن في الاجتماع الاخير عن توصلها الى اتفاق يحدد سقف الانتاج بحوالي ١٦ مليون برميل يوميا حتى خرجت دول كثيرة على القرار ورفضت تخفيض انتاجها . وتأتي ايران في طليعة هذه الدول . وقد سارت في الاتجاه المعاكس لخط

سير المنظمة الرسمي . وعلى الرغم من قرار خفض الانتاج ومشكلات التصدير الناجمة عن حرب الخليج والحصار العراقي المفروض على مصب جزيرة خرج فان ايران تواصل زيادة انتاج نفطها لتمويل آلتها الحربية .

٣ ـ أكدت التطورات الاخيرة في السوق النفطية العالمية ان توقعات « اوبيك » لم تكن كلها في محلها . فقد جاء الشتاء معتدلا في اوروبا الغربية واميركا وبقي الطلب على النفط على حاله . واضاف الركود الاقتصادي في الدول الصناعية الكبرى عاملا جديدا على المسألة دفع في اتجاه خفض الطلب . من هنا ، فان قرار « اوبيك » خفض الانتاج لم يؤثر على السوق العالمية . من جهة ثانية ، استمر تدفق نفط بحر الشمال وانتاج الدول الاخرى غير الاعضاء في المنظمة على السوق ، الامر الذي ضرب السعر الرسمي المحدد بحوالي ٢٩ دولارا في البرميل ، خصوصا وان تنامي قدرات مصافي التكرير ومصانع مشتقات النفط في تحويل النفط الثقيل الى منتجات جديدة ادى الى تراجع الطلب على النفط الخفيف وخفض سعره .

٤ ـ استمرت حملة الدول الصناعية الغربية على المنظمة التي لم تعد تقدم اكثر من اربعين في المائة من حاجات السوق العالمية . وذلك في الاستغناء تدريجيا عن انتاجها وضرب موقعها السياسي كمنظمة تضم الدول النامية المصدرة للذهب الاسود . الأمر الذي يضعف موقف الدول الصغيرة في اي لقاء عالمي يتعلق بحوار الشمال والجنوب او بالقضايا التي تهم دول العالم الثالث او بمسائل نقل التقنيات الغربية المتقدمة الى الدول المتخلفة .

في هذه الاجواء ، كان التقرير الذي رفعه رئيس لجنة المتابعة الرباعية الدكتور مانع سعيد العتيبة الى المؤتمر وثيقة سياسية درست المشكلة في ابعادها الدولية . فقد لاحظ التقرير استمرار الضعف في السوق واستمرار ضغط الدول المنتجة في خارج « اوبيك » . ورأى ان المنظمة تخوض حاليا معركة مصيرية تتعلق بوجودها وباستمرار دورها والحل الممكن لهذه المشكلة لا يمكن الا ان يكون في الحفاظ على وحدة مواقف الاعضاء .

الدول المشاركة في المؤتمر تعرف جيدا ان مصلحة المنظمة تتطلب وحدة الموقف ، خصوصا وان المعركة سياسية والمواجهة صعبة مع الدول الصناعية الكبرى . لكن هذه الدول تريد المحافظة على مصالحها الوطنية ، وبعضها يعلق اهمية مصيرية على العلاقة مع الغرب حتى ولو ادى ذلك الى فرط المنظمة .

السعودية تقف حتى اللحظة في موقع المدافع عن وحدة المنظمة ، ولو كان ذلك على حسابها فقد خفضت انتاجها بمعدل ٦٤٧ الف برميل في اليوم ، وشكلت مجموعة من ست دول تحرص على وحدة الموقف على حساب المصلحة الخاصة ، وهي وسعت اطار التشاور مع الدول غير الاعضاء وفي مقدمتها مصر .

لكن الضغط على المنظمة يتزايد وصحف الغرب تعلن منذ اليوم ان السبعينات انتهت ، وان اواسط الثمانينات ستشهد غياب المنظمة العالمية الوحيدة التي خلقتها الدول النامية للدفاع عن مصالحها في مواجهة الغرب .

○ عن انقلاب موريتانيا

نشرت « كريستيان ساينس مونيتور » في أوائل ربيع الآخر مقالا عن الانقلاب

الأخير في موريتانيا جاء فيه :

ذكرت التقارير ان الهدوء يسود شوارع عاصمة موريتانيا المغبرة بعد الانقلاب العسكري الاخير ، لكن الظروف التي جعلت موريتانيا ناضجة لانقلاب ستظل تثير المتاعب كما هو متوقع ومنها المعارضة للحرب في الصحراء الغربية المجاورة والمصاعب الاقتصادية التي تزداد سوءا والقحط المدمر . كما كان الفساد في الدوائر الحكومية عاملا من العوامل التي قادت الى الانقلاب ، وكثير من الفساد يحدث في عملية توزيع المعونات الغذائية .

يعتبر العقيد معاوية ولد سيدي احمد طايع ، الزعيم الجديد لموريتانيا ، اكثر من الرئيس الذي اطاح به اعتدالا لكن من الصعب معرفة كيفية مساعدة ذلك في معالجة حكومته للقحط الذي يدمر الزراعة في موريتانيا ويهدد بالخطر صناعة الماشية . ان موريتانيا صحراء فارغة الى حد كبير وتبلغ مساحتها ٤٢٠ الف ميل مربع تقريبا ويبلغ عدد سكانها حوالي ١ر٦ مليون نسمة . والوضع الاقتصادي فيها خطير جدا الى حد جعل بعض المحللين ينفضون ايديهم منها باعتبار وضعها « غير قابل للانقاذ او للحل » .
لقد خفض الكساد العالمي الطلب على الحديد الخام الذي يوفر عادة حوالي ٧٥ بالمائة من عائدات الصادرات الموريتانية . وارغم القحط آلافا من البدو على اللجوء الى المدن . وتضخم عدد سكان نواكشوط ليبلغ خمسين الف نسمة وهذا يبلغ ضعف العدد المخطط له .

ويقول كثير من المحللين ان موريتانيا سوف تكون بحاجة الى دعم كبير من المعونات الغربية والى مزيد من الاستقرار السياسي اذا ارادت ان تنقذ اقتصادها ، وان العقيد طايع قد يحقق اكبر تقدم في مجال الاستقرار والاعتدال .

وكان الرئيس السابق محمد خونا ولد هيدالة يتعرض لانتقاد بعض الشخصيات العسكرية في موريتانيا لكونه متعاطفا اكثر من اللازم مع متمردي بوليساريو الذين يحاربون المغرب للسيطرة على الصحراء الغربية .

ويرى المراقبون في طايع داعية لموقف اكثر توازنا تجاه الصراع بين المغرب وبوليساريو التي تساندها الجزائر . والرئيس السابق هيدالة من مواليد الصحراء الغربية ، وكان قد قطع العلاقات الدبلوماسية مع المغرب عام ١٩٨١ بعد اتهام المغرب بالتورط في انقلاب فاشل ذهب ضحيته ثمانية قتلى . وفي فبراير الماضي قرر هيدالة الاعتراف بحكومة المنفى الصحراوية ، وكانت هذه الخطوة مثيرة لكثير من الجدل وتسببت في اجراء تعديل وزاري رئيسي في « لجنة الانقاذ الوطني » العسكرية الحاكمة ، وكان العقيد طايع من بين من شملهم التعديل ، وكان طايع في ذلك الوقت رئيسا للوزراء وقائدا للجيش معا . وسمح هيدالة لطايع بالاحتفاظ بمنصبه في الجيش بسبب شعبيته بين الجنود والضباط بصفة رئيسية .

فطايع ، مثل هيدالة ، من شمال موريتانيا . لكن طايع ينتمي الى قبيلة اقلية ، ولهذا السبب يعتبره الكثيرون افضل للتمكن من اقامة توازن قبلي . كما يعتبر واحدا من القادة الشماليين القلائل المقبولين من القبائل الافريقية السوداء في جنوب موريتانيا .

وسوف يراقب الكثيرون العقيد طايع ليعرفوا ما اذا كان سيتمكن من تطهير الفساد الذي وصل الى مستويات لم يسبق لها مثيل في التعدين وصيد الاسماك وتوزيع المعونات الغذائية .

وتتلقى موريتانيا الان اكثر من مائة الف طن سنويا من المعونات الغذائية ، واصبح الاشراف على توزيع هذه المعونات وسيلة هامة لجمع الثروة والسلطة السياسية .

لقد نجا الرئيس السابق هيدالة الذي حكم موريتانيا خمس سنوات من خمس محاولات انقلاب تقريبا . وتمر موريتانيا في حالة عدم استقرار متزايد منذ اطاح العسكريون بالرئيس الاسبق مختار ولد دادة عام ١٩٧٨ الذي حكم منذ الاستقلال من فرنسا عام ١٩٦٠ وقد وعد العسكريون في ذلك الوقت بانهاء الحرب في الصحراء الغربية وبمحاولة انقاذ الاقتصاد ، كما وعدوا باعادة الديمقراطية في اقرب وقت ممكن . لكن الحرب في الصحراء الغربية استمرت بالرغم من محاولات انهائها مما تسبب باستمرار الاضطراب في الحياة السياسية الموريتانية ، وذلك بدوره اخر اعادة البلاد الى الحكم المدني .

وقد دمر القحط الذي طال امده الانتاج الزراعي في موريتانيا . ومن المتوقع ان يبلغ اجمالي الناتج الغذائي ١٥ الف طن فقط عام ١٩٨٤ مقابل ستين الف طن في السنوات العادية . وطلبت الحكومة تقديم معونات غذائية قدرها ٢٠٠ الف طن .

والعاصمة الموريتانية نفسها تتعرض لخطر الصحراء الزاحفة ، ان الكثبان الرملية على وشك احتواء العاصمة وقد تم زرع « حزام اخضر » طوله ١٢ ميلا وعرضه نصف ميل من الاشجار لصد الرمال .

وتتمتع موريتانيا بمياه من اغنى مياه الصيد في العالم لكنها لم تستفد منها الا قليلا . فالصيد بصورة غير قانونية من قبل الاساطيل السوفياتية والاسبانية وغيرها يحرم موريتانيا من عائدات بعدة ملايين من الدولارات سنويا .

○ المجاهدون الأفغان أكثر اصرارا على تحقيق النصر

نشرت صحيفة التايمس في أوائل ربيع الأخر مقالا عن المجاهدين الافغان جاء فيه :

قبل خمس سنوات مضت ، غزا الروس افغانستان واحتلوا عاصمتها كابول ، ونصبوا بابراك كارمال حاكما يعمل على تنفيذ السياسة الروسية . والحقيقة ان الوضع في افغانستان لم يتغير منذ عام ١٩٧٩ بالنسبة للغزاة الروس والمجاهدين الذين يقاومونهم ولا حتى بالنسبة الغرب ، ولهذا فان من الصعب على المرء ان يتطلع الى افاق المستقبل في افغانستان دون ان يمتلكه شعور بالتشاؤم .

واليوم ، يبدو ان الروس مصممون على البقاء ، ولكن المجاهدين مصممون اكثر على اخراجهم من البلاد مهما كلف الامر . وبالطبع انعكس هذا التصميم من قبل الجانبين على الارض ، حيث اصبحت افغانستان مناطق مقسمة بين المجاهدين ، والنظام الحكومي الذي يدعمه السوفيات كما ان خمس السكان اصبحوا يعيشون الان لاجئين في باكستان .

ولو نظرنا الى الصورة العامة لافغانستان في الوقت الراهن ، لوجدنا ان النظام الافغاني يتسم بعدم الاستقرار ، اذ تسيطر المنازعات على فصائل واجنحة الحزب ، خاصة بين « بارشام » و« خلق ». كما ان الجيش الافغاني يعاني من تدني الروح المعنوية بين افراده في وقت تتزايد فيه كل عمليات الفرار من الجيش ، ويمتنع المتطوعون الجدد على الانضمام اليه الا بالضغط والاكراه .

اما المجاهدون ، فانهم هم ايضا لم يتمكنوا حتى الان من توحيد صفوفهم ليشكلوا



« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بالشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨) بيروت ـ لبنان أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر	:	القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .
السودان	:	الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨)
الجزائر	:	الشركة الوطنية للصحافة ٢٠ شارع الحرية
المغرب	:	الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية
تونس	:	الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص . ب : 440
لبنان	:	بيروت ـ الشركة العربية للتوزيع ص . ب (٤٢٢٨)
الأردن	:	عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥)
السعودية	:	جدة ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق تلفون : ٦٤٤٤٤٤٤ . الرياض ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق الخبر ـ شركة تهامة للاعلان والعلاقات العامة والتسويق . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء
سلطنة عمان	:	وكالة مجان للتوزيع ـ مسقط
صنعاء	:	دار القلم للتوزيع والنشر والاعلان ـ ص . ب (١١٠٧)
البحرين	:	دار الهلال
قطر	:	دار العروبة ص . ب (٦٣٣)
أبو ظبي	:	المؤسسة العامة للطباعة والنشر ـ ص . ب (٦٧٥٨)
دبي	:	دار الحكمة ص . ب (٢٠٠٧)
الكويت	:	الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ت : ٤٢١٤٦٨

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



الموضوع	الكاتب	الصفحة
المقدمة	لرئيس التحرير	٤
القرآن الكريم	للدكتور/ ابراهيم علي أبو الخشب	٨
نحو مناهج جديدة في التفسير	للدكتور/ أحمد علي المجدوب	١٣
معركة مؤتة	للأستاذ/ محمود بيومي	١٨
الاسلام .. وبناء المجتمع	للأستاذ/ محمد نعيم عكاشه	٢٤
التدخين في العالم الثالث	للدكتور/ محمد علي البار	٢٨
وقفة تأمل	للاستاذ/ فهمي الامام	٤٠
المستشفيات في الاسلام	للشيخ/ أحمد محيى الدين العجوز	٤٢
الفروسية في الاسلام	للدكتور/ سعيد اسماعيل علي	٤٨
العلمانية	للأستاذ/ أحمد العنانى	٥٥
وبكى الرشيد مرتين (قصة)	للأستاذ/ محمد جاد البنا	٦٠
سيدة الغدد	للدكتور/ غريب جمعة	٦٨
جمهورية ماليديف الاسلامية	للاستاذ/ عبد الستار فيض	٧٨
ندوة الحضارة الاسلامية	للاستاذ/ نبيل الخانجى	٩٤
مائدة القارىء	للتحرير	١٠٦
العبادات وأثرها	للأستاذ/ حلمى الخولى	١٠٨
دار العلم في طرابلس	للأستاذ/ منذر شعار	١١٥
الفتاوى	للتحرير	١١٨
بأقلام القراء	للتحرير	١٢٢
مع الصحافة	للتحرير	١٢٥
الى السادة القراء	للتحرير	١٣٠

